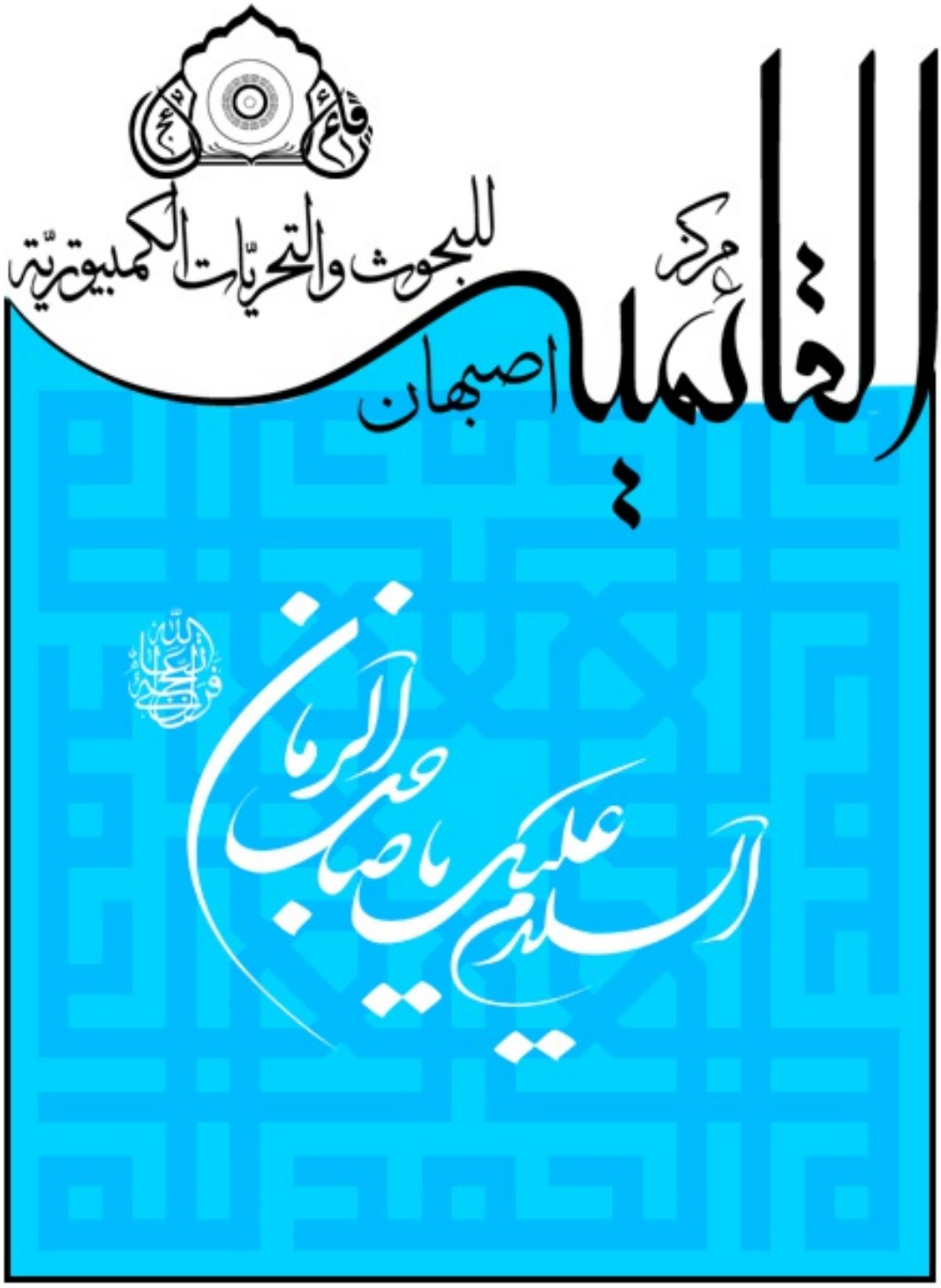

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

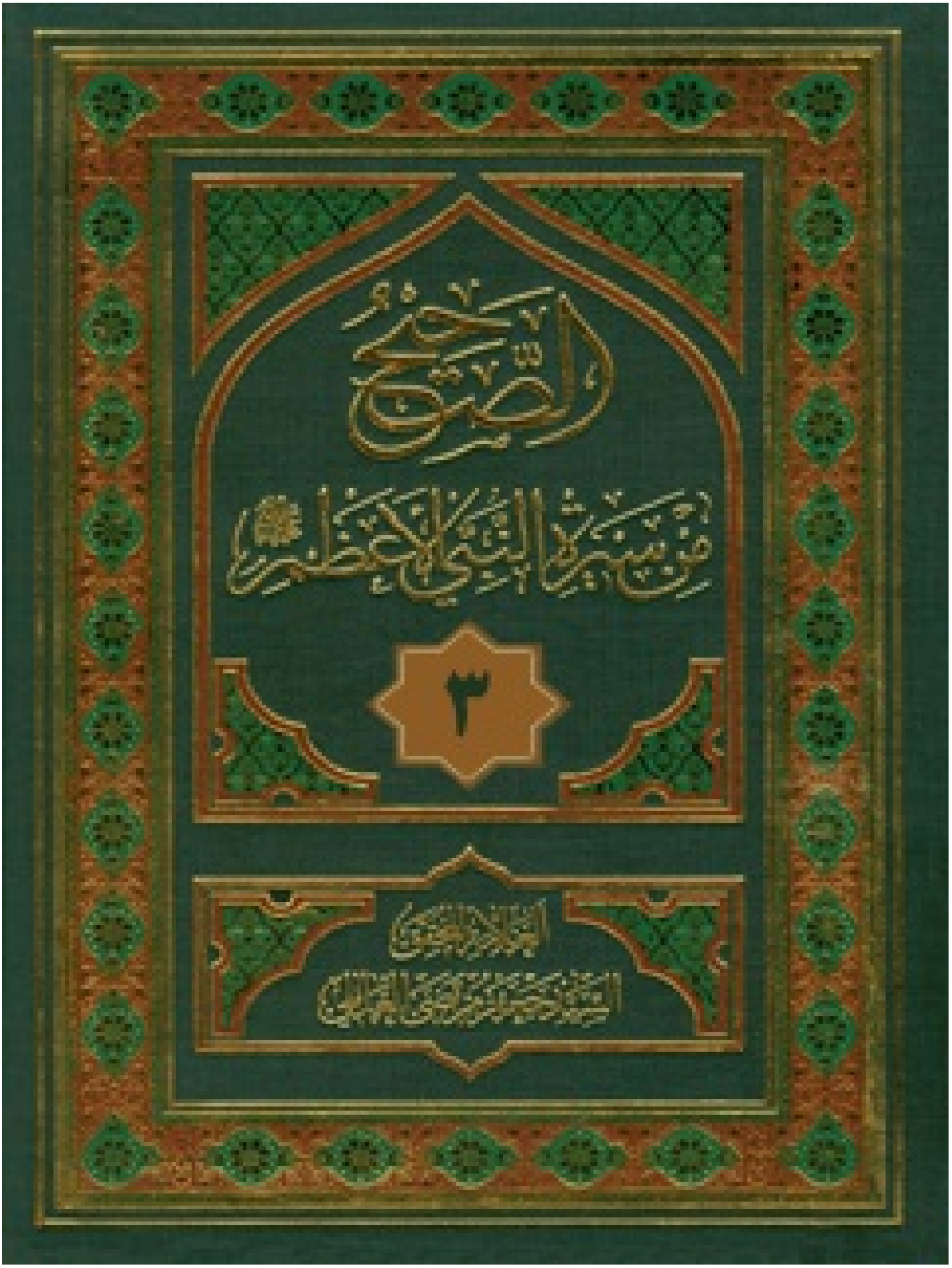
الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم صل الله علیه واله المجلد۳ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
[تتمة الباب الأول] ----- ۱۵
الفصل الثالث: الاسراء و المعراج ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
متی کان الاسراء و المعراج: ----- ۱۶
الأدلة علی المختار: ----- ۱۷
تسمیة أبی بکر بالصّدیق ----- ۱۹
الإسراء و المعراج فی الیقظة أو فی المنام: ----- ۲۰
الاسراء و المعراج فی القرآن: ----- ۲۱
سؤال هام و جوابه: ----- ۲۲
الداعیة الحکیم: ----- ۲۳
لا تدرکه الابصار: ----- ۲۳
الاسراء من المسجد: ----- ۲۵
موسی، و فرض الصلوات الخمس: ----- ۲۶
استبعاد الاسراء و المعراج: ----- ۲۸
من اهداف الإسراء و المعراج: ----- ۲۸
الأذان: ----- ۳۰
الیهود و المسجد فی القرآن: ----- ۳۰
مفاد الآیات إجمالا: ----- ۳۰
ضرب القاعدة، و إعطاء الضابطة: ----- ۳۱
أقوال الرواة و المفسرین: ----- ۳۳

رأی العلامة الطباطبائی: ۳۳
رأی آخر فی الآیات: ۳۴
رأی آخر: ۳۵
وثمة رأی آخر أیضا: ۳۶
و الروایات ماذا تقول: ۳۶
الرأی الأمثل: ۳۷
القمیّون یقاتلون الاسرائیلیین: ۳۷
الغرب و اسرائیل: ۳۸
الحروب الطویلة و الصعبة: ۳۸
الفلسطینیون و الأرض: ۳۸
الباب الثانی: حتی وفاة أبی طالب ۳۹
اشارة ۳۹
الفصل الأول: حتی الهجرة الی الحبشة ۳۹
اشارة ۳۹
أهداف الإسلام: ۴۰
الحاجة إلی الوزیر و الوصی: ۴۰
و أنذر عشیرتک الأقربین: ۴۱
التعصب الأعمی: ۴۲
إبن تیمیة، و حدیث الدار: ۴۳
الرد علی ابن تمیمیة: ۴۳
نقاط هامة فی حدیث الإنذار ۴۶
الف- روایات لا یمکن أن تصح: ۴۶
ب- ما المراد بکونه خلیفته فی أهله: ۴۷
ج- لماذا تخصیص العشیرة بالدعوة؟! ۴۸

د- علی «علیه السلام» فی یوم الإنذار: ۴۹
ه- موقف أبی لهب: ۴۹
و- الإنذار أولا: ۵۰
ز- ماذا قال النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» فی یوم الإنذار: ۵۱
ح- التبشیر و الإنذار: ۵۱
ط- أخی و وصیی: ۵۲
فاصدع بما تؤمر: ۵۲
اشارة ۵۲
الف: قریش لم تصل إلی نتیجة: ۵۴
ب: سر استکبار قریش: ۵۵
ماذا بعد فشل المفاوضات؟ ۵۶
المعذبون فی مکة: ۵۷
مع المعذبین أیضا: ۵۷
المعذبون الذین أعتقهم أبو بکر: ۵۸
هل عذب المشرکون أبا بکر؟! ۶۱
ملاحظة: هل کان أبو بکر رئیسا؟! ۶۲
ملاحظة أخیرة: ۶۳
أول شهید فی الإسلام من آل یاسر: ۶۳
عمار بن یاسر: ۶۴
التقیة فی الکتاب و السنة: ۶۴
ملاحظة: ۶۵
و أما من السنة، فنذکر: ۶۵
و أما التقیة فی التاریخ: ۶۶
التقیة ضرورة فطریة عقلیة دینیة اصلاحیة: ۶۹

الفصل الثانی: هجرة الحبشة ---- ۷۱
اشارة ---- ۷۱
لا بد من حل: ---- ۷۲
سر إختیار الحبشة: ---- ۷۲
الهجرة الی الحبشة: ---- ۷۳
أمیر الهجرة جعفر: ---- ۷۴
من هو أول مهاجر إلی الحبشة؟: ---- ۷۴
هجرة أبی موسی إلی الحبشة لا تصح: ---- ۷۵
رقة عمر للمهاجرین ---- ۷۵
هجرة ابی بکر لا تصح: ---- ۷۵
فضیلة عثمان بن مظعون تجعل لغیره: ---- ۷۷
محاولة قریش الیائسة: ---- ۷۸
قریش، و خططها المستقبلیة: ---- ۷۹
الثورة علی النجاشی: ---- ۸۱
عودة بعض المهاجرین: ---- ۸۱
قصة الغرانیق ---- ۸۱
تساؤلات حائرة: ---- ۸۶
حقیقة الأمر: ---- ۸۶
الفصل الثالث: حتی الشعب ---- ۸۷
اشارة ---- ۸۷
تناقضات فی تاریخ اسلام حمزة علیه السلام: ---- ۸۷
اسلام حمزة (رض) ---- ۸۸
إسلام حمزة کان عن وعی لا حمیة: ---- ۸۸
سرّ جبن أبی جهل فی مواجهة حمزة: ---- ۸۹

ملاحظة هامة: ۸۹
عبس و تولى: ۹۰
المذنب رجل آخر: ۹۳
سؤال و جوابه: ۹۳
الرواية الصحيحة: ۹۳
إتهام عثمان: ۹۴
تاريخ هذه القضية: ۹۴
أعداء الإسلام و هذه القضية: ۹۴
أكاذيب أخرى مشابهة: ۹۵
قضية إسلام عمر بن الخطاب: ۹۶
وثمة أوسمة أخرى: ۹۷
اشارة ۹۷
۱- متى كان إسلام عمر: ۹۸
و نحن نشير هنا إلى: ۹۸
متى أسلم عمر إذن: ۹۹
۲- من سمى عمر بالفاروق؟! ۱۰۱
۳- هل كان عمر قارئا؟! ۱۰۱
ملاحظة: ۱۰۳
و ملاحظة أخرى: ۱۰۳
۴- هل عز الأسلام بعمر حقا؟! ۱۰۳
۵- غسل عمر لمس الصحيفة: ۱۰۷
۶- نزول آية فى إسلام عمر: ۱۰۷
ملاحظات أخيرة: ۱۰۸
: خاتمة المطاف: ۱۰۸

الفصل الرابع: فی شعب أبی طالب ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
المقاطعة: ----- ۱۰۹
أموال خدیجة (رض)، و سیف علی «علیه السلام»: ----- ۱۱۱
حکیم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمین: ----- ۱۱۲
انشقاق القمر: ----- ۱۱۳
شبهة، و حلها: ----- ۱۱۳
انشقاق القمر، الحدث الکبیر ----- ۱۱۵
امکان الانشقاق و الالتیام علمیا: ----- ۱۱۶
دلالة الآیة القرآنیة علی ذلک: ----- ۱۱۷
الاساطیر: ----- ۱۱۸
نقض الصحیفة: ----- ۱۱۸
حنکة أبی طالب، و ایمانه: ----- ۱۱۹
القبلیة و آثارها: ----- ۱۱۹
ما بعد نقض الصحیفة: ----- ۱۲۰
وفد من الحبشة: ----- ۱۲۰
من مواقف أبی طالب: ----- ۱۲۰
مع تضحیات أبی طالب رضوان اللّه علیه: ----- ۱۲۲
عام الحزن: ----- ۱۲۳
الحب فی اللّه و البغض فی اللّه: ----- ۱۲۴
الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قریش ----- ۱۲۵
اشارة ----- ۱۲۵
إیمان أبی طالب «ره»: ----- ۱۲۵
بعض الادلة علی ایمان أبی طالب: ----- ۱۲۶

الأدلة الواهية. ۱۳۲
اشارة ۱۳۲
۱- حديث ابن الضحاح: ۱۳۳
۲- إرث عقيل لابى طالب: ۱۳۴
۳- و هم ينهون عنه، و ينأون عنه: ۱۳۴
۴- آية النهى عن الاستغفار للمشرک: ۱۳۶
الوجبة الأخيرة: ۱۳۹
خطابيات و أرجاز المدينى: ۱۴۱
سرّية إيمان أبى طالب: ۱۴۱
ضرورة سرية إيمان شيخ الابطح: ۱۴۲
لماذا الإفتراء على أبى طالب: ۱۴۳
أبو لهب و نصرة النبى (ص): ۱۴۳
سر افتعال الرواية: ۱۴۴
الباب الرابع: من وفاة أبى طالب حتى الهجرة الى الحبشة ۱۴۴
اشارة ۱۴۴
الفصل الأول: الهجرة الى الطائف ۱۴۴
اشارة ۱۴۴
لا بد من تحرک جديد: ۱۴۴
الهجرة الى الطائف فى كلمات المؤرخين: ۱۴۵
هجرات أخرى له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ۱۴۵
اشارة ۱۴۵
۱- ما ذكر عن عداس: ۱۴۶
۲- دخوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مكة بجوار: ۱۴۶
۳- إسلام نفر من الجن: ۱۴۷

۴- الطائف و علاقاتها بمن حولها: ۱۴۸
۵- الإسلام دين الفطرة: ۱۴۸
۶- هل كانت هذه سفرة فاشلة؟!. ۱۴۹
الفصل الثانی: حتی بیعة العقبة ۱۴۹
اشارة ۱۴۹
المجاعة: ۱۴۹
عرض الإسلام على القبائل: ۱۵۰
بنو عامر بن صعصعة، و نصرة النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم»: ۱۵۱
اشارة ۱۵۱
۱- ألامر للّه: ۱۵۲
۲- سمو الهدف، و النظرة الضيقة: ۱۵۲
۳- الدين، و السياسة: ۱۵۳
۴- نتائج عرضه «صلی اللّه علیه و آله و سلم» دعوته على القبائل: ۱۵۳
زواج النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» بسودة و عائشة: ۱۵۳
اشارة ۱۵۴
۱- سن عائشة: ۱۵۴
من طرائف الروايات الموضوعة: ۱۵۵
۲- جمال عائشة و حظوتها: ۱۵۶
۳- حسد و غيرة عائشة: ۱۵۷
و ماذا بعد: ۱۶۲
دخول الاسلام إلى المدينة: ۱۶۲
اشارة ۱۶۳
۱- اخبارات أهل الكتاب: ۱۶۴
۲- المشاكل بين الأوس و الخزرج: ۱۶۴

۳- تعالیم الشریعة السمحاء: ۱۶۴
۴- المدنیون و المکیون: ۱۶۵
الفصل الثالث: بیعة العقبة ۱۶۶
اشارة ۱۶۶
بیعة العقبة الأولی: ۱۶۶
دعوة سعد بن معاذ قومه: ۱۶۷
البیعة: ۱۶۷
صلاة الجمعة: ۱۶۸
بیعة العقبة الثانیة: ۱۶۸
و لنا قبل المضی فی الحدیث هاهنا وقفات. فنشیر اولا الی: دور العباس فی بیعة العقبة: ۱۷۱
أبو بکر فی العقبة: ۱۷۲
حمزة و علی «علیه السلام» فی العقبة: ۱۷۲
سرّیة الإجتماع، و التقیة. ۱۷۳
شروط البیعة: ۱۷۴
لماذا النقباء: ۱۷۴
المشرکون فی مواجهة الأمر: ۱۷۴
منازعة الأمر أهله: ۱۷۵
النبی لم یؤمر بالحرب بعد: ۱۷۵
الباب الخامس: من مکة الی المدینة ۱۷۵
اشارة ۱۷۵
الفصل الأول: ابتداء الهجرة الی المدینة ۱۷۶
اشارة ۱۷۶
حب الوطن من الإیمان: ۱۷۶
دوافع الهجرة من مکة إلی المدینة: ۱۷۷

سرّ اختيار المدينة: ---- ۱۷۹
المؤاخاة بين المهاجرين: ---- ۱۸۲
ابتدأ هجرة المسلمين إلى المدينة: ---- ۱۸۲
المثل الاعلى: ---- ۱۸۲
هجرة عمر بن الخطاب: ---- ۱۸۳
ما هى الحقيقة إذن؟! ---- ۱۸۴
ماذا عن الهجرة إلى المدينة؟ ---- ۱۸۵
قريش و الهجرة: ---- ۱۸۵
الفهارس ---- ۱۸۶
اشارة ---- ۱۸۶
۱- الدليل الاجمالى للكتاب ---- ۱۸۶
۲- الدليل التفصيلى للكتاب ---- ۱۸۶
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۱۹۳

الصحیح من سیره النبی الاعظم صل الله علیه واله المجلد۳

اشارهٔ

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.
عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی
مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.
مشخصات ظاهری : ج ۱۰
شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.
یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره
یادداشت : جلد دهم: الفهارس
یادداشت : کتابنامه
موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه
موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.
رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳
شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

[تتمهٔ الباب الأول]

الفصل الثالث: الاسراء و المعراج

اشارهٔ

الصحیح من السیرهٔ النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۳،ص:۷

الإسراء و المعراج:

بعد بعثهٔ النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم»، و فی اثناء المرحلهٔ السریهٔ، التی استمرت ثلاث، أو خمس سنوات، کان- علی الارجح- الاسراء و المعراج: الاسراء إلی بیت المقدس، حسب نص القرآن الکریم.

و المعراج من هناک إلی السماء، الذی وردت به أخبار کثیرهٔ.

و حيث إن التفاصيل الدقيقة لهاتين القضيتين يصعب الجزم فى كثير منها إلا بعد البحث الطويل و العميق. و ذلك لأن هذه القضية، و جزئياتها قد تعرضت على مر الزمان للتلاعب و التزيد فيها، من قبل الرواة و القصاصين، ثم من قبل أعداء الاسلام؛ بهدف تشويه هذا الدين، و اظهاره على أنه يحوى الغرائب و العجائب، و الاساطير و الخرافات، لأسباب شخصية، و سياسية و غيرها. و لم يسلم من مكائد هؤلاء حتى رموز الإسلام، و حفظته و أئمة المسلمين أيضا.

و قد حذر الإمام الرضا «عليه السلام» من هؤلاء- حسبما روى عنه- حيث قال لإبن أبى محمود: «إن مخالفينا وضعوا أخبارا فى فضائلنا و جعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو. و ثانيها: التقصير فى أمرنا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸

و ثالثها: التصريح بمثالب اعدائنا.

فاذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، و نسبوهم الى القول بربوبيتنا. و إذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا. و اذا سمعوا مثالب اعدائنا باسمائهم ثلبونا باسمائنا و قد قال اللّه عز و جل: و لا تسبوا الذين يدعون من دون اللّه فيسبّوا اللّه عدوا بغير علم «۱»».

و بعد ما تقدم، فإن التعرض لبحث التفاصيل الدقيقة لقضية الاسراء و المعراج يحتاج الى توفر تام، و تأليف مستقل؛ و لذا فنحن لا نستطيع فى هذه الفرصة المتوفرة لنا أن نعطى تصورا دقيقا عنه.

و على هذا فسوف نكتفى بالإشارة الى بعض الجوانب التى رأينا:

أن من المناسب التعرض لها؛ فنقول:

متى كان الاسراء و المعراج:

إن المشهور هو أن الاسراء و المعراج قد كان قبل الهجرة بمدة وجيزة؛ فبعضهم قال: ستة أشهر، و بعضهم قال: فى السنة الثانية عشرة للبعثة، أو فى الحادية عشرة او فى العاشرة. و قيل: بعد الهجرة «۲».

و فى مقابل ذلك نجد البعض يقول: إنه كان فى السنة الثانية من البعثة «۳»، و قيل فى الخامسة، و قيل فى الثالثة- و هو الارجح عندنا- و لعل ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا، حيث إنه ذكر الإسراء فى أول البعثة كما ذكره عنه ابن كثير «۴»

---

(۱) راجع: البحار ج ۲۶ ص ۲۳۹ و عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۳۰۴.

(۲) راجع: السيرة الحلبية، و تاريخ الخميس، و غير ذلك.

(۳) البحار ج ۱۸ ص ۳۱۹ عن العدد، و نقل ذلك عن الزهرى فى عدة مصادر.

(۴) البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹

و قال مغلطاى، بعد أن ذكر بعض الاقوال: «و قيل: كان بعد النبوة بخمسة أعوام، و قيل: بعام و نصف عام. و قال عياض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهرا «۱»».

و قال ملا على القارى: «و ذكر النووى: أن معظم السلف، و جمهور المحدثين و الفقهاء على أن الاسراء و المعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهرا «۲»».

و قال ابن شهرآشوب: «ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسرائه فى السنة التاسعة من نبوته «۳»». و لكنه لم يبين لنا تاريخه باليوم و الشهر.

و قال الديار بكرى: «فأما سنة الاسراء، فقال الزهرى: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين. حكاه القاضى عياض، و رجحه القرطبى، و

النووى. و قيل: قبل الهجرة بسنة إلخ «۴»».

الأدلة على المختار:

و أما ما يدل على أن الاسراء قد كان فى السنوات الاولى من المبعث؛ فعدا عن الاقوال المتقدمة، و لا سيما ما ذكره الزهرى و النووى، نشير إلى الامور التالية:

۱- ما روى عن ابن عباس أن ذلك كان بعد البعثة بسنتين «۵» و ابن

---

(۱) سيرة مغلطاى ص ۲۷.

(۲) شرح الشفاء للقارى ج ۱ ص ۲۲۲.

(۳) المناقب لابن شهرآشوب ج ۱ ص ۴۳.

(۴) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۷.

(۵) البحار ج ۱۸ ص ۳۱۹ و ۳۸۱ عن المناقب لابن شهرآشوب ج ۱ ص ۱۷۷، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۶. حيث ذكر ذلك بعد المبعث، و قبل الانذار.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰

عباس كان أقرب الى زمن الرسول، و اعرف بسيرته من هؤلاء المؤرخين، فاذا ثبت النص عنه قدّم على اقوال هؤلاء.

و لربما لا يكون هذا مخالفا لما تقدم عن الزهرى و غيره، إذا كان ابن عباس لا يحسب الثلاث سنوات الأولى، على اعتبار: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنما امر بانذار الناس بعدها.

۲- قد ورد عن الامام أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن الاسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه «۱».

و هذا هو الاصح و المعتمد.

۳- و يدل على ذلك بشكل قاطع ما روى عن: ابن عباس، و سعد بن مالك، و سعد بن أبى وقاص، و الإمام الصادق «عليه السلام»، و عمر بن الخطاب، و عائشة، من أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال لعائشة- حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته سيدة النساء، فاطمة «عليها السلام»-:

نعم يا عائشة، لما اسرى بى الى السماء أدخلنى جبرئيل الجنة، فناولنى منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة فى صلبى، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة؛ ففاطمة حوراء انسية، و كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها «۲».

---

(۱) البحار ج ۱۸ ص ۳۷۹ عن الخرائج و الجرايح. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۳ ۱۰ الأدلة على المختار: ..... ص : ۹

(۲) تاريخ بغداد ج ۵ ص ۸۷، و المواهب اللدنية ج ۲ ص ۲۹، و مقتل الحسين للخوارزمى ص ۶۳/ ۶۴ و ذخائر العقبى ص ۳۶، و ميزان الاعتدال ج ۲ ص ۲۹۷ و ۱۶۰، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۶۵، و تلخيصه للذهبى، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۰۲، و ينابيع المودة ص ۹۷، و نزهة المجالس ج ۲ ص ۱۷۹، و مناقب المغازلى ص ۳۵۸ و البحار ج ۱۸ ص ۳۱۵ و ۳۵۰، ۳۶۴، و نور الأبصار ص ۴۴ و ۴۵ و علل الشرائع ص ۷۲، و تفسير القمى و نظم درر السمطين ص ۱۷۶ و محاضرة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱

و معلوم مما سبق: أن فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات؛ فالاسراء و المعراج كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، و لعله قبل

ذلك بسنتين. حتى أذن اللّه لتلك النطفة بالظهور، و الاستقرار فى موضعها.

۴- إن سورة الاسراء قد نزلت فى أوائل البعثة، و يدل ذلك:

ألف- ما رواه البخارى و غيره، من ان قوله تعالى فى سورة الاسراء: «و لا تجهر بصلاتك، و لا تخافت بها» قد نزل بمكة، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مختف. كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن؛ فاذا سمع المشركون سبوا القرآن، و من انزله، و من جاء به الخ «۱».

و معلوم: أن اختفاء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى دار الأرقم إنما كان فى أوائل البعثة.

و اجاب المحقق الروحانى على ذلك، بان من الممكن ان يكون «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حينئذ مختفيا فى شعب ابى طالب.

و لكن، لنا ان نناقشه بان شعب ابى طالب لم يكن محل اختفاء لهم، و انما كانوا محاصرين فيه، فالتعبير بالاختفاء يدل على أن ذلك قد كان فى اوائل البعثة.

الأوائل ص ۸۸ و ملحقات إحقاق الحق للمرعشى ج ۱۰ ص ۱- ۱۱ عن بعض من تقدم، و عن: أرجح المطالب ص ۲۳۹، و وسيلة المآل ص ۷۸/ ۷۹، و إعراب ثلاثين سورة ص ۱۲۰، و كنز العمال ج ۱۴ ص ۹۷ و ج ۳ ص ۹۴، و مفتاح النجا ص ۹۸ مخطوط و أخبار الدول ص ۸۷- و عن ميزان الاعتدال ج ۱ ص ۳۸ و ۲۵۳ و ج ۲ ص ۲۶ و ۸۴. و الدر المنثور ج ۴ ص ۱۵۳ عن الطبرانى و الحاكم.

(۱) صحيح البخارى طبع سنة ۱۳۰۹ ج ۳ ص ۹۹، و الدر المنثور ج ۴ ص ۲۰۶ عنه و عن: مسلم و أحمد و الترمذى، و النسائى، و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه، و الطبرانى و البيهقى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲

و وجود هجوم فى سورة الاسراء على عقائد المشركين، لا يضر؛ اذا كانت السورة قد نزلت فى اوائل البعثة.

ب- ما ذكره البعض فى مقال له «۱» من أن سورة الإسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سور «۲» و سورة الحجر قد نزلت فى المرحلة السرية.

و فيها جاء قوله تعالى: «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ، وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ». الامر الذى تسبب عنه الجهر بالدعوة و اظهارها.

و ايراد المحقق الروحانى هنا بان فى السورة ما يدل على وجود الصدام بين النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و المشركين. و هذا الصدام إنما حصل بعد الاختفاء فى دار الأرقم، و بعد الاعلان بالدعوة.

يجاب عنه بما تقدم، من أن من غير البعيد ان تكون هذه السورة قد نزلت تدريجا؛ فبدأ نزولها فى اول البعثة. ثم اكملت فى فترة التحدى و المجابهة بين النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و المشركين.

و يدل على قدم نزولها أيضا قول ابن مسعود عن سور الاسراء، و الكهف، و مريم: انهن من العتاق الاول، و هن من تلادى «۳».

و ابن مسعود ممن هاجر الى الحبشة، و رجع منها، و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يتجهز الى بدر «۴».

إلا أن يقال: إن ابن مسعود إنما هاجر الى الحبشة بعد الطائف، أى فى الهجرة الثانية، لا فى الاولى؛ فلاحظ؛ فان ذلك لا يلائم قوله: انهن

---

(۱) راجع: مجلة الوعى الإسلامى المغربية عدد ۱۶۳ ص ۵۶.

(۲) راجع: الاتقان ج ۱ ص ۱۱، و تاريخ القرآن للزنجانى ص ۳۷.

(۳) صحيح البخارى ج ۳ ط سنة ۱۳۰۹ ص ۹۶ و الدر المنثور ج ۴ ص ۱۳۶ عنه و عن ابن الضريس و ابن مردويه.

(۴) فتح البارى ج ۷ ص ۱۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳

من العتاق الأول.

۵- ان سورة النجم التى يذكرون انها تذكر المعراج فى آياتها- قد نزلت هى الأخرى فى اوائل البعثة؛ فانها نزلت بعد اثنتين او ثلاث و عشرين سورة، و نزل بعدها اربعة و ستون سورة فى مكة «۱»، و سيأتى فى قصة الغرانيق المكذوبة او المحرفة: أنهم يقولون: إنها انما نزلت بعد الهجرة الى الحبشة بثلاثة اشهر. و الهجرة الى الحبشة إنما كانت فى السنة الخامسة.

بل لقد قيل: إن سورة النجم هى اول سورة اعلن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بقراءتها؛ فقرأها على المؤمنين و المشركين جميعا «۲».

و إن كان من الممكن النقاش فى كون آيات سورة النجم ناظرة الى المعراج، كما سيأتى ان شاء اللّه تعالى.

۶- و يؤيد كون هذه القضية قد حصلت فى اوائل البعثة: انه حين عرج به «صلى اللّه عليه و آله و سلم» صار الملائكة يسألون: أو قد أرسل إليه؟ «۳» فان هذا يشير إلى أن ذلك إنما كان فى أول بعثته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا بعد عشرة أو اثنتى عشرة سنة، فان أمره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان قد اشتهر فى أهل السماوات حينئذ. بل يمكن أن يكون قد اشتهر ذلك منذ الايام الاولى من البعثة.

۷- ما يدل على أن الاسراء قد كان قبل وفاة ابى طالب: فإن بعض الروايات تذكر أن أبا طالب (ره) قد افتقده ليلته، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فذهب إلى المسجد، و معه الهاشميون، فسل سيفه عند الحجر، و امر

---

(۱) راجع الاتقان ج ۱ ص ۱۰- ۱۱ و ۲۵.

(۲) تفسير الميزان مجلد ۱۹ ص ۲۶.

(۳) مجمع الزوائد ج ۱ ص ۶۹/ ۷۰ عن البزار و المواهب اللدنية ج ۲ ص ۶، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴

الهاشميين باظهار السيوف التى معهم، ثم التفت إلى قريش، و قال: لو لم أره ما بقى منكم عين تطرف. فقالت قريش: لقد ركبت منا عظيما «۱»

۸- ما روى من أن جبرئيل قال للنبى حين رجوعه: حاجتى أن تقرأ على خديجة من اللّه و منّى السلام «۲».

۹- و عن عمر: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: ثم رجعت إلى خديجة، و ما تحولت عن جانبها «۳».

فكل ذلك يدل على أن هذا الحدث قد كان قبل وفاة شيخ الأبطح، و أم المؤمنين خديجة «رحمها اللّه» و هما قد توفيا فى السنة العاشرة من بعثة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فكيف يكون الاسراء و المعراج قد حصل فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة أو بعدها؟!.

تسمية أبى بكر بالصّديق

إنه إذا تأكد لنا: أن الاسراء و المعراج كان فى السنة الثالثة من البعثة. أى قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلا؛ فاننا نعرف: أن الاسراء كان قبل اسلام أبى بكر بمدة طويلة؛ لأنه كما تقدم قد اسلم بعد اكثر من خمسين رجلا، بل إنما اسلم حوالى السنة الخامسة من البعثة، بل فى السابعة أى بعد وقوع المواجهة بين قريش و بين النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أو بعد الهجرة إلى الحبشة فهو أول من أسلم بعد هذه المواجهة أو الهجرة- على الظاهر.

(۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۱ ص ۱۸۰، و البحار ج ۱۸ ص ۳۸۴.

(۲) البحار ج ۱۸ ص ۳۸۵ عن العياشى، عن زرارة، و حمران بن أعين، و محمد بن مسلم، عن الباقر (ع).

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵

و إذا كان الاسراء قد حصل قبل اسلامه بمدة طويلة، فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر هنا، من أنه قد سمّى صديقا، حينما صدق رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى قضية الاسراء «۱»، و لا لما يذكرونه، من أن ملكا كان يكلم رسول اللّه حين المعراج بصوت أبى بكر «۲» و قد صرح الحفاظ بكذب طائفة من تلك الروايات «۳».

و الصحيح: هو أنه قد كلمه بصوت على «عليه السلام» «۴». و بذلك يظهر حال سائر ما يذكر هنا لهذا الرجل من فضائل و مواقف تنسب إليه فى السنوات الثلاث الأولى من البعثة.

و بعد ما تقدم نقول: جاء فى الشفاء عن ابى حمراء قال: قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: لما اسرى بى الى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، أيدته بعلى «عليه السلام» «۵».

الإسراء و المعراج فى اليقظة أو فى المنام:

يرى البعض: أن الاسراء قد كان بالروح فقط، فى عالم الرؤيا،

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۵، و المواهب اللدنية ج ۲ ص ۴۰ مستدرك الحاكم، و ابن إسحاق.

(۲) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۲۹/ ۳۰. و راجع الدر المنثور ج ۴ ص ۱۵۵ و راجع ص ۱۵۴.

(۳) راجع: الغدير ج ۵ ص ۳۰۳ و ۳۲۴ و ۳۲۵ فإنه قد نقل هذه الروايات و تكذيبها عن: ميزان الاعتدال ج ۱ ص ۳۷۰، و لسان الميزان ج ۵ ص ۲۳۵، و تهذيب التهذيب ج ۵ ص ۱۳۸، و السيوطى فى الموضوعات، و ابن حبان، و ابن عدى.

(۴) المناقب للخوارزمى ص ۳۷ و ينابيع المودة ص ۸۳.

(۵) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶

و يحتجون بما عن عائشة: ما فقدت جسد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۱».

و عن معاوية: انها رؤيا صالحة «۲». و حكى مثل ذلك عن الحسن البصرى.

و لكن الصحيح هو ما ذهب إليه الامامية و معظم المسلمين من أن الاسراء إنما كان بالروح و الجسد معا. أما المعراج فذهب الاكثر إلى أنه كان بالروح و الجسد و هو الصحيح أيضا. و نحن نشير هنا إلى ما يلى:

أولا: بالنسبة لعائشة، قال القسطلانى: «و أجيب: بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة؛ لأنها لم تكن إذ ذاك زوجا، و لا فى سن من يضبط، أو لم تكن ولدت بعد، على الخلاف فى الاسراء متى كان» «۳».

و أما معاوية فحاله معلوم مما ذكرناه فى الجزء الأول: المدخل لدراسة السيرة.

و ثانيا: قال تعالى: «سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» «۴» و قال فى سورة النجم- اذا كانت الآيات ناظرة إلى المعراج، و يرجع الضمير فيها إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا إلى جبرئيل-: «فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى. فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى» «۵».

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۸، و المواهب اللدنيـة ج ۲ ص ۲، و البحار ج ۱۸ ص ۲۹۱ و فى المناقب لابن شـهرآشوب ج ۱ ص ۱۷۷: أن الجهمية قالت بهذا.

(۲) البحار ج ۱۸ ص ۲۹۱ عن: المقاصد و شرحه، و راجع تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۸.

(۳) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۲.

(۴) الإسراء: ۱.

(۵) النجم: ۹- ۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷

فان لفظ العبد إنما يطلق على الروح و الجسد معا، و لو كان مناما، لكان قال: بروح عبده، و إلى روح عبده.

كما أن قوله تعالى: «ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى» ظاهر فى البصر الحقيقى أيضا «۱».

أضف إلى ذلك: أن آية سورة الاسـراء، و آيات سورة النجم واردة فى مقام الامتنان. و فيها ثناء على اللّه، و عجيب قدرته، و ذلك لا يحسن، و لاـ يتم لمجرد رؤيـا رآهـا النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم»؛ إذ ربمـا يرى غير النبى، و حتى الفاسق الفاجر رؤيا اعظم من ذلك.

هـذا بالإضافـة إلى أن الرؤيـا عنـد عامـة النـاس لاـ تـدل على عظيم قـدرته تعالى، إذ ربما تفسـر على أنها نوع من الاوهام و الخيالات، فيفوت الغرض المقصود من الاسراء و المعراج، كما هو ظاهر «۲».

و ثالثا: انه لو كان الاسـراء مجرد رؤيا صالحـة؛ فلا يبقى فيه اعجاز؛ و لما أنكره المشـركون و المعاندون، و لما ارتدّ ناس ممن كان قد اسلم، كما سنشير اليه.

و رابعـا: لو كان مجرد رؤيا، لم يخرج ابو طالب و الهاشـميون فى طلبه «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم». و كان العباس يناديه حتى اجابه من بعض النواحى، حسبما ورد فى بعض الروايات.

و اما لماذا ينكرون: ان يكون ذلك بالروح و الجسد معا؛ فهو إما لعدم قدرتهم على تعقل ذلك، او لأجل الحط من كرامة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كما تقدم فى المدخل لدراسة السيرة، او لعدم قدرتهم

(۱) راجع هذا الاستدلال فى: البحار ج ۱۸ ص ۲۸۶ عن الرازى، و المواهب اللدنية ج ۲ ص ۴، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۸.

(۲) راجع: تفسير الميزان ج ۱۳ ص ۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸

على اقناع الناس بامر مبهم كهذا.

الاسراء و المعراج فى القرآن:

اننا نؤمن بالاسـراء اسـتنادا إلى قوله تعالى: «سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا «۱»» ... فمحط النظر فى الآية هو بيان الاسراء فقط.

اما المعراج، فانه لم يذكر فى القرآن صـراحة، إلا ما جاء فى تفسـير آيات سورة النجم و هى قوله تعالى: «ذُو مِرَّةٍ فَاسْـتَوى. وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى. ثُمَّ دَنـا فَتَـدَلَّى. فَكانَ قابَ قَوْسَـيْنِ أَوْ أَدْنى. فَأَوْحى إِلى عَبْـدِهِ ما أَوْحى. ما كَـذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى.» «۲»، ان قلنا ان الضـمير فيها يرجع إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لا إلى ذى المرة، الذى هو جبرئيل.

مع أن الثانى هو الظاهر، و يدل عليه رواية صحيحة السند، عالية الاسناد، عن الامام الرضا «عليه السلام». و الرواية تستشهد و تستدل بنص الآيات فى السورة. «۳».

و يدل على ذلك ايضا و يفسره قوله تعالى: «وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ «۴»» فراجع.

و لكن كثرة الاخبار الواردة فى المعراج، و حتى تواترها القطعى لا يبقى مجالا للشك فى حصول المعراج؛ فنحن نؤمن به أيضا استنادا إلى ذلك.

---

(۱) الإسراء: ۱.

(۲) النجم: ۶- ۱۲.

(۳) راجع البرهان للبحرانى ج ۴ ص ۲۴۸ و ستأتى الرواية تحت عنوان: لا تدركه الأبصار.

(۴) التكوير: ۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹

و أما القول بوجود تعارض بين آية سورة الاسراء، و بين الروايات الدالة على المعراج، على اعتبار: ان الآية تدل على ان انتهاء السير كان فى المسجد الاقصى، و لم يكن بعده سير.

فلا يصح؛ لأن هناك رحلتين مختلفتين من حيث الكيفية و القصد.

و قد كان انتهاء الرحلة الاولى فى المسجد الاقصى، و لم يتعلق غرض فى الآية ببيان الرحلة الثانية أصلا.

سؤال هام و جوابه:

و اما لماذا لم يذكر المعراج فى القرآن صراحة، كما كان الحال بالنسبة إلى الاسراء.

فلربما يكون السر فى ذلك هو ان الاسراء امر قريب إلى الحس، فالتصديق به يكون ايسر و أقرب.

و إذا كانوا قد صعب عليهم التصديق بالاسراء، بل و استهزؤا و شنعوا عليه ما شاء لهم بغيهم و حنقهم. رغم أنه قد أخبرهم بما جرى للقافلة التى رآها فى طريقه، و بأنها قد اضلت بعيرا، و كسرت فيها ناقة حمراء فى الوقت الفلانى، و بان لهم صدقه فى ذلك. و رغم أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» وصف لهم بيت المقدس وصفا دقيقا، يعلمون صحته و صدقه، مع علمهم بعدم رؤيته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» له فيما مضى.

و أيضا، إذا كان بعض ضعفاء المسلمين قد ارتدوا، حين أخبرهم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بقضية الاسراء «۱»، الذى هو من جملة

---

(۱) المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۸، و تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۲۱، و أخرجه أبو نعيم، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ۴ ص ۳۵۳ حياة الصحابة ج ۳ ص ۷۳ عن بعض من تقدم. و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۸ و ۳۱۵، و المواهب اللدنية ج ۲ ص ۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰

المعجزات القاطعة، و البراهين الساطعة.

نعم، إذا كان ذلك كله، فكيف تكون الحال إذا أخبرهم بما هو اكثر غرابة و بعدا عن أذهانهم، و هو رحلته إلى السماوات العلى، و ما شاهد فيها من عجائب الصنع، و بديع الخلق؟!.

و لهذا، فاننا نرجح: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد تدرّج فى اخباره لهم بالاسراء و المعراج، فأخبرهم أولا بالاسراء، أما المعراج؛

فأخبر به أولياءه المؤمنين القادرين على التحمل، و التعقل. ثم صار يتوسع فى اخباره لغيرهم بذلك فى الأوقات المناسبة، و بحسب ما تقتضيه المصلحة، و متطلبات الدعوة إلى اللّه تعالى.

الداعية الحكيم:

و لعل مما تقدم يظهر: أنه اذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، و من الضلالة إلى الهدى، فان من الطبيعى أن يهتم فى الحفاظ على الركيزة الايمانية التى يحصل عليها، و أن لا يدخلها فى أجواء ليس لها القدرة على استيعابها و لا على مواجهة اخطار الانحراف فيها.

و من الواضح: أنه إذا أخبرهم بقضية المعراج، مع عدم قدرتهم على التحمل و التفاعل معها و لا على تصورها، فانهم إذا ارتدوا حينئذ فسيكونون معذورين، و لا سيما إذا كان التصديق بهذه القضية إنما يستند إلى المستوى الايمانى لديهم بالدرجة الاولى.

و أما قضية الاسراء، فقد كان بالإمكان أن يؤدى الاخبار عنها نفس النتيجة المتوخاة، و هى الجهة الاعجازية ذات الطابع المعين مع امكان الاستناد فى مقام الاقناع بها إلى أدلة تقربها إلى الحس، و تجعل القبول بها أيسر و أسهل من تلك، و لا يعتمد فيها على المستوى الايمانى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱

و حسب. و إذن؛ فلا يبقى ثمة مبرر لارتداد هؤلاء، و لا لعناد أولئك.

لا تدركه الابصار:

و يرى البعض، استنادا إلى قوله تعالى: «أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى، وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى إلخ «۱»»: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد رأى اللّه حين المعراج بعين رأسه، و رووا ذلك عن ابن عباس. بل لقد حكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه، رآه، حتى انقطع نفسه، يعنى نفس أحمد «۲».

و نحن لا نريد أن نفيض فى الحديث حول الرؤية له تعالى، فلقد أثبت علماؤنا الابرار، بما لا مجال معه للشك استحالة رؤيته تعالى، سواء فى الدنيا، أو فى الآخرة. و قد فندوا أدلة المجسمة المثبتين للرؤية فى الدنيا و الآخرة، أو فى الآخرة فقط بشكل علمى و قاطع .. فمن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بمراجعة دلائل الصدق، و غيره من الكتب المعدة لذلك «۳».

و نكتفى هنا بالاشارة إلى أن الرواية عن ابن عباس غير ثابتة، فقد روى عنه أيضا خلافها «۴».

و روى عن عائشة: أن مسروقا قال لها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ربه؟ قالت: لقد قفّ شعرى مما

---

(۱) النجم: ۱۲- ۱۴.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۴.

(۳) مثل: دلائل الصدق، و غيره من الكتب الباحثة فى الشأن العقائدى.

(۴) راجع فى الروايات الكثيرة عنه: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۲۲- ۱۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲

قلت ... إلى أن قالت: من حدثك أن محمد رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: لا تدركه الابصار إلخ «۱».

و عند مسلم: أنها أضافت: أنها سألت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن ذلك، فأخبرها: أنه لم يره، و إنما رأى جبرئيل «۲».

و الروايات فى أن المقصود بالآيات فى سورة النجم هو جبرئيل كثيرة جدا و كذلك الروايات التى تؤكد: على أنه «صلى اللّه عليه و

آله و سلم» قد رآه بقلبه و فؤاده، لا بعينه و بصره، فانها كثيرة أيضا. «۳»

بل إن نفس الآيات ظاهرة- إن لم تكن صريحة- فى أن المقصود هو جبرئيل، بيان ذلك باختصار:

ان قوله تعالى: علمه شديد القوى يراد بشديد القوى هو جبرئيل «عليه السلام»، ثم وصف جبرئيل، الذى وصفه اللّه بالقوة فى قوله: «ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ «۴»» بكونه ذا مرة، (أى شدة و حصافة فى العقل و الرأى) «۵»، و قوله (فاستوى) أى ان ذلك الشديد، ذا المرة. استقام أو استولى، و هو بالافق الاعلى. و قوله: ثم دنا، أى ذلك الشديد ذو المرة دنا

---

(۱) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۴ عن البخارى و مسلم، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۳، و الدر المنثور ج ۶ ص ۱۲۴ عن عبد بن حميد، و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الحاكم و ابن مردويه.

(۲) المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۵ عن مسلم.

(۳) يكفى أن يرجع الطالب إلى الدر المنثور ج ۶ ص ۱۲۲- ۱۲۶ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۳/ ۳۱۴ و المواهب اللدنية ج ۲ ص ۳۶/ ۳۷ و غير ذلك من المصادر الكثيرة جدا.

(۴) التكوير: ۲۰.

(۵) احتمل بعض المحققين: أن يكون وصف اللّه تعالى لجبرئيل بالشدة فى مقابل التابع من الجن الذى كان ضعيفا بحيث يستطيع الإنسان أن يتسلط عليه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳

من النبى و تدلى فى الافق نحو النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

ثم، إن ذلك الشديد القوى ذا المرة الذى دنا فتدلى، أوحى إلى النبى الذى هو عبد اللّه ما أوحى.

و رجوع الضمير إلى اللّه مع عدم سبق ذكره، لا ضير فيه لوضوحه، كما قال العلامة الطباطبائى، أو على أن يكون ضمائر فأوحى إلى عبده ما أوحى راجعة الى اللّه تعالى.

ثم قال: ما كذب الفؤاد ما رأى. و المرئى هو الآيات الكبرى، و منها ما تقدم من الدنوّ، و التدلى، و كون جبرئيل بالافق الاعلى.

و ليس فى الآية ما يدل على أن الرؤية قد كانت للّه تعالى. و يدل على ما نقول قوله تعالى الآتى: «ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى. لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى».

ثم قال تعالى: أفتمارونه على ما يرى. أى اتجادلونه فى رؤيته جبرئيل، و هل هذا أمر نظرى عقلى يصح الجدال و المراء فيه؟ و هل بامكانه أن يكذب بصره و يقول: لا أراه؟! فان الكفار كانوا ينكرون الوحى له، و رؤيته الملك.

ثم قال تعالى: و لقد رآه،- و الضمير يرجع إلى ذلك الذى لا يزال يتحدث عنه-، نزلة أخرى، أى فى نزول آخر، و الذى كان ينزل عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو جبرئيل، فانه رآه و التقى معه على صورته فى نزلة ثانية عند سدرة المنتهى. و السدرة نوع من الشجر.

و لا بد أن تكون هذه الرؤية الثانية فى الارض، و إلا لوجب أن يقول: و لقد رآه نزلة أخرى، ثم عرج به الى السماء، حتى انتهى الى السدرة، فرآه عندها.

و يبدو: أنه كان فى الارض- كما يراه بعض المحققين- شجرة سدر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴

كان لقاء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بجبرئيل عندها، و عند تلك السدرة توجد جنة المأوى، أى جنة و بستان يؤوى اليها، أو أن الجنة فى الآخرة ستكون فى تلك المنطقة.

و بعض المحققين يرى: أن المراد بالنزلة الدفعة، و أنه قد رأى جبرئيل بعد العروج عند سدرة المنتهى، و ان الجنة الحقيقية موجودة هناك.

و نقول:

إن هذا الكلام خلاف ظاهر التعبير بنزلة. و تحقيق مكان الجنة ليس هنا محله.

و هكذا يتضح: أن هذه الآيات ناظرة إلى رؤية النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لجبرئيل على صورته الحقيقية مرتين فى نزلتين لجبرئيل.

و هذا هو ما أكده الامام الرضا «عليه السلام» فى رواية صحيحة السند عنه، جاء فيها: قال أبو قرة: إنا روينا: أن اللّه قسم الرؤية و الكلام بين نبيين؛ فقسم الكلام لموسى، و لمحمد الرؤية.

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: فمن المبلغ عن اللّه إلى الثقلين، من الجن و الانس: «لا تدركه الابصار. و لا يحيطون به علما. و ليس كمثله شيء»؟ أليس محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟

قال: بلى.

قال: كيف يجيىء رجل إلى الخلق جميعا؛ فيخبرهم: أنه جاء من عند اللّه، و أنه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه، فيقول: «لا تدركه الابصار. و لا يحيطون به علما. و ليس كمثله شيء»، ثم يقول: أنا رأيته بعينى، و أحطت علما، و هو على صورة البشر؟! أما تستحون؟!. ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتى من عند اللّه بشيء، ثم يأتى بخلافه من وجه آخر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵

قال أبو قرة: فانه يقول: «و لقد رآه نزلة أخرى»؟

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى»، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى»؛ فآيات اللّه غير اللّه، و قد قال اللّه: «و لا يحيطون به علما». فاذا رأته الابصار؛ فقد أحاطت به العلم، و وقعت المعرفة.

فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟!.

فقال أبو الحسن «عليه السلام»: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. و ما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علما، و لا تدركه الابصار، و ليس كمثله شيء «۱».

و فى الرواية دلالة على حجية ظواهر الكتاب، و على حجية السياق القرآنى ايضا. صلوات اللّه و سلامه عليك يا أبا الحسن و على آبائك و ابناءك الطاهرين، فانكم ما زلتم حصون الاسلام، و المدافعين عنه، و الباذلين مهجكم فى سبيله، فانتم مصابيح الدجى، و العروة الوثقى، و الحجة على أهل الدنيا.

الاسراء من المسجد:

صريح القرآن: أن الاسراء كان من المسجد، و جاء فى عدد من الروايات: أنه كان من بيت أم هانى «۲» و احتمل السيد الطباطبائى أن يكون

---

(۱) أصول الكافى ط سنة ۱۳۸۸ فى إيران ج ۱ ص ۷۴/ ۷۵. و البرهان للبحرانى ج ۴ ص ۲۴۸.

(۲) السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۶

الاسراء حصل مرتين، إحداهما من بيت أم هانى «۱».

و يحتمل أيضا التجوز، و ارادة مكة من «المسجد الحرام». و هو اطلاق متعارف، قال تعالى: «هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ» و يقال: هو يسكن فى مشهد الرضا، مع أنه يسكن فى البلد المحيطة به. و أطلق فى الروايات مسجد الشجرة على ذى الحليفة. و مثل ذلك كثير، فان من المتعارف أن يطلق على المكان الذى فيه شىء معروف اسم ذلك الشىء المعروف.

و يحتمل أيضا أن يكون «صلى اللّه عليه و آله و سلم» خرج تلك الليلة الى المسجد من بيت أم هانى، ثم اسرى به من المسجد.

موسى، و فرض الصلوات الخمس:

هذا، و قد جاء فى بعض الروايات: أن الصلوات الخمس قد فرضت حين المعراج، و أنها فرضت أولا خمسين صلاة فى اليوم. و حين عودة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» التقى بموسى، فأشار عليه أن يرجع إلى اللّه، و يسأله التخفيف، لأن الامة لا تطيق ذلك- كما لم تطقه بنو اسرائيل- فرجع، و طلب إلى اللّه التخفيف فخففها إلى أربعين، و عاد الرسول؛ فمر بموسى، فاشار عليه بطلب التخفيف، ففعل، فخففت إلى ثلاثين، ثم إلى عشرين، ثم إلى عشرة، ثم إلى خمسة، ثم استحيا الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من المراجعة من جديد فاستقرت الصلوات على خمس «۲».

---

(۱) الميزان ج ۱۳ ص ۳۱.

(۲) لقد وردت هذه الرواية فى مختلف كتب الحديث، و التاريخ عند غير الشيعة، و لذا فلا نرى حاجة لذكر مصادرها. فراجع على سبيل المثال: كشف الأستار عن مسند البزار ج ۱ ص ۴۵، و وردت أيضا فى كتب الإمامية رحمهم اللّه تعالى، و أعلى درجاتهم، فراجع: البحار ج ۱۸ ص ۳۳۰ و ۳۳۵ و ۳۴۸ و ۳۴۹ و ۳۵۰ و ۴۰۸ عن:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷

و هذه الرواية و إن كانت قد وردت فى بعض المصادر الشيعية أيضا، الا أننا لا نستطيع قبولها، و قال عنها السيد المرتضى «رحمه اللّه»: «أما هذه الرواية فهى من طريق الآحاد، التى لا توجب علما، و هى مع ذلك مضعفة «۱»».

و نحن هنا نشير الى الأسئلة التالية:

لماذا يفرض اللّه على الامة هذا العدد أولا- ثم يعود إلى تخفيفه بعد المراجعة، فانه إن كانت المصلحة فى الخمسين، فلا معنى للتخفيف، و إن كانت المصلحة فى الخمس، فلماذا يفرض الخمسين، ثم الاربعين، ثم الثلاثين و هكذا. و فى بعض الروايات: أنه كان فى كل مرة يحط عنه خمسا، حتى انتهى الى خمس صلوات.

و قد أجاب بعض المحققين عن هذا بأن ما جرى هنا ما هو إلا نظير اضافة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الركعتين الأخيرتين فى الرباعية من الصلاة اليومية؛ و نظير التكليف بعدم الفرار من الزحف، مع أنه علم أن فيكم ضعفا. و نظير الرفث الى النساء ليلة الصيام، فقد نسخت حرمته بعد وقوع المخالفات منهم؛ قال تعالى: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ؛ فَتابَ عَلَيْكُمْ، وَ عَفا عَنْكُمْ؛ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَ «۲».

و نقول: ان ما ذكره- حفظه اللّه لا يكفى لدفع ما ذكرناه، أما بالنسبة لتشريع الركعتين الأخيرتين فى الرباعية من قبله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فإن اللّه سبحانه قد فوّض له ذلك حينما يعلم «صلى اللّه

أمالى الصدوق ص ۲۷۰/ ۲۷۱ و ۲۷۴، ۲۷۵، و توحيد الصدوق ص ۱۶۷/ ۱۶۸، و علل الشرائع ص ۵۵/ ۵۶، و الخصال ج ۱ ص ۱۲۹.

(۱) تنزيه الأنبياء ص ۱۲۱.

(۲) البقرة: ۱۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸

عليه و آله و سلم» بتحقق مصلحته و مقتضيه فى متن الواقع.

و اما بالنسبة لحكم الفرار من الزحف، و حكم الرفث الى النساء، فان المقصود ب: «علم أن فيكم ضعفا». و «علم انكم كنتم تختانون انفسكم» هو تحقق معلوم اللّه سبحانه فى الخارج. أى أن الحكم السابق، و هو حرمة الفرار بملاحظة قلة العدد، و حرمة الرفث قد استمر و بقى الى أن حصل الضعف و حصلت الخيانة و تغير الموضوع. فنسخ الحكم الاول، فنسخت حرمة الرفث و نسخت حرمة الفرار و ليس المراد علم اللّه بعد جهله، و العياذ باللّه.

أما السيد المرتضى، فقد أجاب «رحمه اللّه» عن التساؤل الذى طرحناه فيما سبق بنحو آخر، و هو: أن من الممكن أن تكون المصلحة أولا تقتضى الخمسين، ثم تغيرت هذه المصلحة بسبب المراجعة، و أصبحت تقتضى الخمس «۱».

و لكنه جواب منظور فيه؛ فان النبى إذا كان يعلم: أن اللّه تعالى لا يشرع إلا وفق المصلحة، فانه لا يبقى مجال لمراجعته أصلا؛ لأنه كأنه حينئذ يطلب تشريعا لا يوافق المصلحة.

و لو صحّت المراجعة هنا، و اوجبت تبدل المصلحة صحّت فى كل مورد، و اوجبت ذلك ايضا، فلماذا كانت هنا. و لم تكن فى سائر الموارد.

كما أن تعليل موسى للتخفيف بعدم طاقة الأمة، كأنه يدل على أنه يعتقد: أن هذا التشريع يخالف المصلحة.

و هذا محال بالنسبة الى اللّه تعالى. و لا يمكن صدوره لا من موسى «عليه السلام» و لا من نبينا «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

قال صاحب المعالم:

---

(۱) تنزيه الأنبياء ص ۱۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹

«المطالبة بصحة الرواية، مع أن فيها طعنا على الأنبياء بالإقدام على المراجعة فى الاوامر المطلقة» «۱».

و سؤال آخر: كيف لم يعلم اللّه تعالى: أن الأمة لا تطيق ذلك، و علم بذلك موسى؟:

و سؤال آخر، و هو: ما المراد بعدم الإطاقة؟ هل المراد بها عدم الإطاقة عقلا؟ فيرد عليه: انه لا يمكن القول بجواز التكليف بما لا يطاق؟

أو المراد به ما كان فى مستوى العسر و الحرج، المنفى فى الشرع الاسلامى، كما دلت عليه الروايات و الآيات و لا سيما قوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» «۲» و «ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» «۳» و غير ذلك من الآيات.

و مما ذكرناه يتضح: أنه لا يمكن أن يكون تعالى قد كلف بنى اسرائيل مالا يطيقون.

و اما قوله تعالى: «رَبَّنا، وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا» «۴».

فهو لا يدل على ذلك لعطف قوله «ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به» عليه؛ فيدل على أن المراد بالإصر هو ما يطاق، لا ما لا يطاق. و يمكن ان يكون المراد بالاصر: جزاء السيئات الثقيل و الشاق، أو المبادرة بعذاب الاستيصال.

و اما طلبهم أن لا يحمّلهم ما لا طاقة لهم به، فليس المراد أنه

---

(۱) معالم الدين ص ۲۰۸ مبحث النسخ.

(۲) البقرة: ۱۸۵.

(۳) الحج: ۷۸.

(۴) البقرة: ۲۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰

يحمّلهم ذلك فى التكليف الابتدائى، لأن العقل لا يجيز ذلك، بل المراد مالا طاقة لهم به، مما يتسبب عن المخالفة و هو العذاب الأليم، و العقاب العظيم.

و سؤال آخر هنا، و هو:

كيف نسى اللّه تعالى تلك التجربة الفاشلة مع بنى اسرائيل، حتى أراد أن يكررها مع أمة محمد من جديد؟!.

و لعل هذه التجربة كانت هى عذر ابراهيم الذى مر عليه محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ذهابا و ايابا عشر مرات، أو عشرين «۱» على اختلاف النقل. و لكنه لم يسأله عن شىء، و لا أمره بشىء!!.

و إن كنا نستغرب عدم سؤاله عن سر هذه الجولات المتتالية ذهابا و ايابا؟!.

و لماذا لم يلتفت نبينا الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى ثقل هذا التشريع على امته، و التفت إليه نبى اللّه موسى؟ و لماذا بقى يغفل عن ذلك خمس مرات، بل ستة أو اكثر و لا يعرف: أن هذا ليس هو الحد المطلوب، حتى يضطر موسى لأن يرصد له الطريق باستمرار، و لولاه لوقعت الأمة فى الحرج و العسر؟.

و لماذا لا ينزل اللّه العدد إلى الخمس مباشرة من دون أن يضطر الرسول إلى الصعود و النزول المتعب و المتواصل باستمرار؟!

استبعاد الاسراء و المعراج:

و بعد، فلا بد لنا من الاشارة هنا: إلى أن استبعاد الاسراء

---

(۱) لأن ابراهيم حسب نص الرواية كان فى السماء السابعة، و موسى كان فى السادسة و كان موسى يرجع النبى إلى ربه، كى يسأله التخفيف، فيرجع ثم يعود إليه فيرجعه من جديد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱

و المعراج؛ بدعوى عدم امكان تصور أن تقطع تلك المسافات الشاسعة، التى تعد بآلاف الاميال فى ليلة واحدة ذهابا و ايابا- هذا الاستبعاد- فى غير محله.

فقد حضر عرش بلقيس لدى سليمان من اليمن إلى بلاد الشام فى أقل من لمح البصر. و كان عفريت من الجن قد تكفل بأن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه.

و أما بالنسبة لنا اليوم فقد اصبح التصديق بالاسراء و المعراج اكثر سهولة، و الاقناع به أقرب منالا، و لا سيما بعد أن تمكن هذا الانسان العاجز المحدود من أن يصنع ما يمكنه من قطع ۱۳ كيلومترا فى ثانية واحدة، و لربما يتضاعف ذلك عدة مرات فى المستقبل. كما أنه قد اكتشف أن سرعة النور هى حوالى ثلاثمائة الف كيلومتر فى الثانية «۱»، بل يعتقد بعض العلماء: ان الموجات غير المرئية للجاذبية تستطيع أن تقطع العالم بلحظة واحدة من دون حاجة إلى الزمان ..

و بعد كل هذا فإنه إذا كان قطع المسافات البعيدة بهذه السرعة المذهلة ليس مستحيلا على هذا الانسان المحدود، الذى بقى الاعوام الطوال يفكر و يستعد، و يجمع الخبرات و الامكانات، فهل يستحيل على خالق الانسان و الكون، و مبدعه أن يسرى بعبده الذى اصطفاه رسولا للبشرية جمعاء، ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، و إلى ملكوت السموات، ثم يعيده إلى مكانه الأول؟!.

من اهداف الإسراء و المعراج:

اننا اذا أردنا معرفة الأهداف و الحكم، و المعجزات، و التأثيرات

---

(۱) راجع حول سرعة النور: موسوعة المعارف و العلوم ص ۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲

العميقة للإسراء و المعراج، فلا بد لنا من دراسة كل نصوصه، و فقراته، و مراحله بدقة و عمق. بعد تحقيق الصحيح منها. و حيث ان ذلك غير متيسّر بل هو متعذر علينا فى ظروفنا الحاضرة، فاننا لا بد ان نكتفى بالإشارة الى الامور التالية:

أولا: ان حادثة الإسراء و المعراج معجزة كبرى خالدة، و لسوف يبقى البشر الى الأبد عاجزين عن مجاراتها، و ادراك أسرارها و لعل اعجازها هذا اصبح اكثر وضوحا فى هذا القرن العشرين، بعد ان تعرف هذا الانسان على بعض اسرار الكون و عجائبه. و ما يعترض سبيل النفوذ الى السماوات من عقبات و مصاعب.

و اعجازها هذا إنما يكون بعد التسليم بنبوة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن طريق الخضوع لمعجزته الخالدة، و هى القرآن، او اليقين بصدقه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن أى طريق آخر، بحيث يكون ذلك موجبا لليقين بصدق اخباراته كلها؛ فاذا اخبر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بهذه الحادثة، فان اخباره مساوق لليقين بوقوعها. و هى حينئذ تكون معجزة خالدة تتحدى هذا الانسان على مدى التاريخ.

و ثانيا: يلاحظ: ان هذه القضية قد حصلت بعد البعثة بقليل، و قد بين اللّه سبحانه الهدف من هذه الجولة الكونية؛ فقال فى سورة الاسراء:

«لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا».

و إذا كان الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو الأسوة و القدوة للإنسانية جمعاء، و اذا كانت مهمته هى حمل اعباء الرسالة الى العالم بأسره، و اذا كان سوف يواجه من التحديات، و من المصاعب و المشكلات ما هو بحجم هذه المهمة الكبرى، فان من الطبيعى: أن يعدّه اللّه سبحانه إعدادا جيدا لذلك، و ليكن المقصود من قصة الاسراء

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳

و المعراج هو ان يشاهد الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعض آثار عظمة اللّه تعالى، فى عملية تربوية رائعة، و تعميق و ترسيخ للطاقة الإيمانية فيه، و ليعدّه لمواجهة التحديات الكبرى التى تنتظره، و تحمل المشاق و المصاعب و الأذايا التى لم يواجهها احد قبله، و لا بعده، حتى لقد قال حسبما نقل «ما أوذى نبى مثلما أوذيت». و على حسب نص السيوطى، و المناوى، و غيرهما: «ما أوذى احد ما أوذيت» «۱» و لا سيما اذا عرفنا: ان عمق إدراك هذا النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- و هو عقل الكل، و إمام الكل- لاخطار الانحرافات فى المجتمعات، و انعكاساتها العميقة على الاجيال اللاحقة كان من شأنه أن يعصر نفسه ألما من اجلهم، و يزيد فى تأثره و عذاب روحه حتى لقد خاطبه اللّه تعالى بقوله: «فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ «۲»».

و أيضا، فانه بالاسراء و المعراج يفتح قلبه و عقله ليكون أرحب من هذا الكون، و يمنحه الرؤية الواضحة، و الوعى الاعمق فى تعامله مع الأمور، و معالجته للمشكلات. و لا سيما إذا كان لا بد أن يتحمل مسؤولية قيادة الأمة و العالم بأسره.

و كذلك ليصل هذا النبى الأمىّ إلى درجة الشهود و العيان بالنسبة إلى ما أوحى إليه، و سمع به عن عظمة ملكوت اللّه سبحانه، و لينتقل من مرحلة السماع إلى مرحلة الرؤية و الشهود، ليزيد فى المعرفة يقينا، و فى الايمان رسوخا.

و ثالثا: لقد كان الانسان- و لا سيما العربى آنئذ- يعيش فى نطاق ضيق، و ذهنية محدودة، و لا يستطيع أن يتصور أكثر من الامور الحسية، أو

(۱) راجع: الجامع الصغير ج ۲ ص ۱۴۴ و كنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير ج ۲ ص ۸۳.

(۲) فاطر/ ۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴

القريبة من الحس، التى كانت تحيط به، أو يلتمس آثارها عن قرب.

و ذلك من قبيل الفرس، و السيف، و القمر، و النجوم، و الماء و الكلاء، و نحوها، و يشعر بالحب، و البغض و الشجاعة و غير ذلك.

فكان- و الحالة هذه- لا بد من فتح عينى هذا الانسان على الكون الارحب، الذى استخلفه اللّه فيه، ليطرح على نفسه الكثير من التساؤلات عنه، و يبعث الطموح فيه للتعرف عليه، و استكناه أسراره، و بعد ذلك احياء الامل و بث روح جديدة فيه، ليبذل المحاولة للخروج من هذا الجو الضيق الذى يرى نفسه فيه، و من ذلك الواقع المزرى، الذى يعانى منه.

و هذا بالطبع ينسحب على كل أمة، و كل جيل، و إلى الابد.

و رابعا: و الأهم من ذلك: ان يلمس هذا الانسان عظمة اللّه سبحانه، و يدرك بديع صنعه، و عظيم قدرته، من اجل ان يثق بنفسه و دينه. و يطمئن الى أنه بإيمانه باللّه، إنما يكون قد التجأ إلى ركن وثيق لا يختار له الّا الأصلح، و لا يريد له الا الخير، قادر على كل شىء، و محيط بكل الموجودات.

و خامسا: و اخيرا، انه يريد ان يتحدى الاجيال الآتية، و يخبر عما سيؤول اليه البحث العلمى- من التغلب، على المصاعب الكونية، و غزو الفضاء؛ فكان هذا الغزو بما له من طابع اعجازى خالد هو الأسبق و الاكثر غرابة و ابداعا؛ و ليطمئن المؤمنون، و ليربط اللّه على قلوبهم، و يزيدهم ايمانا كما قلنا.

الأذان:

و نحن نعتقد: أن الأذان قد شرع فى مناسبة الإسراء و المعراج كما جاء فى الخبر الصحيح، و لكنهم إنما يذكرون ذلك بعد الهجرة؛ فنحن نرجىء الحديث عنه إلى هناك، إن شاء اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵

اليهود و المسجد فى القرآن:

قال تعالى:

وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ: لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً. فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا، أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا. ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ، وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها؛ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ؛ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ، وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً. عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ، وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا، وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً، إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ: أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً. وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً «۱».

مفاد الآيات إجمالا:

فهذه الآيات الكريمة تتضمن:

أ: أحداثا أربعة هامة، هى التالية:

۱- إن بنى اسرائيل سوف يفسدون فى الارض، و يعلون علوا كبيرا، بعد أن كتب اللّه عليهم الجلاء، و ضرب عليهم الذل و المسكنة، و باؤا بغضب من اللّه.

۲- إن عبادا للّه أولى بأس شديد سوف يحاربون الاسرائليين، بعد فسادهم و علوهم، و يطأون بلادهم، و يجوسون خلال ديارهم جزاء على بغيهم و فسادهم، و يدخلون المسجد الاقصى ايضا.

---

(۱) سورة الإسراء: ۴- ۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۶

۳- إن بنى اسرائيل سوف تكثر بعد ذلك أموالهم، و أولادهم، و ذلك يحتاج إلى مدة طويلة نسبيا، و لسوف يجهزون جيشا أعظم من جيش أولئك العباد، و تكون الكرة لهم عليهم.

۴- ثم انهم بعد ان يعودوا إلى الافساد من جديد؛ فى مهلة زمنية لا بأس بمقدارها يعود أولئك العباد إلى حربهم، ليسوؤا وجوههم، و ليتبروا ما علوا تتبرا.

ب: إن حصول المرتين الاولى و الثانية، يعنى الافساد و الاول من بنى اسرائيل ثم إرسال اللّه تعالى عبادا له عليهم، أمر حتمى، لقوله تعالى: (وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا). أما المرتان الأخيرتان فهما تتوقفان على اعتبار بنى اسرائيل بما حصل، ثم اختيارهم أحد الامرين.

فلأجل ابراز عنصر الاختيار هذا و التشكيك بصدوره منهم، عبّر ب «ان»: إِنْ أَحْسَنْتُمْ الخ .. لانها تستعمل فى مقام الترديد و الشك فى صدور الإحسان منهم.

ضرب القاعدة، و إعطاء الضابطة:

ثم إنه بالنسبة للافساد الثانى قد اختار التعبير ب «إذا» كما استعمل نفس هذه الكلمة بالنسبة لافسادهم الأول، و ذلك لافادة أن اختيارهم لطريق الشر أمر حتمى. و لا شك فيه لما يعلمه اللّه فيهم من خصائص، و طموحات.

و لكن جواب الشرط قد جاء بصيغة المضارع لافادة حصول سوء الوجوه و التتبير بصورة تدريجية، ليكون ذلك أدعى فى الاذلال، و أدلّ على المساءة و لكن هذا المضارع إنما هو بملاحظة زمان تحقق الشرط فى المستقبل.

و يلاحظ هنا: كثرة المؤكدات على صدور ذلك منهم؛ فلاحظ قوله

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۷

تعالى: قَضَيْنا المشير الى حتمية ذلك لكن لا على سبيل الجبر، و إنما على سبيل الإخبار بما هو حتمى الوقوع بحسب ما يعلمه اللّه من أحوالهم.

ثم عبر بكلمة: فِي الْكِتابِ المفيدة إلى نوع التأكيد أيضا.

ثم أتى بلام الإبتداء فى أكثر من مورد، فقال: لَتُفْسِدُنَّ، وَ لَتَعْلُنَ. ثم أتى بنون التوكيد. مشفوعة بإذا التى تستعمل فى مقام الجزم بتحقق الشرط.

و عقب على ذلك باعتباره وعدا قد جاء بصيغة التحقق و الوقوع، حيث قال: فَإِذا جاءَ وَعْدُ و لم يقل: وقت أو موعد و هو يقتضى الحصول و التحقق أيضا، ثم الحقه بكلمة: بَعَثْنا، و لم يقل: سنبعث، ليشير إلى أنه أمر حاصل لا محالة، فهو يخبر عن وقوعه.

ثم عاد فكرر كونه وعدا و لكن بصيغة تؤكد وقوعه و حصوله حيث قال: وَ كانَ وَعْداً ثم وصفه بقوله: مَفْعُولًا.

و نلاحظ أيضا أنه لم يزل يعبر ب: «أمددنا، بعثنا، جعلنا، رددنا» بصيغة الخبر عن أمر حاصل، و اظهارا للثقة بحصوله أيضا. فلاحظ الآيات.

ج: إن المستفاد من هذه الآيات هو: أن من سوف تجرى لهم مع بنى اسرائيل هذه الاحداث هم جماعة واحدة، يجوسون خلال ديار بنى اسرائيل أولا، ثم ترد الكرة لبنى اسرائيل عليهم، ثم يعودون هم إلى ضرب بنى اسرائيل ضربة تسوء لها وجوههم، و يتّبروا فيها ما علوا.

و ذلك لأن الضمائر فى: «جاسوا، و عليهم، و ليسوؤا، و ليدخلوا، و دخلوه و ليتبروا»- كل هذه الضمائر ترجع إلى جماعة واحدة، عبر عنها بقوله تعالى: عِباداً لَنا، و ليس غيره فى الآيات يصلح مرجعا لهذه الضمائر- أصلا.

د: يستفاد من هذه الآيات: أن هؤلاء العباد سوف يدخلون المسجد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۸

مرتين. و أن دخولهم هذا سوف يكون على نحو واحد فى المرتين معا، أى بالقوة و القهر، و الغلبة كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

ه: إنه تعالى بعد أن ذكر الأحداث الأربعة عاد فقال: وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا و هو لبيان قاعدة كلية، و سنة إلهية فى مواجهة طغيان بنى اسرائيل و فسادهم، و هو لا يدل على أن ذلك سوف يقع منهم، بعد تلك الأحداث الأربعة، بل إن ما سوف يقع جزما هو ما ذكر. أما ما سواه فلا دليل على حدوثه، بل إن تعبيره ب «إن» الشرطية، الموضوعة للاستعمال فى غير موارد الجزم لربما يشير إلى عدم الوقوع.

و: ان المقصود ب: عِباداً لَنا قوم مؤمنون، و ذلك لاقتضاء ظاهر قوله: بَعَثْنا، و قوله: عِباداً لَنا «۱» لأن البعث، و العباد له، لم يستعملا فى القرآن- إلا ما شذ- إلا فى مقام المدح و الثناء، و لا سيما مثل قوله تعالى: إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ، و غير ذلك.

و لا أقل من أنه قصد به ما سوى الكافرين.

و لربما يشير إلى ذلك أيضا: أنه تعالى بعد أن ذكر انتصار عباده على بنى اسرائيل و ما سوف يحيق ببنى اسرائيل من سوء، و أنه جعل جهنم للكافرين حصيرا، عاد فأجمل كل ذلك على شكل قاعدة كلية، فبين: ان سنة اللّه هى أن يبشر عباده المؤمنين الذين يقفون المواقف الصالحة، و يدافعون عن دينه- كهؤلاء العباد الذين أرسلهم على بنى اسرائيل- بأن لهم أجرا عظيما. و أن الذين لا يؤمنون بالآخرة، و يفسدون فى الارض، و يعلون، علوا كبيرا، كما هو حال بنى اسرائيل قد أعتد لهم عذابا اليما، فقال:

إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ، وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

---

(۱) الميزان للعلامة الطباطبائى ج ۱۳ ص ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۹

يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً. وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً.

ثم دخل فى موضوع آخر.

و يرى العلامة المحقق البحاثة السيد الطباطبائى «رحمه اللّه»: أنه لا دليل فى الكلام- أى فى قوله تعالى: بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا يدل على كون المبعوثين (مؤمنين)؛ إذ لا ضير فى عدّ مجيئهم إلى بنى اسرائيل، مع ما كان فيه من القتل الذريع، و الاسر، و السبى، و النهب، و التخريب، بعثا إليها؛ لأنه كان على سبيل المجازاة على إفسادهم فى الأرض، و علوّهم، و بغيهم بغير الحق؛ فما ظلمهم اللّه ببعث أعدائهم، و تأييدهم عليهم، و لكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم «۱».

و نقول:

إننا لا نستطيع- بدورنا- أن نقبل: أن اللّه تعالى يؤيد الظالمين و المجرمين بأى وجه. نعم، هو يخلى بينهم و بينهم، و يوقف تاييداته لهم، و هذا غير تأييده لأولئك، و بعثهم على هؤلاء.

إلا أن يدّعى أن المراد هو التسليط عليهم. و ذلك بالتخلية فيما بينهم، و وقف التأييدات للفئة المؤمنة بسبب ما فعلته.

لكن يرد عليه: أن نسبة البعث- و الحالة هذه الى اللّه سبحانه- تصبح غير ظاهرة، و لا مقبولة.

كما أننا قد أشرنا فيما سبق إلى وجود بعض القرائن المشيرة إلى إيمان المبعوثين. فالأظهر هنا: هو أن أولئك العباد سوف يدفعهم أمر اللّه تعالى و التكليف الشرعى إلى القيام بذلك العمل؛ فيصح أن يقال: إن اللّه هو المحرك و الباعث لهم.

---

(۱) تفسير الميزان ج ۱۳ ص ۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۰

هذا ما يستفاد من الآيات بشكل عام.

بقى الكلام فى تطبيقها الخارجى؛ فهل حصل و تحقق مفادها كله فى السابق؟ أو أنه لسوف يحصل ذلك كله فى الآتى!. أو أن بعض ذلك قد حصل؟. و البعض الآخر متوقع الحصول؟!.

أقوال الرواة و المفسرين:

لقد راجعنا عددا من كتب الحديث و التفسير، فوجدنا الروايات و الانظار مختلفة و متباينة فى ذلك ..

و نحن نذكر موجزا عن تلك الروايات، و الآراء بتلخيص منّا، و ذلك على النحو التالى:

۱- عن ابن مسعود: إن الفساد الاول هو قتل زكريا، فبعث اللّه عليهم ملك النبط، ثم عادوا هم فغزوا النبط، فأصابوا منهم.

۲- عن عطية العوفى: بعث اللّه عليهم أولا- جالوت، ثم قتله طالوت على يد داود، ثم قتلوا يحيى؛ فبعث عليهم بخت نصر. و كذا عن ابن عباس.

۳- عن على: الفساد الاول قتل زكريا، و الثانى قتل يحيى، مع عدم بيان من بعث عليهم فى المرتين.

۴- عن حذيفة: المرة الأولى بخت نصر، ثم ردّهم كورش، ثم عادوا فى المعاصى، فسلط عليهم ابطنا نحوس، ثم عادوا فى المعاصى، فسلط عليهم ثالثا اسبيانوس.

۵- عن ابن زيد: الاولى قتل زكريا و يحيى، فسلط عليهم سابور ذا الاكتاف، الفارسى، من قبل زكريا، و بخت نصر من قبل يحيى.

۶- عن مجاهد: ان ملك فارس بعث جندا إليهم ليتجسسوا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۱

أخبارهم و يسمعوا حديثهم. ثم رجعت فارس، و لم يكثر قتال، و نصرت عليهم بنو اسرائيل، ثم بعث عليهم ملك فارس ببابل جيشا، أمر عليه بخت نصر؛ فدمروهم. «۱»

رأى العلامة الطباطبائى:

قال العلامة البحاثة المحقق الطباطبائى أيده اللّه تعالى:

«... و الذى يظهر من تاريخ اليهود: أن المبعوث أولا لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر، و بقى خرابا سبعين سنة. و المبعوث ثانيا هو قيصر الروم اسبيانوس، سيّر إليهم وزيره طوطوز، فخرب البيت، و أذل القوم قبل الميلاد بقرن تقريبا.

و ليس من البعيد: أن يكون الحادثتان هما المرادتان فى الآيات؛ فان الحوادث الأخرى لم تفن جمعهم، و لم تذهب بملكهم و استقلالهم بالمرة، لكن نازلة بخت نصر ذهبت بجمعهم، و سؤددهم إلى زمن كورش، ثم اجتمع شملهم بعد برهة، ثم غلب عليهم الروم، و أذهبت بقوتهم، و شوكتهم، فلم يزالوا على ذلك إلى زمن ظهور الاسلام».

قال هذا سلمه اللّه بعد أن ذكر: أنه كالمسلّم: أن إحدى هاتين النكايتين كانت على يد بخت نصر «۲».

و لكنه عاد فأورد على نفسه بأن فى الآيات إشعارا بأن المبعوث إلى بنى إسرائيل هم قوم بأعيانهم فى كلا المرتين.

(۱) راجع هذه الروايات فى الدر المنثور للسيوطى ج ۴ ص ۱۶۳- ۱۶۵ عن ابن جرير، و ابن عساكر، و ابن أبى حاتم، متفرقا. و راجع: تفسير الطبرى، و تفسير ابن كثير، و فتح القدير، و غير ذلك من التفاسير، فى تفسير الآيات فى سورة الإسراء.

(۲) تفسير الميزان ج ۱۳ ص ۴۴/ ۴۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۲

و أجاب عن ذلك بأنه مجرد إشعار؛ من دون تصريح.

و نقول: إن الضمائر حسبما تقدم ليس لها مرجع فى الكلام سوى قوله: «عبادا لنا». و هذا يدل دلالة واضحة على وحدة القوم المرسلين على بنى اسرائيل و ليس مجرد إشعار.

و مرادنا بالوحدة هو أن يكون لهم رابطة تجمعهم ككونهم فرسا، أو مسلمين مثلا. و يرد على كلامه سلمه اللّه، و على جميع الروايات المتقدمة، عن الدر المنثور و غيره ما يلى:

۱- إننا لم نجد لبنى اسرائيل كرة على بخت نصر، و لا على سابور و لا غيرهما. بل إن كورش قد أرجعهم إلى بلادهم بعد حوالى مئة سنة من اسر بخت نصر لهم. مع أن الآية تكاد تكون صريحة بأن لبنى اسرائيل كرّة على أولئك العباد المبعوثين.

۲- إن النبط لم يدخلوا المسجد مرتين و كذلك بخت نصر، و قيصر، و غيرهم ممن ذكر جميعا. و قد أشارت الآية الى أن المبعوثين سوف يدخلون المسجد مرتين.

۳- إن جميع أولئك ما كانوا من المؤمنين، بل كانوا من الطغاة و المتجبرين.

۴- إن بخت نصّر كان قبل الميلاد بست مئة سنة تقريبا «۱» و كان يحيى معاصرا للمسيح «عليه السلام» «۲» فكيف ينتقم له بخت نصّر؟ كما أن سابور متأخر عن بخت نصر، لا مقدم عليه كما فى الرواية.

(۱) تفسير الميزان ج ۱۳ ص ۴۴ و فى تاريخ الخميس ج ۱ ص ۱۷۳: من وقت تخريب بخت نصر بيت المقدس إلى مولد يحيى أربع مئة و إحدى و ستون سنة.

(۲) راجع: قصص الأنبياء للنجّار ص ۳۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۳

۵- هذا كله عدا عن الاشكال فى أسانيد تلكم الروايات «۱».

۶- إن افسادهم فى منطقة محدودة، لا يعنى كون ذلك هو المقصود من الآية التى تتحدث عن افساد كبير، و علوّ لهم فى الارض.

و لا شك انهم كانوا على مدى التاريخ أضعف من ان يكون لهم علو فى الارض كلها، بل و حتى على سابور، أو بخت نصّر او غيرهما.

رأى آخر فى الآيات:

و يحتمل البعض: أن الفساد الأول كان فى منطقة الحجاز، فبعث اللّه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عليهم، و ضربهم الضربة القاصمة، و كان دخول عمر إلى المسجد الأقصى، الذى يمثل دخول المسلمين، هو المعنى فى الآيات. و تبقى المرة الثانية ستأتى. كما و يحتمل أن تكون هى ضربة بخت نصر لهم هى الأولى، و الثانية هى ضربة عمر لهم.

و لكن ذلك لا يمكن قبوله؛ لأن عمر حينما دخل المسجد الأقصى لم يكن فى بيت المقدس أحد من اليهود، و إنما كان تحت سيطرة النصارى، الذين استولوا عليه قبل ذلك بعقود من الزمن. و كانوا يجعلون الاقذار و الاوساخ على (الصخرة)، التى هى قبلة

اليهود، بل كانت المرأة ترسل بخرقة حيضها من بلاد الروم إلى بيت المقدس لتلقى على الصخرة، مبالغة فى امتهانها، و إذلالا لليهود و احتقارا لهم «۲».

كما أنه لا معنى لارادة بخت نصّر؛ ليكون هو بطل المرة الأولى، و ذلك لما أشرنا إليه فى النقاط الست الآنفة الذكر.

---

(۱) هذه النقاط أشار إليها الأخ العلامة الشيخ ابراهيم الأنصارى حفظه اللّه تعالى فى مقاله، فى مجلة الهادى.

(۲) تقدم ذلك فى تمهيد الكتاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۴

رأى آخر:

و ثمة رأى آخر يقول: إن الفساد الأول هو انكارهم نبوة نبينا «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، و اتفقوا مع المشركين ضده.

و إرسال عباد اللّه على هؤلاء المفسدين هو ما جرى فى صدر الاسلام. فأرسل اللّه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و المسلمين عليهم؛ فضربوهم فى خيبر و قريظة؛ و قينقاع، و غير ذلك، و جاسوا خلال ديارهم، ثم دخل المسلمون المسجد الاقصى فى زمن عمر.

و الفساد الثانى هو ما جرى و يجرى منهم فى فلسطين و لبنان، و المنطقة بشكل عام، فى هذا القرن الرابع عشر، و لسوف يأتى المهدى «عجل اللّه فرجه» لينتقم منهم. و يدخل المسلمون المسجد، كما دخلوه أول مرة فى عهد عمر.

و قد قرّر بعض الاعلام هذا، و طبق الآيات عليه، على النحو التالى:

إنه ليس فى الآيات ما يدل على أن الغلبة على اليهود، و غلبة اليهود على أولئك العباد تكون فى مكان واحد محدد. و قوله تعالى: كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ يشعر، بل يدل على أن قوله: فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، هو غير دخولهم المسجد، اى انهما أمران متغايران، كما يدل على أن الجوس خلال الديار متقدم على دخولهم المسجد، و ذلك لمكان اللام فى قوله: لِيَدْخُلُوا التى هى لام العاقبة و قد تحقق ذلك فى زمن عمر. كما أن عدم ذكر دخول العباد بيت المقدس حينما بعثهم أولا يدل على أن دخول المسجد لمّا يتحقق لهم عند ذلك.

و تدل الآية على أن دخول المسجد فى الثانية يكون أشد على اليهود لقوله و ليتبروا ما علوا تتبيرا، ففسادهم الثانى يكون فى غلبتهم على البلاد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۵

المقدسة، و قتلهم المسلمين، و هذا ما يحصل فى هذا العصر. و جزاؤهم سيكون عاجلا على يد أهل قم إن شاء اللّه تعالى، أو المهدى المنتظر عجل اللّه تعالى فرجه، أو بامارته مع كون الجيش من أهل قم، و اللّه العالم.

و نقول:

هذا رأى لا يمكن المساعدة عليه، لأن ما ذكر فى تطبيق الآيات عليه مخالف لظاهرها.

فأولا: إن الظاهر: هو أن دخول المسجد سيكون عنوة و قهرا و رغما عن بنى اسرائيل. و حينما دخل المسلمون المسجد فى عهد عمر لم يكن فى بيت المقدس أحد من اليهود، و إنما كان النصارى هم المسيطرون.

فلم يحارب المسلمون اليهود ليدخلوا المسجد بالرغم عنهم، من جهة، و من جهة أخرى فان عمر قد دخل بيت المقدس صلحا و ليس عنوة، و ظاهر الآية: هو أن الدخول سيكون عنوة، معه سوء الوجوه، و فيه القهر و الغلبة على اليهود انفسهم، لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ، وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً.

و ثانيا: ما ذكر من أن اللام فى «ليدخلوا» تدل على أن الدخول سيتأخر عن الجوس خلال الديار، و أن التفريق بين الجوس خلال الديار، و دخول المسجد، يدل على ذلك أيضا. و كذا عدم ذكر الدخول للمسجد فى المرة الأولى.

إن هذا الذى ذكر، لا يدل على ذلك؛ لأن ظاهر الآيات: أنه قد اكتفى فى المرة الأولى عن ذكر دخول المسجد، بذكر الجوس خلال الديار، لأنه مستبطن له و يكون فى ضمنه، ثم اوضحه بقوله: كما دخلوه أول مرة و قوله: ليدخلوا معطوف على ليسوؤا بالواو، التى لا تدل على الترتيب الزمانى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۶

بل لعل ذكر دخول المسجد بين التتبير لما علوا، و بين سوء الوجوه للإشارة الى أن دخول المسجد سيكون فى وسط المعركة، فى المرة الثانية، و كذلك سيكون فى المرة الأولى لقوله تعالى؛ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

و إلا، فلو صح ما ذكره صاحب هذا الرأى، لوجب أن يكون الدخول الثانى للمسجد صلحا، لا عنوة، كما كان دخول عمر بن الخطاب فى السابق. و حينئذ فلا يبقى معنى لذكر دخول المسجد فيما بين قوله: لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ، و بين قوله: لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً.

و ثالثا: إنه لم يكن لليهود فى زمن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فساد فى الارض، و علو كبير فيها، و إنما كانوا فى محيط ضيق جدا محصورين فى نواحى المدينة، و كانوا مقهورين من قبل الأوس و الخزرج، و يمالئون مشركى مكة، و سائر القبائل فى المنطقة، فلا يصح أن يقال: إن لهم عُلُوًّا كَبِيراً. فضلا عن إضافة قوله: فِي الْأَرْضِ سواء قلنا: إن المراد: الأرض المقدسة، يعنى فلسطين، أو قلنا: بان المراد الارض مطلقا اى معظمها، أو السيطرة على مراكز القوة و النفوذ فيها.

وثمة رأى آخر أيضا:

و هو أن الحروب التى جرت بين العرب و اسرائيل تمثل المراحل الثلاث الأولى، و بقيت المرحلة الأخيرة، التى أشارت إليها الآية بالقول: فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ، لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ إلخ ... و هى سوف تأتى إن شاء اللّه تعالى «۱».

و هذا أيضا رأى لا يمكن المساعدة عليه؛ لأن العرب الذين حاربوا إسرائيل لم يجوسوا خلال ديار بنى اسرائيل فى حروبهم تلك، و لا دخلوا

---

(۱) هذا رأى الشيخ ابراهيم الأنصارى فى مجلة الهادى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۷

المسجد عنوة، بل إنهم ليسوا من عباد اللّه المؤمنين؛ لأنهم قد تخلوا عن دينهم، و جروا خلف شهواتهم، و استبدت بهم انحرافاتهم بشكل واضح لكل أحد.

و الروايات ماذا تقول:

لقد وردت بعض الروايات- التى ليس لها أسانيد- معتبرة- تفيد:

أن الفساد الأول هو قتل على، و طعن الحسن «عليه السلام»، و العلو الكبير هو قتل الحسين، و وعد أولاهما نصر دم الحسين، و المبعوثون أولا هم قوم قبل خروج القائم، و كان وعدا مفعولا: خروج القائم. و ثم رددنا لكم الكرة عليهم: خروج الحسين فى سبعين من أصحابه «۱».

و فى تفسير القمى: الفساد الأول: فلان و فلان، و نقضهم العهد، و العلو الكبير: ما ادّعوه من الخلافة. و وعد أولاهما: الجمل. و جاسوا خلال الديار: طلبوكم، و قتلوكم، و رددنا لكم الكرة: بنو أمية. و وعد الآخرة: القائم «عليه السلام»، و كما دخلوه أول مرة: رسول اللّه

«صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و واضح: أن مفاد هذه الروايات ليس هو محط نظر الآيات صراحة، و إنما هى- إن صحت- من باب الاشارة إلى أن ما يجرى لبنى إسرائيل، يجرى مثله لهذه الأمة أيضا؛ إذ من الواضح: أن ما ذكرناه فى مفاد الآيات لا ينسجم مع ما جاء فى هذه الروايات، كما يظهر بالملاحظة، و المقارنة.

الرأى الأمثل:

و إذ قد عرفنا معنى الآيات إجمالا، و عرفنا: أن مفادها لم يحصل و لم يقع لبنى إسرائيل بعد، لا فى تاريخهم القديم، و لا الحديث، فاننا

---

(۱) راجع: البحار ج ۵۱ ص ۵۶ و تفسير البرهان، و تفسير نور الثقلين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۸

نعلم: أن مفادها سيقع فى المستقبل، و مفادها هو:

۱- أن يفسد بنو اسرائيل فى الارض (و لتلاحظ كلمة فى الارض)، فانه لا يصدق ذلك على بلد أو قرية صغيرة فى نواحى الحجاز مثلا، بل لا بد أن يكون فسادهم و علوهم فى الارض المقدسة، أو فى الأرض بصورة عامة. أو على الاقل فى مراكز هامة، بحيث يرون انفسهم لا غالب لهم، و لا شىء يقف فى وجههم. ثم يعلون علوا كبيرا (و لتلاحظ هذه الجملة بدقة ايضا).

۲- أن يبعث اللّه عليهم عبادا له أتقياء مؤمنين، فيجوسون خلال ديارهم، و يدخلون المسجد. (و التعبير بالجوس لربما يشير إلى عدم المكث طويلا فيها)؛ لأن الجوس هو الوطء الخفيف، و هو وطأ خلال الديار او فيما بينها من دون ثبات و تحكم فيها نفسها أو لعله إشارة إلى الدخول السرى للمجاهدين.

۳- ثم يمد اللّه بنى اسرائيل بأموال و بنين، و يصير جيشهم أعظم، و يردّ لهم الكرة على السابقين.

۴- ثم يعود أولئك المؤمنون لإحتلال بلاد الاسرائيليين، و يدخلون المسجد من جديد، و يسوؤون وجوههم إلخ.

كل ذلك سوف يحصل فى المستقبل، حسبما تفيده الآيات الكريمة، مع العلم بأنه لم يحصل من ذلك شىء فى الماضى.

و يبقى ان نشير الى المؤيدات التالية:

القميّون يقاتلون الاسرائيليين:

و يؤيد ما تقدم: ما رواه المجلسى عن كتاب تاريخ قم، تأليف:

الحسن بن محمد بن الحسن القمى:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۴۹

«روى بعض أصحابنا قال: كنت عند أبى عبد اللّه «عليه السلام» جالسا؛ إذ قرأ هذه الآية: حتى «۱» إذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا، أولى بأس شديد؛ فجاسوا خلال الديار، و كان وعدا مفعولا.

فقلنا: جعلنا فداك، من هؤلاء؟

فقال- ثلاث مرات- هم و اللّه أهل قم». «۲»

و لقد قال هذا «عليه السلام» قبل ان تخلق اسرائيل باكثر من اثنى عشر قرنا، و فى حين لم يكن لليهود أية قوة فى منطقة بيت المقدس.

و قوله «عليه السلام» هذا يعنى: أن أهل قم باعتبارهم مسلمين، او قادة للمسلمين هم الذين سوف يقودون الحرب ضد بنى اسرائيل فى

المرة الأولى. و هم المعنيون بقوله: عِباداً لَنا و باقى الحديث يفهم من الآيات الكريمة؛ حيث تعود لإسرائيل الكرة عليهم بجيش أعظم. ثم يعود المسلمون بقيادة أهل قم أو بقيادة غيرهم (المهدى مثلا) ليسوؤا وجوه الإسرائيليين و ليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة.

الغرب و اسرائيل:

و ثمة رواية ضعيفة أيضا تقول: «و تشب نار بالحطب الجزل من غربى الارض، رافعة ذيلها، تدعو يا ويلها لرحلة و مثلها؛ فإذا استدار الفلك، قلتم مات أو هلك بأى واد سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم، و امددناكم بأموال و بنين، و جعلناكم اكثر نفيرا». «۳»

---

(۱) الموجود فى القرآن: (فإذا) فلعل كلمة (حتى) من كلام الراوى.

(۲) البحار ج ۶۰ ص ۲۱۶.

(۳) البحار ج ۵۲ ص ۲۷۲/ ۲۷۳. و راجع ج ۵۱ ص ۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۵۰

فهذه الرواية تشير الى أن المرة الثالثة و هى علّو الإسرائيليين و كرتهم على «عبادا لنا» لسوف تكون بمعونة غريبة، تمدهم بالمال و الجيوش حتى يصبحوا اكثر نفيرا و جندا. و لسوف تكون حربا ضروسا و قاسية، كما يفهم من لحن الرواية المشار اليها، لوصحت.

الحروب الطويلة و الصعبة:

و هذه دولة الاسلام قد ظهرت، و هى بقيادة أهل قم، و لكنها تواجه الحروب المدمرة، و المؤامرات الصعبة من قبل قوى الاستكبار العالمى.

و قد جاء فى الرواية المروية عن: على بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبى الحسن الأول «عليه السلام»، أنه قال:

«رجل من أهل قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا- تزلهم الرياح العواصف، و لا- يملون من الحرب، و لا يجبنون، و على اللّه يتوكلون، و العاقبة للمتقين». «۱»

و لربما يمكن أن نستفيد من قوله: «لا تزلّهم الرياح العواصف»: أن دولة الاسلام هذه سوف تواجه مشكلات صعبة، لا يثبت أمامها الرجال العاديون.

و من قوله: «لا- يملون من الحرب»: أنهم سوف يواجهون حروبا طويلة، يمل منها الانسان العادى. و لكنهم سوف يصمدون، و فى النهاية سوف ينتصرون إن شاء اللّه، و ذلك لقوله: «و العاقبة للمتقين».

---

(۱) البحار ج ۶۰ ص ۲۱۶. و يلاحظ وجود بعض الاختلاف بين هذا النص و بين ما فى الترجمة الفارسية لكتاب تاريخ قم. فلعل المترجم قد تصرف فى العبارة. و لعل نسخة المجلسى تختلف عن النسخة المتداولة لكتاب تاريخ قم، فليلاحظ ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۵۱

الفلسطينيون و الأرض:

و بعد كل ما تقدم، فاننا لا بد أن نشير هنا إلى أن الفلسطينيين قد هبوا للدفاع عن شرفهم و كرامتهم، و تحرير أرضهم، و الدفاع عن دينهم و اسلامهم.

و إننا فى نفس الوقت الذى نحيى فيه الشعب الفلسطينى المسلم، و نحيى المقاتلين الشرفاء و الغيارى من هذا الشعب الأبى.

فاننا نجد بعض المنظمات، التى لا تمثل الشعب الفلسطينى، و لا اكثرية المناضلين من أجل حقهم و وطنهم، قد اعرضت عن هذا الاسلام العظيم، و لم تتخذه عقيدة و منطلقا لها، بل هى لا تعرف منه الا اسمه، بل هى تحاول الابتعاد عنه، و التبرى منه، و تعتبره رجعيا و متأخرا. و ذلك لأنها تسعى وراء الحصول على مكاسب دنيوية، مادية. بل لقد اتخذت الماركسية و غيرها مذهبا و عقيدة لها؛ فبئس للظالمين بدلا.

و الأنكى من ذلك و الأشد مرارة: أننا نشهد من هذه المنظمات محاولات جادة لاجهاض الثورة الاسلامية الفلسطينية، و تضييع ثمرة جهودها و جهادها. فقاتل اللّه الخونة الافاكين أنى يؤفكون.

و لكن شذوذ هؤلاء و انحرافهم لا- يعنى أنه يجب تشويه صورة الفلسطينيين جميعا فى أذهان الشعوب المسلمة المؤمنة؛ فان ذلك سوف يكون ظلما آخر لهذا الشعب، كما أنه سوف يحرم القضية من قوة دافعة لها أهميتها. و ذلك لأن أية قضية إذا أفرغت من محتواها الانسانى؛ فانها تفقد زخمها و قوتها، و دافعها العاطفى و ذلك لأن هذا الانسان العادى ربما يخطر له: انه لماذا يقاتل و يضحى، ما دام أن الارض يمكن أن تباع و تشترى، و يقايض عليها، و الانسان وحده هو الاعلى و الأغلى؛ فلماذا إذن تزهق النفوس و الارواح فى سبيل قطعة من الأرض، ما دام يمكن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۵۲

الاستعاضة عنها بثمنها، ثم الاحتفاظ بهذا الانسان و مواهبه و طاقاته لما هو أهم، و نفعه أعم.

و حتى المسجد أيضا، فليكن لأنصاف الحلول فيه مجال، و لن يمانع الاسرائيليون فى وصول المسلمين إلى مسجدهم فى كل حين، و ممارسة عباداتهم فيه بحرية، إذا كانوا هم الحكام، أو كان تحت مظلة الامم المتحدة.

نعم، يمكن أن يخطر كل هذا فى ذهن الانسان العادى. و لربما يؤثر هذا الخاطر على تعامله مع أقدس قضية، فيما إذا فصل الجانب الإنسانى و العاطفى و الاسلامى عن الأرض، فيضعف الدافع لتحريرها. و هناك الكارثة الحقيقية و الخيانة و الجريمة الكبرى.

إذن، فلا- بد و أن تبقى المآسى و المظالم التى تعرّض و يتعرض لها الشعب الفلسطينى ماثلة للعيان أمام المقاتل المسلم و المؤمن بعدالة قضيته، ليندفع إلى التضحية و الفداء فى سبيل قضيته المقدسة، بروح رضية، و نفس أبية، و ليمتزج من ثم. الوعى بالعاطفة، و كلاهما بالايمان.

مع التأكيد على أنه ليس للمسؤولين و السياسيين أن يربطوا مصيرهم و مصير أمتهم بأولئك المنحرفين، و لا أن يثقوا بهم، لأن أولئك المنحرفين سوف يدفعونهم فى النهاية ثمنا لمصالحهم، و يساومون عليهم و بهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۵۳

الباب الثانى: حتى وفاة أبى طالب

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۵۵

الفصل الأول: حتى الهجرة الى الحبشة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۵۷

أهداف الإسلام:

إن من الواضح: أن أهداف الإسلام القصوى ليست هى مجرد تحقيق العدل، و لو بمفهومه الأوسع، إذ لو كان كذلك لم يبق معنى للأوامر الداعية إلى الجهاد و التضحية بالنفوس فى سبيل اللّه و المستضعفين، إذ لماذا يتخلى هذا الشخص عن نفسه و عن حياته فى حين يبقى الآخرون يتمتعون بالحياة، و بمباهجها و لذائذها؟!.

كما أنه لو كان العدل هو الهدف فلا يبقى معنى لمحبوبية الإيثار على النفس و مطلوبيته له تعالى. ثم مدح من يفعل ذلك من الناس كما فى قوله تعالى:

وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ «۱».

كما أنه لا معنى لنهى الإنسان عن الحقد و الحسد، و غير ذلك مما لا يمكن تتبعه و اسقصاؤه.

فإن ذلك كله و سواه ليدل على أن الهدف ليس هو مجرد تحقيق العدل، و إنما هو فوق، و أهم، و أقدس من ذلك.

إنه تجسيد إنسانية الإنسان، و إظهار كنوزها، و الإرتفاع بهذا الإنسان إلى مستوى الجدارة الحقيقية لأن يمثل النوذج الذى يريده اللّه للإنسان

---

(۱) سورة الحشر: ۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۵۸

الكامل، و ليس العدل و سواه من كمالات و فضائل، إلا واحدا من تلك المراحل و الوسائل الموصلة إلى ذلك الهدف المقدس و الأسمى، الذى يستبطن فى داخله: كل العدل، و كل الكمالات و كل الفضائل، و أخيرا كل السعادة، و الفوز و النجاح.

هذا هو هدف الإسلام، و هذا ما يسعى إليه، و يعمل من أجل الوصول و الحصول عليه.

و ليس أدل على ذلك من الآية الكريمة التى تحدد مهمة النبى الرسول، بأنه يعلم الناس الحكمة، و يطهرهم، و يزكيهم، بالإضافة إلى تبليغ رسالة اللّه لهم، قال تعالى: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ، وَ يُزَكِّيهِمْ، وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ، وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ «۱».

و ليلاحظ: أيضا قوله تعالى: ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ، وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ. وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «۲».

و من يراجع الآيات القرآنية يجد الكثير الكثير مما يدل على ذلك دلالة واضحة، حتى إن ذلك لا يحتاج إلى أى بيان أو توضيح، و لا إلى المزيد من الدلالات و الشواهد.

الحاجة إلى الوزير و الوصى:

و بعد أن عرفنا حقيقة هدف الإسلام، فإننا نعرف: أن مهمته شاقة و عسيرة جدا لأنها تصطدم أولا و بالذات بالإنسان الفرد، حيث لا بدّ له من السيطرة على غرائزه و شهواته و طموحاته، ليوجهها و يستفيد منها فى مجال بناء الشخصية الإنسانية المثالية و الفضلى.

كما أنها تهدف إلى التغيير الجذرى فى البنية الإجتماعية و السياسية

---

(۱) سورة الجمعة/ ۲.

(۲) سورة المائدة/ ۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۵۹

و غيرها للمجتمع، ليقتلع كل جذور الشر، و يستأصل كل عوامل الإنحراف؛ ليغرس عوضا عنها كل معانى الخير و الصلاح، و البركة و الفلاح.

نعم، إنها مهمة شاقة و عسيرة جدا، و لا أشق و لا أعسر منها، و هى تحتاج لإنجازها ثم إلى استمرارها إلى جهد هائل و مستمر، ما دام أن الإنسان يحمل فى داخله عوامل التغيير و التحول، التى منحه اللّه إياها لتكون عوامل لبقائه و سعادته و لراحته، و أعطاه أيضا وسائل ضبطها و الهيمنة عليها و توجيهها.

و لكن تلك الوسائل كثيرا ما تضعف عن السيطرة على تلك العوامل. و لسوف يبقى هذا الخطر قائما، ما دام ذلك الصراع قائما. و إذا كان الصراع مستمرا باستمرار وجود الإنسان على مدى الزمان، و كان خطر الشذوذ و الإنحراف مستمرا أيضا: فإن الأنبياء سيكونون بحاجة إلى مواصلة القيام بمهمة التربية و التزكية، و غرس الفضائل الإنسانية و الأخلاقية فى نفوس الناس، بالإضافة إلى الإستمرار فى تلاوة الآيات القاهرة للعقل؛ و المرضية للوجدان، و بالإضافة إلى تعليم الشريعة و الاحكام، ثم الإشراف على تطبيقها، و الرقابة المستمرة على ذلك.

و من هنا تبرز الحاجة إلى الوزير و الوصى، و النصير و الأخ و الولى، و الخليفة للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فجاء تنصيب على «عليه السلام» من قبل الرسول الأكرم صلوات اللّه عليه و آله هو الحركة السليمة و الطبيعية فى خط الجهاد و الدعوة إلى اللّه سبحانه.

و ما يوم الدار، و ما جرى من تنصيب على «عليه السلام» فيه خليفة و وزيرا و وصيا للرسول إلا واحدا من تلك المناسبات الكثيرة التى جرى فيها التأكيد على هذا الأمر، و ترسيخه بصورة قوية و حاسمة. فإلى حديث الدار فى ما يلى من مطالب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۰

و أنذر عشيرتك الأقربين:

إنه بعد السنوات الثلاث الأولى بدأت مرحلة جديدة و خطيرة و صعبة، هى مرحلة الدعوة العلنية إلى اللّه تعالى.

و قد بدأت أولا- على نطاق ضيق نسبيا، حيث نزل عليه صلى اللّه عليه و آله قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ «۱» فيقول المؤرخون، (و النص للطبرى)، ما ملخصه:

أنه لما نزلت هذه الآية دعا عليا «عليه السلام»؛ فأمره أن يصنع طعاما، و يدعو له بنى عبد المطلب ليكلّمهم، و يبلغهم ما أمر به.

فصنع على عليه السلام صاعا من طعام، و جعل عليه رجل شاة، و ملأ عسّا من لبن، ثم دعاهم، و هم يومئذ أربعون رجلا، يزيدون رجلا، أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، و حمزة و العباس، و أبو لهب.

فأكلوا

قال على «عليه السلام»: فأكل القوم، حتى مالهم بشىء من حاجة، و ما أرى إلا موضع أيديهم، و أيم اللّه الذى نفس على بيده، و إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم.

ثم قال: إسق القوم؛ فجئتهم بذلك العس؛ فشربوا منه حتى رووا منه جميعا، و أيم اللّه، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: لقدما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، و لم يكلمهم الرسول صلى اللّه عليه و آله.

فأمر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عليا فى اليوم الثانى: أن يفعل كما فعل آنفا، و بعد أن أكلوا و شربوا قال لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: يا بنى عبد المطلب، إنى و اللّه ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه

---

(۱) الشعراء/ ۲۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۱

بأفضل مما قد جئتكم به، إنى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة. و قد أمرنى اللّه تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأيكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى، و وصيى، و خليفتى فيكم.

قال: فأحجم القوم عنها جميعا، و قال على: أنا يا نبى اللّه أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتى، ثم قال:

إن هذا أخى، و وصيى، و خليفتى فيكم؛ فاسمعوا له و أطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون، و يقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لإبنك و تطيع.

و فى بعض نصوص الرواية: أنه لما قام على «عليه السلام» فأجاب، أجلسه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

ثم أعاد الكلام، فأجابه على، فأجلسه، ثم أعاد عليهم، فلم يجيبوا، و أجاب على «عليه السلام»، فقال له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ذلك.

و على حسب نص الإسكافى: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال:

هذا أخى، و وصيى، و خليفتى من بعدى. و أنهم قالوا لأبى طالب: أطع إبنك، فقد أمره عليك «۱».

---

(۱) راجع هذه القضية فى: تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۶۳، و مختصر تاريخ أبى الفداء ج ۲ ص ۱۴ ط دار الفكر بيروت و شواهد التنزيل ج ۱ ص ۳۷۲ و ۴۲۱ و كنز العمال الطبعة الثانية ج ۱۵ ص ۱۶/ ۱۱۷ و ۱۱۳ و ۱۳۰ عن ابن اسحاق، و ابن جرير، و صححه و أحمد، و ابن ابى حاتم، و ابن مردويه، و أبى نعيم، و البيهقى معا فى الدلائل، و تاريخ ابن عساكر، ترجمة الامام على بتحقيق المحمودى ج ۱ ص ۸۷ و ۸۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۴۴ عن الاسكافى، و حياة محمد لهيكل الطبعة الأولى ص ۲۸۶. و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۵۹ و راجع أيضا المصادر التالية:

كفاية الطالب ص ۲۰۵ عن الثعلبى و منهاج السنة ج ۴ ص ۸۰ عن البغوى و ابن أبى حاتم و الواحدى و الثعلبى و ابن جرير، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۱۱، و فرائد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۲

التعصب الأعمى:

و لا بد أن نشير هنا: إلى أن الطبرى، قد ذكر هذا الحديث فى تاريخه على النحو المتقدم. و لكنه ندم على ذلك- على ما يظهر- فذكر نفس هذا الحديث فى تفسيره برمّته حرفيا، متنا و سندا، و لكنه غير فيه عبارة واحدة، فذكرها على النحو التالى:

«فأيكم يوازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخى، و كذا و كذا.

إلى أن قال: ثم قال: إن هذا أخى و كذا و كذا «۱»»!!

و قد تبعه على هذا إبن كثير الشامى أيضا؛ فلم تسمح نفسه بذكر ما فى تاريخ الطبرى. بل نقل خصوص ما فى التفسير، مع أن تاريخ الطبرى هو مصدره و معتمده فى تاريخه «۲»!!

كما أن محمد حسنين هيكل بعد أن ذكر فى كتابه حياة محمد، فى الطبعة الأولى ص ۱۰۴ نص الطبرى فى التاريخ. عاد فحذف من الطبعة

السمطين، بتحقيق المحمودى ج ۱ ص ۸۶، و اثبات الوصية للمسعودى ص ۱۱۵/ ۱۱۶، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۶۰/ ۴۵۹. و الغدير ج ۲ ص ۲۷۸- ۲۸۴ عن بعض من ذكرنا و عن: انباء نجباء الابناء ص ۴۶- ۴۷، و شرح الشفاء للخفاجى ج ۳ ص ۳۷، و تفسير

الخازن ج ص ۳۹۰، و كتاب سليم بن قيس و غيرهم. و خصائص النسائى ص ۸۶ الحديث ۶۳.

و راجع: البحار ج ۳۸ و الدر المنثور ج ۵ ص ۹۷ عن مصادر كنز العمال لكنه حرف فيه و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۳۰۲ عن عدد من الحفاظ باسقاط منه أيضا، و ينابيع المودة ص ۱۰۵ و غاية المرام ص ۳۲۰ و ابن بطريق فى العمدة، و تفسير الثعالبى، و تفسير الطبرى ج ۱۹ ص ۷۵، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۴۰، و تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۳۵۰ و ۳۵۱.

(۱) راجع تفسير الطبرى ج ۱۹ ص ۷۵.

(۲) راجع: تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۳۵۱، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۴۰ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۳

الثانية ص ۱۳۹ ط سنة ۱۳۵۴ ه. قوله: «و خليفتى فيكم» و اقتصر على قوله: «و يكون أخى و وصيى» و ذلك لقاء خمسمأة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه «۱».

إبن تيمية، و حديث الدار:

أما إبن تيمية، فقد انكر- على عادته- فى إنكار فضائل سيد الأوصياء أمير المؤمنين «عليه السلام»- حديث الدار، و أورد عليه بما ملخصه:

أولا: إن فى سند رواية الطبرى أبو مريم الكوفى، و هو مجمع على تركه، و قال أحمد: ليس بثقه، و اتهمه إبن المدينى بوضع الحديث الخ.

و ثانيا: تنص الرواية على أنه قد جمع بنى عبد المطلب و هم أربعون رجلا.

و من الواضح: أنه حين نزول الآية لم يكن بنو عبد المطلب بهذه الكثرة.

و ثالثا: قول الرواية إن الرجل منهم ليأكل الجذعة، و يشرب الفرق من اللبن، كذب، إذ ليس فى بنى هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعا، و يشرب فرقا.

و رابعا: إن مجرد الإجابة للمعاونة على هذا الأمر لا يوجب أن يكون المجيب وصيا و خليفة بعده صلى اللّه عليه و آله؛ فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى الإسلام، و أعانوه على هذا الأمر، و بذلوا أنفسهم و أموالهم فى سبيله. كما أنه لو أجابه الأربعون؛ أو جماعة منهم فهل يمكن أن يكون الكل خليفة له.؟

و خامسا: إن حمزة، و جعفرا، و عبيدة بن الحرث قد أجابوا إلى ما

---

(۱) راجع: فلسفة التوحيد و الولاية ص ۱۷۹ و ۱۳۲ و سيرة المصطفى ص ۱۳۱ و ۱۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۴

أجاب إليه على، بل حمزة أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلا «۱».

الرد على ابن تميمية:

و لكن كل ما ذكره إبن تيمية لا يصح، و لا يلتفت إليه، و ذلك لما يلى:

ألف- فأما بالنسبة لما ذكره أولا عن أبى مريم، فقد قال إبن عدى:

سمعت إبن عقدة يثنى على أبى مريم و يطريه، و تجاوز الحد فى مدحه «۲» و أثنى عليه شعبة «۳».

و قال عنه الذهبى: كان ذا اعتناء بالعلم و بالرجال «۴».

و عدا عن ذلك فقد صرحوا بسبب تضعيفهم له، و هو كونه شيعيا.

و نحن نرى أن ذلك لا يضره؛ فقد روى أصحاب الصحاح، و لا سيما البخارى و مسلم عن عشرات الشيعة «۵».

و مع غض النظر عن ذلك؛ فإن المتّقى الهندى قد نقل عن الطبرى:

أنه قد صحح هذا الحديث «۶».

كما و صححه الإسكافى المعتزلى «۷» و صححه أيضا: الخفاجى فى شرح الشفاء «۸».

و قد رواه أحمد بسند جميع رجاله رجال الصحاح بلا كلام، و هم:

---

(۱) منهاج السنة ج ۴ ص ۸۱- ۸۳.

(۲) راجع: الغدير ج ۲ ص ۲۸۰، و لسان الميزان ج ۴ ص ۴۳.

(۳) لسان الميزان ج ۴ ص ۴۲.

(۴) و (۵) ميزان الاعتدال للذهبى ج ۲ ص ۶۳۱ و ۶۴۰، و لسان الميزان ج ۴ ص ۴۲.

(۶) كنز العمال ج ۱۵ ص ۱۱۳.

(۷) راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۴۴.

(۸) راجع: الغدير ج ۲ ص ۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۵

شريك، و الأعمش، و المنهال، و عباد، و على «عليه السلام» «۱».

و لو سلم كل ذلك؛ فإن طرق الحديث مستفيضة، يقوى بعضها بعضا؛ فلا يضر ضعف بعض الرجال فى بعض الأسانيد.

و أعجب من ذلك دعوى أن لا تكون قضية الخلافة بعده صلى اللّه عليه و آله مذكورة فى المسانيد، فإن من راجع المصادر التى ذكرناها للحديث آنفا؛ يعرف أنها موجودة فى عشرات المصادر و المسانيد.

و أما الطعن فى رواية إبن أبى حاتم باشتمال سندها على عبد اللّه بن عبد القدوس. و قد ضعفه الدارقطنى، و قال النسائى: ليس بثقة. و قال إبن معين: ليس بشىء، رافضى خبيث.

أما هذا- فقد قال الشيخ المظفر: «رحمه اللّه» تعالى فى جوابه:

«و فيه: أن تضعيفهم معارض بما فى تقريب ابن حجر: أنه صدوق.

و فى تهذيب التهذيب: قال محمد بن عيسى: ثقة.

و ذكره إبن حبّان فى الثقات.

و قال البخارى: هو فى الأصل صدوق، إلا أنه يروى عن أقوام ضعاف. مع أنه أيضا من رجال سنن الترمذى.

و مدح هؤلاء مقدم؛ لعدم العبرة فى قدح أحد المتخالفين فى الدين فى الآخر، و يقبل مدحه فيه. و هم قذفوه بذلك؛ لأنهم رموه بالتشيع، و لا نعرفه فى رجالهم.

لكن قد ذكر ابن عدى: أن عامة ما يرويه فى فضائل أهل البيت.

و لعل هذا هو سر تهمتهم له «۲».

---

(۱) راجع: المصدر السابق، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۱۱.

(۲) دلائل الصدق ج ۲ ص ۲۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۶

۲- و أما ذكره إبن تيمية ثانيا: فإن الظاهر هو أن كلمة (عبد) زيادة من الرواة، بدليل: أن عددا من الروايات يصرح بأنه قد دعا بنى هاشم «۱» و جاء فى روايات أخرى: انه دعا بنى عبد المطلب، و نفرا من بنى المطلب «۲» فلعل الأمر قد اشتبه على الراوى و أضاف كلمة «عبد»، و هذا كثير. و عليه فلا يلزم من ذلك كذب أصل الواقعة المتفق عليها إجمالا.

كما أن أبناء عبد المطلب إذا كانوا عشرة، و كان أصغرهم يصل عمره حينئذ إلى ستين عاما؛ فلماذا لا يكون لهم من الولد ما لو انضموا إليهم لبلغوا أربعين رجلا، بل اكثر من ذلك بكثير، و ما وجه الإستبعاد لذلك؟

۳- و أما ما ذكره ثالثا: فقد أجاب عنه الشيخ المظفر: بأن عدم معروفيتهم بالأكل لا تدل على عدم كونهم كذلك، فلعلهم كذلك فى الواقع.

و لو سلّم؛ فإنه يلزم منه مبالغة الراوى فى إظهار معجزة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى إطعامهم رجل الشاة، و عسّ اللبن الواحد «۳».

۴- و أما ما ذكره إبن تيمية رابعا: فجوابه ما ذكره الشيخ المظفر من أن قوله هذا ليس علة تامة للخلافة، و لم يدّع ذلك النبى صلى اللّه عليه و آله، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته، بل أمره اللّه بإنذار عشيرته؛

---

(۱) كما فى السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۵۹ عن ابن أبى حاتم و كذا فى البداية و النهاية ج ۳ ص ۴۰، راجع كنز العمال ج ۱۵ ص ۱۱۳، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۱۱ و تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۳۵۰ و ابن عساكر ترجمة الامام على بتحقيق المحمودى ج ۱ ص ۸۷، و اثبات الوصية للمسعودى ص ۱۱۵، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۷، و مسند البزار مخطوط فى مكتبة مراد رقم ۵۷۸.

(۲) الكامل لابن الأثير ج ۲ ص ۶۲ ط صادر.

(۳) دلائل الصدق ج ۲ ص ۲۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۷

لأنهم أولى بالدفع عنه و نصره؛ فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم، و ليعلم من أول الأمر: أن هذه المنزلة لعلى «عليه السلام» لأن اللّه و رسوله يعلمان:

أنه لا يجيب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و يوازره غير على «عليه السلام»؛ فكان ذلك من باب تثبيت إمامته، بإقامة الحجة عليهم. و مع فرض تعدد المجيبين يعين الرسول الأحق بها منهم «۱».

و قد أوضح ذلك المحقق البحاثة السيد مهدى الروحانى: بأن الخطاب إنما هو للجميع، لكن النبى صلى اللّه عليه و آله كان يعلم من خلقهم و علاقاتهم، و طبائعهم: أنهم سوف لا يجيبون إلا على «عليه السلام»، هذا بالإضافة إلى إعلام اللّه له بذلك.

و نقول نحن: و يؤيد ذلك النص الذى سوف يأتى نقله عن البحار، عن ابن طاووس، تحت عنوان: «ماذا قال النبى صلى اللّه عليه و آله يوم الانذار». و قد قلنا هناك: إن ذلك النص هو المنسجم مع الآية الكريمة، و قد جاء فيه: «إن اللّه لم يبعث رسولا إلا جعل له أخا، و وزيرا، و وصيا، و وارثا من أهله، و قد جعل لى وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلى .. إلى أن قال: و قد و اللّه أنبأنى به، و سماه لى، و لكن أمرنى أن أدعوكم و أنصح لكم، و أعرض عليكم لئلا تكون لكم الحجة فيما بعد» «۲».

و احتمل صديقنا المحقق الروحانى: أن يكون الخطاب لواحد منهم على سبيل البدل، و لذا قال لهم: أيكم يؤازرنى الخ .. فالمجيب أولا هو الذى يستحق ما وعد به «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و إجابة أكثر من واحد بعيدة الوقوع جدا، و لا يعتنى باحتمالها عرفا. لا سيما و أن الذى يضرّ هو التقارن فى الإجابة، و ذلك أبعد و أبعد. هذا مع علمه صلى اللّه عليه و آله بأنه لا يجيب سوى واحد منهم.

---

(۱) دلائل الصدق ج ۲ ص ۲۳۶.

(۲) البحار ج ۱۸ ص ۲۱۵/ ۲۱۶، عن: سعد السعود ص ۱۰۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۸

و لكن قد ذكر بعض الأعلام: أن كون المراد هو المؤازرة فى الجملة بعيد؛ لكون المسلمين على اختلاف مراتبهم قد وازروه فى الجملة.

فالمراد هو المؤازرة فى جميع الامور و الاحوال. و الموازرة الكاملة فى الدين تحتاج إلى أعلى درجات الوعى، و العلم، و السمو الروحى إلى درجة العصمة. الأمر الذى يعنى: أن شخصا كهذا هو الذى يستحق الإمامة، و لا يستحقها سواه؛ ممن تلبس بالظلم، كما قال تعالى: «لا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ». و ليس ذلك سوى على «عليه السلام».

أضف إلى ذلك: أن إمامة و خلافة على «عليه السلام»، إنما هى بجعل من اللّه سبحانه و تعالى، لا بجعل من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لتترتب على المؤازرة المنشودة، و المرغّب بها، مع علم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعدم إجابة غير على «عليه السلام»، فيكون ما جرى فى يوم الإنذار لأجل إقامة الحجة، و قطع كل عذر. فكلام المظفر هو الأولى و الأقرب انتهى.

و أما ما ذكره ابن تيمية خامسا، و أخيرا فهو لا يصح أيضا بأى وجه:

أولا: لأن وجود حمزة إنما يضر، لو كان قد اسلم قبل نزول آية الانذار، و نحن لم نستطع: أن نحتمل ذلك، فضلا عن أن نجزم به؛ إذ من القريب جدا، بل هو ظاهر، إن لم يكن صريح ما ورد فى كيفية إسلام حمزة: أن يكون إسلامه بعد الإعلان بالدعوة، و بعد وقوع المواجهة بين النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و قريش، و بعد مفاوضاتها لأبى طالب.

و ثانيا: لو سلّم فإن إنذار عشيرته يمكن أن يكون أثناء الدعوة السرية، و قبل إسلام حمزة، حتى لو كان قد أسلم فى الثانية من البعثة، و يكون ما جرى بين حمزة و أبى جهل، بمثابة إعلان جزئى للدعوة. و تكون قريش قد بدأت تتعرض لشخص النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حتى فى الدعوة السرية، و أما بالنسبة لسائر من أسلم فقد كان ثمة محدودية فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۶۹

التعامل معهم، و سرية بالنسبة لمن يدخل فى الإسلام منهم. و يدل على ما ذكرناه: أنهم يذكرون: أن قوله تعالى: «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ» كان هو السبب فى إخراج الدعوة من السر إلى العلن. و لا ريب أن إنذار العشيرة كان قبل ذلك.

و ثالثا: إن وجود حمزة، إن كان قد أسلم آنئذ، كوجود أبى طالب بينهم، فلعلهما كانا يريان أنهما غير مقصودين بهذه الدعوة. و لا سيما إذا كانا يدركان: أن بقاءهما إلى ما بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أبعد احتمالا؛ فإن سنّ حمزة كان يقارب سن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، كما يدّعون، و لكننا نعتقد: أنه كان أكبر من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بأكثر من عشرين سنة، لأنه كان أكبر من عبد اللّه، والد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و الذى كان أصغر أولاد عبد المطلب.

و هكذا يقال بالنسبة للعباس أيضا.

و أما ابو طالب؛ فإنه كان شيخا هرما لا يحتمل البقاء إلى ما بعد وفاته صلى اللّه عليه و آله، فلا معنى لأن يقدّم أى منهما نفسه على أنه خليفته من بعده، أو على الأقل هكذا فكرا آنئذ.

و هكذا يتضح: أن جميع ما جاء به إبن تيمية إنما كان كسراب بقيعة، أو كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف.

نقاط هامة فى حديث الإنذار

الف- روايات لا يمكن أن تصح:

هذا، و قد حاول إبن تيمية أن يقوى جانب روايات أخرى تبعد عليا و أهل البيت عن الأنظار، بل و تستبعد الهاشميين منه عموما أيضا كتلك الروايات التى فى الصحيحين، و التى تقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۰

و سلم» جمع قريشا- حين نزل قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فاجتمعوا، فخصّ و عمّ، فقال: يا بنى كعب بن لؤى، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار الخ «۱».

و فى رواية أخرى: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» جمع بنى هاشم و أجلسهم على الباب، و جمع نساءه فأجلسهم فى البيت. ثم كلّم بنى هاشم، و بعد ذلك أقبل على أهل بيته؛ فقال: يا عائشة بنت أبى بكر، و يا حفصة بنت عمر، و يا أم سلمة، و يا فاطمة بنت محمد، و يا أم الزبير عمة رسول اللّه، اشتروا أنفسكم فى اللّه، و اسعوا فى فكاك رقابكم؛ فانى لا أملك لكم من اللّه شيئا، و لا أغنى؛ فبكت عائشة و قالت .. ثم تذكر الرواية محاورة لها معه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۲».

و ثمة نصوص أخرى كلها تؤكد على دعوته قريشا و إنذاره لها.

و هذه الروايات لا يمكن أن تصح.

فأولا: لقد تقدم: أن فاطمة صلوات اللّه و سلامه عليها لم تكن حينئذ قد ولدت.

---

(۱) راجع: منها ج السنة ج ۴ ص ۸۳، و الدر المنثور ج ۵ ص ۹۵ و ۹۶ عن: أحمد، و عبد بن حميد، و البخارى، و مسلم، و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه و البيهقى عن عائشة، و أنس، و عروة بن الزبير، و البراء، و قتادة، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۷.

(۲) الدر المنثور ج ۵ ص ۹۶ عن: الطبرانى، و ابن مردويه، عن أبى أمامة، و هذه الروايات موجودة فى مصادر كثيرة أخرى و لا سيما تلك التى ذكرناها فى أوائل هذا البحث كمصادر للنص الأول.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۱

و ثانيا: إن عائشة «۱» و حفصة، و أم سلمة لم يكنّ من أزواجه حينئذ، و لاكنّ من أهله، و إنما صرن من أهله فى المدينة بعد ذلك بسنين كثيرة .. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۳ ۷۱ الف - روايات لا يمكن أن تصح: ..... ص : ۶۹

و ثالثا: إن هذه الروايات تناقض ما ورد من أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنما دعا قريشا و بادءها حين نزل قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ.

و ليس حين نزل قوله تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.

و رابعا: ان هذه الروايات تناقض نص الآية نفسها، فانها تأمره بانذار العشيرة الأقربين، لا مطلق عشيرته، و لا مطلق الناس، و عشيرته الأقربون إما هم بنو هاشم، أو بنو عبد المطلب، و المطلب.

و القول بتعدد الإنذار: لا يدفع الإشكال، بعد تصريح الروايات:

بأن مفادها قد وقع حين نزول الآية عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و هذا كله مع غض النظر عما فى أسانيد هذه الروايات، فإن جميع رواتها- كما يقولون- لم يدركوا زمان إنذار عشيرته «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

ب- ما المراد بكونه خليفته فى أهله:

و قد ذكر الشيخ المظفر (ره): أن من الواضح: أن قوله: خليفتى فيكم، أو فى أهلى لا يضر، ما دام أن ثمة إجماعا على عدم جواز وجود خليفتين: خاص، و عام. فخلافته الخاصة تقتضى خلافته المطلقة. و لعل الأصح هو: أنه قال- كما فى الروايات الأخرى-: «من بعدى»، أو أنه قال: «فيكم»، باعتبار أنهم من المسلمين.

---

(۱) و الغريب فى الأمر: أنهم يعتقدون: أن عائشة إنما ولدت فى الخامسة من البعثة، و الانذار للعشيرة كان فى الخامسة، فهم يناقضون أنفسهم مناقضة صريحة، و إن كنا نحن نعتقد: أن عائشة قد ولدت قبل البعثة بسنوات، كما سنشير إليه إن شاء اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۲

و أما القول بأن المقصود: هو أنه القائم بشؤونهم الدنيوية؛ فيكذبه الواقع؛ فإن عليا «عليه السلام» لم يكن كذلك بالنسبة لأى من الهاشميين. و لو كان المقصود هو خصوص الحسنين عليهما السلام، و فاطمة صلوات اللّه و سلامه عليها، فإن من الواضح أنهما و كذلك أمهما ما كانوا قد ولدوا بعد. كما أن نفقة هؤلاء واجبة عليه بالأصالة لا بالخلافة، و أما غيرهم فلم يكن «عليه السلام» مكلّفا بالإنفاق عليه، و لا كان يفعل ذلك «۱».

أضف إلى ذلك كله: أنه بعد أن يصبح الإنسان رجلا عاقلا و كاملا، فإنه لا يبقى بحاجة إلى ولىّ يدبّر شؤونه، بل يستقل هو نفسه فى ذلك.

و على هذا، فلا يبقى للولى و للخليفة معنى. إذا كان هذا هو المراد.

و نشير هنا إلى أن الدواعى كانت متوفرة لتحريف هذه الواقعة، و جعلها خاصة بالخلافة على الأهل، و لا تشمل الخلافة العامة التى هى موضع الأخذ و الرد كما هو معلوم.

ج- لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة؟!:

هذا و لا يخفى أن الإهتمام بدعوة عشيرته الأقربين كان خير وسيلة لتثبيت دعائم دعوته، و نشر رسالته؛ لأن الإصلاح يجب أن يبدأ من الداخل، حتى إذا ما استجاب له أهله و قومه، اتجه إلى غيرهم بقدم ثابتة، و عزم راسخ و مطمئن.

كما أن دعوته لهم سوف تمنحه الفرصة لاكتشاف عوامل الضعف و القوة فى البنية الداخلية، من حيث ارتباطاته و علاقاته الطبيعية، و ليعرف مقدار الدعم الذى سوف يلاقيه؛ فيقدر مواقفه، و إقدامه، و إحجامه على أساسه.

---

(۱) راجع: دلائل الصدق ج ۲ ص ۲۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۳

أضف إلى ذلك: أنه حين يبدأ بالأقربين من عشيرته، و لا يبدو أنه على استعداد لتقديم أى تنازل أو مساومة حتى بالنسبة إلى هؤلاء، فإن معنى ذلك هو أن على الآخرين أن يقتنعوا بأنه منسجم مع نفسه، و مقتنع بصحة ما جاء به، و يريد لأحب الناس إليه، الذين لا يريد لهم إلا الخير، أن يكونوا فى طليعة المؤمنين الذين يضحون بكل غال و نفيس فى سبيل هذا الدين. و قد رأينا: أن النصارى قد تنبهوا إلى ذلك فى قضية المباهلة.

فراجع.

و من الجهة الأخرى: فإنه يعيش فى مجتمع يقيم علاقاته على أساس قبلىّ؛- فحين يريد أن يقدم على مواقف أساسية و مصيرية- و حين لا يكون هو نفسه يرضى بالإعتماد على القبلية كعنصر فعال فى حماية مواقفه، و تحقيق أهدافه؛ فإن من اللازم: أن يتخذ من ذوى قرباه موقفا صريحا، و يضعهم فى الصورة الواضحة؛ و أن يهيء لهم الفرصة ليحددوا مسؤولياتهم، بحرّية، و صراحة، و صفاء، بعيدا عن

أى ضغط، و ابتزاز و لو كان هذا الضغط من قبيل العرف القبلى فى ما بينهم؛ لأنه عرف مرفوض إسلاميا.

و هنا تبرز واقعية الإسلام فى تعامله مع الأمور، و فى معالجته للقضايا، الإسلام الذى لا يرضى أن يستغل جهل الناس و بساطتهم، و حتى أعرافهم- الخاطئة- التى ارتضوها لأنفسهم فى سبيل منافعه، و تحقيق أهدافه.

نعم، إن الإسلام يعتبر الوسيلة جزآ من الهدف، فلا بد أن تنسجم و تتلاءم معه- كما لا بد أن تنال من الطهر و القداسة بالمقدار الذى يناله الهدف نفسه.

وفقنا اللّه للسير على هدى الإسلام، و الإلتزام بتعاليمه؛ إنه خير مأمول، و أكرم مسؤول.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۴

و على كل حال، فقد خرج «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من ذلك الإجتماع بوعد أكيد من شيخ الأبطح، أبى طالب (ره) بالنصر و العون؛ فإنه لما رأى موقف أبى لهب اللاإنسانى، و اللامعقول، قال له:

«يا عورة، و اللّه لننصرنه، ثم لنعيننه. يا ابن أخى، إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا، حتى نخرج معك بالسلاح «۱»».

د- على «عليه السلام» فى يوم الإنذار:

و نجد فى يوم الإنذار: أن إختيار النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقع على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ليكون المضيف لجماعة يناهز عددها الأربعين رجلا، فيأمره بأن يصنع طعاما، و يدعوهم إليه و الظاهر:

أن ذلك قد كان فى بيت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه، لأن عليا «عليه السلام» كان عند رسول اللّه صلوات اللّه عليه و آله فى بيته على ما يظهر- و قد كان بإمكانه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يطلب من خديجة أن تصنع لهم الطعام. هذا، مع وجود آخرين، أكثر و جاهة و معروفية من على «عليه السلام»، كأبى طالب، و كجعفر، الذى كان يكبر عليّا فى العمر، و غيرهما ممن يمكن أن يستفيد من نفوذه و شخصيته فى التأثير على الحاضرين.

و لكنه قد اختار عليا بالذات ليتفادى أى إحراج يبعد القضية عن مجالها الطبيعى، الذى يرتكز على القناعة الفكرية و الوجدانية بالدرجة الأولى، و لأن عليا- و إن كان حينئذ صغير السن، إلا أنه كان فى الواقع كبيرا فى عقله، و فى فضائله و ملكاته، كبيرا فى روحه و نفسه، كبيرا فى آماله و أهدافه.- و لا أدل على ذلك من كونه هو المجيب للرسول، دون كل من حضر، ليؤازره و يعاونه على هذا الأمر. و قد رآه النبى «صلى اللّه

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۷/ ۲۸ ط صادر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۵

عليه و آله و سلم» منذئذ أهلا لأن يكون أخاه، و وصيه، و خليفته من بعده.

و هى الدرجة التى قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل و حتى عن أن يدخل فى وهمها: أن تصل و لو فى يوم مّا إليها، و تحصل عليها.

و لكن عليا كان منذ نعومة أظفاره هو السبّاق إليها دون كل أحد؛ لأنه عاش فى كنف الرسول، و كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كفيله و مربيه، و كان يبرد له الطعام، و يشمه عرفه، و كان يتبع الرسول اتباع الفصيل أثر أمه، و كان كأنه ولده «۱». و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، و اللّه ذو الفضل العظيم.

ه- موقف أبى لهب:

و لقد أدرك أبو لهب مغزى تلك الدعوة، و رأى أن الأمر قد بلغ مرحلة الجد. و ها هو يرى بأم عينيه معجزة أخرى، تضاف إلى الكثير مما رآه من معاجز و كرامات للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، طيلة السنوات الكثيرة التى عرف فيها النبى و أحواله- فيرى أن فخذ شاة، و عسّا من لبن، يكفى أربعين رجلا.

و أبو لهب هو ذلك الرجل الذى يعرف طبيعة و أهداف هذا الدين الذى يبشر فيه محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و أنه لا يقيم وزنا لأى امتياز أو مكسب شخصى حصل عليه الإنسان من طريق الإبتزاز و الظلم، و سائر أنواع التعدى و الإنحراف. إذن، فلا بد لأبى لهب، بحسب منطقه

---

(۱) و ليس فى كفالة النبى «صلى اللّه عليه و آله» لعلى غضاضة على أبى طالب شيخ الأبطح- كما يقول البعض- لأن عبد اللّه و أبا طالب كانا من أم واحدة بخلاف سائر أبناء عبد المطلب، و قد ربى النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى حجر أبى طالب و كان «صلى اللّه عليه و آله» يخاطب فاطمة بنت أسد بيا أماه، و كانت عناية أبى طالب و زوجته به «صلى اللّه عليه و آله» فائقة جدا. و كان على «عليه السلام» كأنه إبن لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، مع ملاحظة التفاوت فى السن فيما بينهما.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۶

اللامنطقى: أن يقف فى وجه هذا الدين، و يمنعه من تحقيق أهدافه بكل وسيلة ممكنة. و لا بد من تضييع الفرصة على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و ذلك حفاظا على ما يراه أنه مصلحته أولا، و ليرضى حقده و حسده الذى يعتمل فى صدره ثانيا؛ ذلك الحقد الذى لا مبرر له إلا أنه:

يرى فى شخصية النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الصفات الحميدة، و الأخلاق الرضية الكريمة، و السجايا الفاضلة، فإن ذلك يعتبر عنده ذنبا، و أى ذنب.

فبادر إلى المواجهة الصريحة، و الوقحة و القبيحة، حيث استغل معجزة الطعام التى يراها الجميع بأم أعينهم، فرمى النبى الأكرم بالسحر و قال: لقدما سحركم صاحبكم. فتفرق الجمع فى اليوم الأول، و لم يستطع الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يقول كلمته حتى اليوم التالى؛ حيث استطاع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يصدع بما أمره اللّه تعالى، و يقيم عليهم الحجة، كما تقدم بيانه.

و- الإنذار أولا:

و ما دمنا فى الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين؛ فإننا نسجل هنا:

أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أمر من قبل اللّه تعالى بالإنذار أولا لعشيرته، فقال تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ «۱». و كذلك الحال بالنسبة لغيرهم من سائر الناس، فإنه تعالى قد قال لنبيه، كما فى سورة المدثر، التى هى من العتائق النازلة فى أوائل البعثة: قُمْ فَأَنْذِرْ «۲».

فقد جاء الإنذار أولا، مع أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أرسل مبشرا و نذيرا، و مع أن القرآن هدى و بشرى أيضا.

---

(۱) الشعراء/ ۲۱۴.

(۲) المدثر/ ۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۷

و سر ذلك واضح؛ فإن الناس كانوا فى أول البعثة كفارا، و منغمسين فى الظلم و الإنحراف إلى أبعد مدى. فلا بد من إنذارهم أولا؛

ليلتفتوا إلى الواقع السيّء الذى يعيشونه، و إلى العواقب المدمرة و المرعبة، التى تنتظرهم نتيجة لذلك. و التفاتهم هذا لسوف يؤثر فيهم التطلع، ثم الحركة نحو الخروج من ذلك الواقع، و التخلص منه.

ثم يأتى بعد ذلك دور تخليص المجتمع من رواسبه، و من حركاته، و أعماله، و مواقفه السيئة، على مستوى الفرد، و على مستوى الجماعة، و تطهيره من كل غريب و مريض.

و معه جنبا إلى جنب تكون عملية وضع الأسس المتينة و السليمة لبناء الهيكل العام للمجتمع المسلم فى عواطفه، و فى علاقاته، و فى روابطه.

و الأهم من ذلك؛ فى فكره و ثقافته، و إعطائه المفهوم الحقيقى و الواقعى عن الكون، و عن الحياة، و بالذات عن هذا الإنسان القوى الضعيف، و ليطرد قدما فى عملية بناء الإنسان من الداخل، و تربيته و تزكيته، كما هو وظيفة النبى و الإمام، و كل داعية إسلامى على الإطلاق.

و قد أشرنا فى أول هذا الفصل إلى هذا، مستفيدين من قوله تعالى:

هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ، وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ.

و هذا الذى ذكرناه عن أسلوب الإسلام فى دعوته، هو التحرك الطبيعى لأية دعوة، تستهدف الإصلاح الجذرى، و التغلب على مشاكل الحياة. و التخطيط لمستقبل مشرق سعيد.

ز- ماذا قال النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى يوم الإنذار:

و قد جاء فى بعض النصوص أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال لهم: «يا بنى عبد المطلب، إنى لكم نذير من اللّه جل و عز، إنى أتيتكم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۸

بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعونى ترشدوا، و تفلحوا، و تنجحوا، إن هذه مائدة أمرنى اللّه بها؛ فصنعتها لكم، كما صنع عيسى بن مريم «عليه السلام» لقومه؛ فمن كفر بعد ذلك منكم، فإن اللّه يعذبه عذابا شديدا، لا يعذبه أحدا من العالمين، و اتقوا اللّه، و اسمعوا ما أقول لكم، و اعلموا يا بنى عبد المطلب: أن اللّه لم يبعث رسولا إلّا جعل له أخا، و وزيرا، و وصيا، و وارثا من أهله. و قد جعل لى وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلى، و إن اللّه قد أرسلنى إلى الناس كافة، و أنزل على:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ و رهطك المخلصين «۱»، و قد و اللّه أنبأنى به، و سماه لى. و لكن أدعوكم، و أنصح لكم، و أعرض عليكم؛ لئلا يكون لكم الحجة فيما بعد، و أنتم عشيرتى و خالص رهطى، فأيكم يسبق إليها على أن يؤاخينى فى اللّه، و يوازرنى»، إلى آخر كلامه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، الذى ينسجم مع النص الذى ذكرناه فى أوائل هذا الفصل فراجعه «۲».

و هذا النص هو الأوفق و الأنسب لموقف كهذا، و هو ينسجم تماما مع أمر الآية بالإنذار، فإن الإنذار أولا هو الخطوة الطبيعية لأية دعوة، كما ذكرنا آنفا.

ح- التبشير و الإنذار:

و يقول المحقق البحاثة المرحوم الشيخ مرتضى المطهرى: إن من يريد إقناع إنسان مّا بعمل مّا، فله طريقان: أحدهما: التبشير، بمعنى تشويقه، و بيان فوائد ذلك العمل. الثانى: إنذاره ببيان ما يترتب على تركه من مضار، و عواقب سيئة.

(۱) هذا توضيح منه «صلى اللّه عليه و آله» و تفسير للمراد من الآية.

(۲) البحار: ج ۱۸ ص ۲۱۵/ ۲۱۶ عن سعد السعود لابن طاووس: ص ۱۰۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۷۹

و لذلك قيل: الإنذار سائق، و التبشير قائد.

و القرآن و الإسلام يرى: أن الإنسان يحتاج إلى هذين العنصرين معا، و ليس- كغيره- يكفيه أحدهما.

بل و يرى الإسلام: أنه لا بد و أن ترجح كفة التبشير على كفة الإنذار. و لذلك قدّم الأول على الثانى فى أكثر الآيات القرآنية.

و من هنا، فقد قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لمعاذ بن جبل، حين أرسله إلى اليمن: «يسّر و لا تعسّر، و بشّر و لا تنفر».

فهو هنا لم يستبعد الإنذار، بل هو جزء من خطته. و إنما اهتم بجانب التبشير إذ يمكن بواسطته إدراك مزايا الإسلام و خصائصه الرائعة، و ليكون إسلامهم من ثم عن قناعة حقيقية، و قبول تام.

و أما قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: و لا تنفّر، فهو واضح المأخذ، فإن روح هذا الإنسان شفافة جدا، و تبادر إلى ردة الفعل بسرعة، و من هنا فإننا نجد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يأمر بالعبادة ما دامت النفس مقبلة، و لا يقبل بالضغط عليها، و تحميلها مالا تطيق. و لهذا شواهد كثيرة فى الشريعة السهلة السمحاء «۱».

و مما تقدم نستطيع أن ندرك: لماذا اشتملت دعوته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لعشيرته على التبشير أيضا؛ بأن من يؤازره سوف يكون خليفة بعده، و أنه قد جاءهم بخير الدنيا و الآخرة، تماما كما بدأت بالإنذار، فإن ذلك ينسجم مع ما تشتاق إليه نفوسهم، و يتلاءم مع رغباتهم. و يأتى من قبل من لا يمكن اتهامه لديهم بأى وجه.

---

(۱) راجع: جريدة جمهورى اسلامى الفارسية رقم ۲۵۴ سنة ۱۳۵۹ ه. ش فى مقالات للمطهرى رحمه اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۰

ط- أخى و وصيى:

و يلفت نظرنا هنا قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: على أن يكون أخى الخ. فإن ذلك يؤكد لهم على مدى التلاحم و المحبة بينه و بين ذلك الذى يؤازره و يعاونه، إلى حد أنه يعتبره أخا له، فليست العلاقة بينهما علاقة رئيس و مرؤوس، و آمر و مأمور، و لا عال بدان، و إنما هى علاقة بين متكافئين فى الإنسانية، كما أنها علاقة تعاون و تعاضد على العمل البنّاء و المثمر، و علاقة أخ مع أخيه، تغمرها المحبة، و الثقة و الصفاء، بكل ما لهذه الكلمات من معنى.

أضف إلى ذلك، ما فى ذلك من دلالة على المستوى السامى الذى كان قد بلغه أمير المؤمنين «عليه السلام» حتى يستحق و سام الأخوة فيما بينه و بين سيد البشر، من مضى منهم، و من غبر.

فاصدع بما تؤمر:

اشارة

و بعد أن أنذر «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عشيرته الأقربين. و بعد أن انتشر أمر نبوته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة، بدأت قريش تتعرض لشخص النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالإستهزاء و السخرية، و أنواع التهم، كما يظهر؛ إذ أنهم قد عرفوا جدية القضية، و أدركوا أبعادها. فبادروا إلى تلك الأساليب بهدف الحط منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أمام الرأى العام، و ابتذال

شخصيته. على الرغم من أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يطلب منهم بعد أن يؤمنوا بما جاء به، كل ذلك حسدا و بغيا منهم، و تخوفا من المستقبل، ليس إلا.

و كان لذلك الإستهزاء تأثير على إقبال الناس على الدخول فى الإسلام؛ فاغتم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لذلك جدا، و اعتبر ذلك عائقا فى سبيل انتشار دعوته، و أداء مهمته؛ فأنزل اللّه عليه يأمره بإظهار

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۱

الدعوة، و الطلب حتى من قريش: أن تسلم لربها، مشفوعا ذلك بوعد أكيد. بأن اللّه سوف يكفيه المستهزئين؛ فيجب أن لا يهتم لهم، و أن يتجاهلهم.

و ذلك حين نزل قوله تعالى:

فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ، وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ «۱».

هذا إذا كان المقصود أنه سوف يكفيه أولئك الذين صدر منهم فعل الإستهزاء. أما إذا كان المراد: من سوف يصدر منهم هذا الأمر، فإن الآية لا تكون ناظرة إلى ما سبق كما هو ظاهر لا يخفى.

و قد بيّن اللّه تعالى له: خطة العمل المستقبلية، فأمره أن يأخذ بالصفح الجميل، و بالإعراض عن المشركين، و أن لا يحزن عليهم، و لا يضيق صدره بما يقولون؛ فإن جزاءهم على اللّه المطلع على كل صغيرة و كبيرة.

فامتثل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أمر اللّه، و أظهر دعوته، و طلب من الناس جميعا: أن يسلموا لربهم.

و يقولون: إنه قام على الحجر، فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه، و أنى رسول اللّه، و آمركم بخلع الأنداد و الأصنام؛ فأجيبونى تملكون بها العرب، و تدين لكم العجم، و تكونون ملوكا فى الجنة.

فاستهزؤا به، و قالوا: جنّ محمد بن عبد اللّه، و لم يجسروا عليه لموضع أبى طالب «۲».

---

(۱) الحجر/ ۹۴- ۹۵.

(۲) راجع: تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۳۴ عن تفسير القمى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۲

و جاء أيضا: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قام على الصفا، و نادى قريشا؛ فاجتمعوا له، فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم: أن خيلا فى سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم، أكنتم مصدقىّ؟

قالوا: نعم، أنت عندنا غير متّهم، و ما جرّبنا عليك كذبا قط.

فقال: إنى نذير لكم من عذاب شديد. إلى أن قال: فنهض أبو لهب، و صاح به: تبّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعت الناس؟ و تفرقوا عنه.

فأنزل اللّه تعالى: تبّت يدا أبى لهب و تب إلى آخر السورة «۱».

المفاوضات الفاشلة:

قال ابن إسحاق و غيره: فلما بادى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قومه بالإسلام، و صدع به، كما أمره اللّه، لم يبعد منه قومه، و لم يردّوا عليه- فيما بلغنى- حتى ذكر آلهتهم و عابها، فلما فعل ذلك أعظموه و ناكروه، و أجمعوا على خلافه و عداوته، إلا من عصم اللّه تعالى منهم بالإسلام، و هم قليل مستخفون.

و حدب على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عمه أبو طالب، و منعه، و قام دونه. و مضى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على أمر اللّه مظهرا لا يرده شىء.

فلما رأت قريش: أن رسول اللّه لا يعتبهم من شىء أنكروه عليه، من فراقهم، و عيب آلهتهم، و رأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، و

قام دونه، فلم يسلّمه لهم، حاولوا مفاوضة أبى طالب. و هذه المفاوضات

---

(۱) هذا الحديث يرويه المفسرون و السيوطى فى الدر المنثور، و كذلك المؤرخون من غير الشيعة حين الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين، و لكن قد بيّنا: أن المقصود ليس هو مطلق عشيرته فى الآية بل عشيرته الأقربون ليس إلا؛ فالرواية تناسب قوله تعالى (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ) فقط.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۳

- كما يرى إبن إسحاق و غيره- قد مرت بثلاثة مراحل، إنتهت كلها بالفشل الذريع.

الأولى: إنه مشى رجال من إشراف قريش إلى أبى طالب. ذكر المؤرخون أسماءهم، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، و عاب ديننا، و سفه أحلامنا، و ضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، و إما أن تخلى بيننا و بينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، و ردّهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه.

الثانية: إنهم حين رأوا أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد استمر على ما هو عليه، يظهر دينه، و يدعو إليه، حتى شرى الأمر بينه و بينهم، و حتى تباعد الرجال، و تضاغنوا، و أكثرت قريش ذكر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بينها، ذهبوا إلى أبى طالب، فتهددوه: إن لم يكف إبن أخيه عن شتم أبائهم، و تسفيه أحلامهم، و شتم آلهتهم، فلسوف ينازلونه و إياه حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل أبو طالب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فأخبره، و طلب إليه أن يبقى على نفسه و عليه، و لا يحمله ما لا يطيق.، فظن أنه قد بدا لعمّه فيه بداء، و أنه قد ضعف عن نصرته و القيام دونه، فقال له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: يا عم، و اللّه، لو وضعوا الشمس فى يمينى، و القمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه، أو أهلك فيه، ما تركته. فوعده أبو طالب النصر.

الثالثة: عرضوا على أبى طالب: أن يتخذ عمارة بن الوليد ولدا له، و يسلمهم النبى، الذى فارق دين أبى طالب و دين آبائه، و فرق جماعتهم و سفه أحلامهم ليقتلوه. فإنما هو رجل برجل.

فقال أبو طالب: و اللّه، لبئس ما تسومونني أتعطوننى إبنكم أغذوه لكم، و أعطيكم إبنى تقتلونه، هذا و اللّه ما لا يكون أبدا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۴

فقال المطعم بن عدى: و اللّه يا أبا طالب، لقد أنصفك، قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه؛ فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئا.

فقال أبو طالب: و اللّه ما أنصفونى، و لكنك قد أجمعت على خذلانى، و مظاهرة القوم على؛ فاصنع ما بدا لك؟. أو كما قال.

فحقب الأمر، و حميت الحرب، و تنابذ القوم، و بادى بعضهم بعضا «۱».

و ربما تكون هذه المراحل متداخلة، أو مترتبة. فإن ما ذكرناه لا يعدو عن أن يكون فهما منّا للسير الطبيعى للأحداث،- لا أكثر و لا أقل- و قبل المضى فى الحديث؛ نسجل النقاط التالية:

الف: قريش لم تصل إلى نتيجة:

لقد رأينا: أن مشركى مكة ما كانوا يرغبون بادىء ذى بدء: فى توريط أنفسهم فى مواجهة أبى طالب و الهاشميين؛ فحاولوا: أن يحملوا أبا طالب نفسه على حسم الموقف، و القضاء على ما يعتبرونه مادة متاعبهم، و مصدر مخاوفهم، و حاولوا أن يثيروا هذا الرجل، و يشحنوه نفسيا ضد ابن أخيه، على اعتبار أن ابن أخيه قد جاء بما يضر بمصالح، و يجرح كرامة و عاطفة عمه نفسه، فضلا عن غيره، و لذا، فإن من الطبيعى أن يبادر أبو طالب نفسه لوضع حد لتصرفات ابن أخيه، و يكفيهم مؤونة ذلك.

و لكنهم حينما وجدوا: أن أبا طالب لم يستجب لأى من أباطيلهم، و لم يحرك ساكنا فى سبيل وضع حد لمصدر الخطر عليهم و على

مصالحهم، لجأوا إلى التهديد و الوعيد، ثم إلى أسلوب المكر و الخداع كما فى قضية عرض عمارة على أبى طالب ليتخذه ولدا، و يسلمهم محمدا

---

(۱) راجع: سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۸۲- ۲۸۶، و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۴۷- ۱۴۹ و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۶۵- ۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۵

ليقتلوه. الأمر الذى كشف عن حقيقة ما يكنّونه فى صدورهم، و تشتمل عليه نفوسهم و اتضح لأبى طالب و لغيره أن هدفهم ليس إلا القضاء على الدين الحق، و إطفاء نور اللّه، الأمر الذى زاد فى تصلب أبى طالب فى الدفاع عن الحق و الدين، و عن نبى الإسلام الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

ب: سر استكبار قريش:

و لعل سر استكبار مشركى مكة، و محاولاتهم اطفاء نور اللّه تعالى يرجع إلى:

۱- انهم كانوا يستغلون أولئك الفقراء، و العبيد، و الضعفاء فى مكة و غيرها فى مصالحهم؛ فجاء الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و بث فى هؤلاء الفقراء روحا جديدة، و بدأ يؤكد لهم مفهوم كرامة الإنسان، و حريته. ثم هو يناصرهم، و يعيش قضيتهم و آلامهم، و يفتح أعينهم على واقعهم. و يبث فيه تعاليم الإسلام، و فى مقدمتها وجوب تحررهم من سيطرة و غطرسة أولئك الطغاة المتجبرين.

۲- لقد أدرك أولئك المتجبرون، مما عرفوه من طبيعة الدعوة و أهدافها: أنهم سوف لن يتمكنوا فى ظلها من الإحتفاظ بتلك الإمتيازات الظالمة، التى جعلوها لأنفسهم؛ و التى كان يرفضها النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و يؤكد على أن الناس كلهم سواسية أمام عدالة السماء، و فى ميزان الحكم و القضاء.

و سوف لن يتمكنوا أيضا فى ظل هذا الدين الجديد، الذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق؛ من الإستمرار فى ممارساتهم اللاأخلاقية، و اللاإنسانية أيضا، و التى كانوا يحرصون عليها كل الحرص، أكثر من حرصهم على آلهتهم التى كانوا يدّعون أنهم يحافظون عليها، مع أننا رأينا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۶

بعض العرب يأكل إلهه الذى صنعه من الحيس حين جاع!! «۱».

۳- ما أشارت إليه الآية الكريمة: وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا «۲» أى أنهم اعتذروا عن عدم إيمانهم أنهم: إن آمنوا فإن العرب المشركين سوف لا يرضون بإيمانهم، و رفض أوثانهم، فرد عليهم القرآن، فقال: أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ، رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا «۳»، فلا موجب إذن لخوفهم هذا.

مع أن اختيارهم الشرك خوفا من ذلك، لا يمنع ذلك؛ فكم أهلك اللّه من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم. بل ربما كان ذلك هو سبب هلاكهم فى الدنيا، حيث ينشأ عنه المنازعات و الإستكبار، و غير ذلك من انحرافات مدمرة للمجتمعات و للأمم، إن لم يكن ثمة ضوابط و روادع معينة تجعل كل تلك الإمكانات فى مجراها الصحيح، و فى الجهة النافعة للفرد و للمجتمع، حاضرا و مستقبلا.

على أن الأمر للّه تعالى فليس لأحد أن يتمرد عليه، و يخرج على أوامره، فإنه يعرّض نفسه و الحالة هذه إلى الهلاك الدنيوى و الأخروى، ثم ضرب لهم مثالا بقارون، الذى كان لديه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، فلما استكبر و طغى، و تمرد على أوامر اللّه، خسف اللّه به و بداره الأرض.

و فى آيات السورة- سورة القصص- دقائق عجيبة و معان رائعة فى هذا المجال، تحتاج إلى دراسة مستقلة و معمقة، لا مجال لها هنا. و نكتفى هنا بهذه الإشارة الإجمالية إليها. و اللّه هو الموفق و المعين.

---

(۱) الأعلاق النفيسة: ص ۲۱۷، و الحيس هو تمر ينزع نواه و يدق مع أقط و يعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد. مجمع البحرين: ج ۴ ص ۶۴.

(۲) القصص/ ۵۷.

(۳) القصص/ ۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۷

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

و بعد فشل المفاوضات، فقد ظهر لأبى طالب:

أن السيل قد بلغ الزبى، و أنه على وشك الدخول فى صراع مكشوف مع المشركين. فلا بد من الحذر و الإحتياط للأمر؛ فجمع بنى هاشم، و بنى المطلب، و دعاهم إلى منع الرسول، و القيام دونه، فأجابوه، و قاموا معه، باستثناء أبى لهب لعنه اللّه تعالى.

و منع اللّه عز و جل رسوله، فلم يكن لهم إلى أن يضروه فى شعره و بشره سبيل، غير أنهم يرمونه بالجنون، و السحر، و الكهانة، و الشعر، و القرآن ينزل عليه «عليه السلام» بتكذيبهم. و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قائم بالحق، ما يثنيه ذلك عن الدعاء إلى اللّه عز و جل سرا و جهرا.

و ذلك لأن المشركين بعد أن أدركوا:

أن الاعتداء على شخصه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» سوف يتسبب فى صراع مسلح لم يعدوا له عدّته، و ليسوا على يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، خصوصا مع ما كان لبنى هاشم من علاقات، و من أحلاف مع القبائل، كحلف المطيبين، و حلف عبد المطلب مع خزاعة التى كانت تقطن خارج مكة. بل قد توجب هذه الحرب- لو نشبت- التمكين لمحمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من نشر دعوته «۱». فمن أجل كل ذلك آثر المشركون أن يبتعدوا عن الحرب، و يتبعوا أساليب أخرى لتضعيف أمر محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الوقوف فى وجه دعوته؛ فنجدهم:

ألف: ينهون الناس عن الالتقاء بالنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»،

---

(۱) و يرى بعض المحققين: أن من المحتمل: أن أبا طالب كان يستعمل أسلوب اللين تارة و الشدة أخرى؛ بهدف إثارة حرب كهذه، تهدف إلى تمكين النبى من نشر دعوته، كما أشير إليه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۸

و عن أن يسمعوا ما جاء به من قرآن، قال تعالى: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ، وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ «۱». و قال تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ، وَ الْغَوْا فِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ «۲».

ب: يتبعون أسلوب السخرية و الإستهزاء، و إلصاق التهم الباطلة، بهدف:

۱- التأثير على شخص النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» علّه ينهزم نفسيا، و جعله يعيش عقدة الحقارة و الضعة، فلربما يتخلى عن هذا الأمر، و يكذب نفسه.

۲- الحط من كرامة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و ابتذال شخصيته، بهدف تنفير أصحاب النفوس الضعيفة من متابعته، و

صرفهم عن الدخول فيما جاء به. و لهذا نجدهم: يغرون سفهاءهم بايذائه و تكذيبه، و أحيانا كان يتولّى ذلك منه سادتهم و كبراؤهم. بل لقد رأيناهم يأمرون غلاما منهم بأن يلقى عليه سلا جزور و فرثه، و هو قائم يصلى، فيلقيه بين كتفيه، فيغضب أبو طالب، و يأتى فيمر السلا على سبالهم جميعا. و قد ألقى اللّه الرعب فى قلوبهم «۳».

و كانوا أيضا يلقون عليه التراب «۴»، و رحم الشاة «۵»، و غير ذلك.

---

(۱) الأنعام/ ۲۶.

(۲) فصلت/ ۲۶.

(۳) الكافى: ج ۱ ص ۴۴۹ نشر مكتبة الصدوق، و منية الراغب: ص ۷۵. و راجع:

الغدير: ج ۷ ص ۳۵۹ و ۳۸۸ و ج ۸ ص ۴، و أبو طالب مؤمن قريش: ص ۷۳ عن مصادر كثيرة.

(۴) راجع: السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۹۱ و ۲۹۲، و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية): ج ۱ ص ۲۰۸ و ۲۰۲ و ۲۳۱.

(۵) راجع: البداية و النهاية: ج ۳ ص ۱۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۸۹

و قد أثر ذلك إلى حدّ ما فى صرف الناس، و إبعادهم عن الدخول فى الإسلام، حتى ليقول عروة بن الزبير و غيره: «.. و كرهوا ما قال لهم، و أغروا به من اطاعهم؛ فانصفق عنه عامة الناس «۱»».

المعذبون فى مكة:

كما أنهم قد تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم، من أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، و يفتنونهم عن دينهم، يعذبونهم.

بالحبس، و الضرب، و الجوع، و برمضاء مكة، و بغير ذلك من الأساليب الوحشية، و الإنسانية.

مع المعذبين أيضا:

و قد عذب المشركون عددا من المسلمين؛ فعذب عمر بن الخطاب جارية بنى مؤمل- حى من بنى عدى- و كانت مسلمة؛ فكان يضربها، حتى إذا مل، قال: إنى أعتذر إليك، إنى لم أتركك إلا ملالة «۲».

و لعل بنى مؤمل كانوا قد سمحوا لعمر بن الخطاب أن يتولّى تعذيب جاريتهم، و إلا فإن وضعه الإجتماعى لم يكن يسمح له بأمر من هذا القبيل.

و عذب المشركون أيضا خباب بن الأرتّ، و أم شريك، و مصعب بن عمير، و غيرهم ممن لا مجال لذكرهم، و بيان ما جرى عليهم.

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۶۸.

(۲) سيرة ابن هشام: ج ۱ ص ۳۴۱، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۰۰، و راجع:

السيرة النبوية لابن كثير: ج ۱ ص ۴۹۳، و المحبر: ص ۱۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۰

و قد ضرب هؤلاء لنا المثل الأعلى فى الصمود و الجهاد من أجل المبدأ و العقيدة، مع معرفتهم بأنهم لا يملكون قوة تستطيع أن ترد عنهم، غير إرادة اللّه تعالى، و أنهم إنما يتحدّون بإسلامهم العالم كله، الذى كان بكل ما فيه ضدهم. و هنا تكمن عظمتهم، و هذا هو

سر امتيازهم على غيرهم.

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر:

و ممن عـذب فى سبيل اللّه بلال الحبشـى، و عامر بن فهيرة، و يقولون: إن أبا بكر قـد اشتراهما و أعتقهما، فكانت نجاتهما من العذاب بسببه.

و لكنا نشك فى أن يكون أبو بكر هو الذى اشتراهما، و ذلك:

أولا: لما ذكره الإسـكافى، الـذى قال: «أما بلال، و عامر بن فهيرة، فإنما أعتقهما رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم»، روى ذلك الواقدى، و ابن إسحاق «۱»».

وعد ابن شهرآشوب بلالا من موالى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۲».

و ثانيا: إنهم يروون روايات متناقضـة فى هـذا المجال، حتى لا تكاد تلتقى روايـة مع أخرى، و يكفى أن نذكر اختلافها فى الثمن الذى أعطاه أبو بكر.

فرواية تقول: إنه أعطى ثمنه غلاما له أجلد منه.

---

(۱) راجع: شرح النهج للمعتزلى: ج ۱۳ ص ۲۷۳، و قاموس الرجال: ج ۵ ص ۱۹۶ و ج ۲ ص ۲۳۸.

(۲) المناقب لابن شهراشوب: ج ۱ ص ۱۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۱

و أخرى: إنه أعطى غلاما و زوجته، و ابنته، و مائتى دينار.

و ثالثة: اشتراه بسبع أواق.

و رابعة: بتسع.

و خامسة: بخمس.

و سادسة: برطل من ذهب.

و سابعة: إنه اشتراه بعبده قسطاس، الذى كان صاحب عشرة آلاف دينار، و جوار، و غلمان، و مواش.

و ثامنة: ببردة، و عشر أواق من فضة، إلى غير ذلك من وجوه الإختلاف و التناقض «۱».

و ثالثا: إنهم يقولون: إن قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى. وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى «۲» نزل فى أبى بكر بهذه المناسبة «۳».

و نقول:

۱- لقد رد الإسكافى على ذلك: بأن هناك من يقول: إن هذه الآية نزلت فى مصعب بن عمير «۴».

---

(۱) راجع ما تقدم فى: السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۹۸/ ۲۹۹، و قاموس الرجال:

ج ۱ ص ۲۱۶، و سير أعلام النبلاء: ج ۱ ص ۳۵۳، و السيرة النبوية لابن هشام:

ج ۱ ص ۳۴۰، و حلية الأولياء: ج ۱ ص ۱۴۸، و غير ذلك كثير.

(۲) سورة الليل ۵- ۷.

(۳) الدر المنثور ج ۶ ص ۳۵۸- ۳۹۰ عن عدد من المصادر و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۹۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۷۳ عن الجاحظ و العثمانية ص ۳۵.

(۴) شرح النهج ج ۱۳ ص ۲۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۲

و يروى الشيعة: أن الآية نزلت فى على «عليه السلام».

و يورد الحلبى عليهم: بأن عليا كان للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عليه نعمة تجزى، و هى تربيته له، و الآية تقول: وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى و بمثل ذلك أورد الرازى عليهم أيضا «۱».

و لكن قد فات الرازى و الحلبى: أن المقصود هو أن هذا المال الذى ينفقه لا يريد أن يجازى بانفاقه له نعمة من أحد عليه، و إنما ينفقه لوجه اللّه، و لوجه اللّه فقط.

لا أنه تعالى يريد وصف الأتقى بأنه ليس لأحد عليه نعمة.

۲- قد ورد: عن ابن عباس و غيره، و حتى عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه، تفسيرها بمعنى عام لا يختص بأحد فراجع كتب التفسير للاطلاع على ذلك.

۳- و أخرج ابن أبى حاتم ما ملخصه: أن هذه السورة قد نزلت فى رجل (هو سمرة بن جندب) الذى كان له نخلة فرعها فى دار رجل، فكان إذا جاء ليأخذ عنها الثمر، و صعد عليها ربما تقع تمرة، فيأخذها صبيان الفقير؛ فينزل من نخلته؛ فيأخذ الثمرة من أيديهم، و إن وجدها فى فم أحدهم أدخل إصبعه، حتى يخرج التمرة من فيه؛ فشكاه الفقير إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، ثم لقى الرسول صاحب النخلة؛ فطلب منه أن يعطيه النخلة و له مثلها فى الجنة، فقال. لقد أعطيت، و إن لى لنخلا كثيرا؛ و ما فيه نخل أعجب إلى ثمرة منها.

فسمع رجل ما دار بين النبى و بينه؛ فجاء إلى الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فقال: أعطنى ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها، قال: نعم، فذهب الرجل، و لقى صاحب النخلة، و فاوضه و اشتراها منه بأربعين نخلة. ثم ذهب إلى النبى، فوهبها له، فذهب رسول اللّه «صلى اللّه عليه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۳

و آله و سلم» إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك و لعيالك، فأنزل اللّه:

و الليل إذا يغشى إلى آخر السورة «۱».

و لأجل هذا نجد السيوطى يقول عن: «سورة الليل: الأشهر أنها مكية؛ و قيل: مدنية لما ورد فى سبب نزولها من قصة النخلة، كما أخرجناه فى اسباب النزول» «۲».

و هذه القضية هى المناسبة للآيات؛ لأنها تذكر أن بعضهم أعطى و اتقى، و بعضهم بخل و استغنى.

إلا- أن يكونوا- و العياذ باللّه- يقصدون، بمن بخل، النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه. مع أن فرض عدم مال له ينافى صدق البخل عليه. و يشير إلى عدم المال عنده قولهم: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو الذى قال: لو كان عنده مال لاشترى بلالا.

أو يقصدون بمن بخل، العباس، الذى تقول الروايات: إنه ذهب فاشترى بلالا، فأرسله إلى أبى بكر، فأعتقه.

۴- لسوف يأتى إن شاء اللّه فى حديث الغار، قول عائشة: إنه لم ينزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن، إلا أن اللّه أنزل عذرها. يعنى الآيات المرتبطة بالإفك، و التى هى فى سورة النور. و حتى عذرها هذا؛ فإنه لم ينزل فيها، كما حققناه فى كتابنا: حديث الإفك فراجع.

و رابعا: لم نفهم معنى قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنه لو كان عنده مال لاشترى بلالا، و كيف نوفق بين هذا و بين قولهم: إنه

«صلى اللّه

---

(۱) الدر المنثور ج ۶ ص ۳۵۷ عن ابن ابى حاتم عن ابن عباس، و تفسير البرهان ج ۴ ص ۴۷۰ عن على بن ابراهيم، باختلاف مع ما عن الدر المنثور. و ستأتى بقية المصادر فى حرب أحد فى فصل: قبل نشوب الحرب، حين الكلام حول إرجاع الصغار، و الريب فيما ينقل عن سمرة.

(۲) الإتقان: ج ۱ ص ۱۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۴

عليه و آله و سلم» طلب من أبى بكر الشركة فى بلال فأخبره أنه اعتقه «۱»؟!.

ثم أو ليست أموال خديجة تحت تصرفه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟! ألم يكن هو الذى ينفق على المسلمين فى مكة، كما قالت أسماء بنت عميس لعمر حينما عيّرها بأنها لا هجرة لها، حيث قالت له:

إنه و من معه من المسلمين كانوا مع رسول اللّه يطعم جائعهم، و يعلّم جاهلهم؟!! «۲». و ستأتى هذه القضية فى موضعها إن شاء اللّه.

و احتمال أن تكون قصة بلال فى أواخر سنى ما قبل الهجرة، لا يقبل به المؤرخون؛ فإن النووى يذكر: أنه أسلم أول النبوة، و هو من أول من أظهر اسلامه «۳».

إلا أن يقال: إن إسلامه، و إن كان متقدما، لكن شراءه و عتقه يمكن أن يتأخرا لعدة سنوات.

هذا كله عدا عما تذكره بعض الروايات من أن العباس هو الذى ذهب فاشتراه، ثم أرسله إلى أبى بكر فأعتقه «۴»! و روايات أخرى تقول:

بل اشتراه نفس أبى بكر مباشرة، و أعتقه.

و فى بعض الروايات: أنه لما توفى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال بلال لأبى بكر: إن كنت إنما اشتريتنى لنفسك فأمسكنى، و إن

---

(۱) طبقات ابن سعد: ج ۳ ص ۱۶۵.

(۲) تقدمت من المصادر لذلك فى الجزء السابق من هذا الكتاب فى آخر فصل: بحوث تسبق السيرة.

(۳) تهذيب الأسماء و اللغات: ج ۱ ص ۱۳۶.

(۴) السيرة النبوية لدحلان: ج ۱ ص ۱۲۶، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۹۹، و راجع: المصنف: ج ۱ ص ۲۳۴ و غيره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۵

كنت إنما اشتريتنى للّه فذرنى «۱».

و هذا يشير إلى أنه لم يكن قد أعتقه حتى وفاته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»!!.

و بالنسبة لشراء العباس له؛ فإن العباس إن كان قد اشتراه لنفسه، فلماذا لم يعتقه هو نفسه؟ و إن كان إنما اشتراه لأبى بكر فلا ندرى: متى كان العباس وكيلا لأبى بكر؟ و متى كان العباس يهتم بأمور كهذه، و هو الذى لم يسلم إلا عام الفتح، أو فى بدر، كما يقولون؟.

و حاول بعضهم أن يدعى: أن العباس فاوض أمية بن خلف، ثم جاء أبو بكر فاشتراه «۲»! و هذا أعجب!! و ما عشت أراك الدهر عجبا!!.

و أيضا، فإن حالة أبى بكر الإقتصادية لم تكن تسمح له بأن يدفع تلك المئات من الدنانير، فضلا عن أن يكون أحد مواليه يملك عشرة آلاف دينار، و جوار، و مواش، و غير ذلك، لو فرض أن العرب كانوا يملّكون عبيدهم الأموال.

حيث إن أبا بكر لم يكن تاجرا، و إنما كان معلّما، فمن أين تأتيه تلك الآلاف أو حتى المئات من الدراهم و الدنانير لشراء سبعة أو تسعة و إعتاقهم؟! و لسوف يأتى إن شاء اللّه البحث عن ثروة أبى بكر حين الكلام حول قضية الغار. بل لقد شك البعض فى أن يكون كثير ممن ذكروا فى مواليه شخصية حقيقية أو خيالية، و لا سيما مثل «زنيرة»، التى قال السهيلى عنها: «و لا تعرف زنيرة فى النساء «۳»».

---

(۱) طبقات ابن سعد: ج ۳ ص ۱۷۰.

(۲) السيرة النبوية لدحلان: ج ۱ ص ۱۲۶، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۹۹، و راجع المصنف للصنعانى ج ۱ ص ۲۳۴، و غيره.

(۳) الروض الانف ج ۲ ص ۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۶

و يقول العلامة السيد الحسنى: «إن قريشا كانت تعذب من آمن؛ من أجل أن لا ينتشر الإسلام، و كانت تودّ أن تبذل لمحمد كل غال و نفيس، ليتراجع عما جاء به، و دعا إليه؛ فكيف تتنازل قريش عن ملكيتهم لأبى بكر، و تترك تعذيبهم بهذه السهولة «۱»؟!.»

إلا أن يقال: إن حبها للمال، ثم اليأس من محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو الذى يدفعها إلى ذلك كما يقوله البعض.

هل عذب المشركون أبا بكر؟!

هذا و يذكرون: أن أبا بكر قد تعرض للعذاب فى سبيل الإسلام حيث إن عمر بن عثمان أخذه و قرنه مع طلحة بن عبيد اللّه التيمى فى حبل حين اسلما، و عذبهما نوفل بن خويلد، و فتنهما عن دينهما، فلذلك سمى أبو بكر و طلحة ب «القرينين».

و يرى البعض أن الذى قرنهما و عذبهما هو نوفل فقط، و ليس لعمر بن عثمان ذكر فى شىء «۲».

و نحن نسجل هنا ما يلى:

۱- إنهم يقولون: إن أبا بكر قد منعه اللّه بقومه «۳»، و هذا يتناقض

---

(۱) سيرة المصطفى ص ۱۴۹.

(۲) راجع فى ذلك: العثمانية للجاحظ ص ۲۷/ ۲۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۵۳، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۰۱، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۲۳۰، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۹، و البيهقى، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۳۶۹ و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۲.

(۳) البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۸، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۸۴، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه بهامشه، و حلية الاولياء ج ۱ ص ۱۴۹، و الاستيعاب ج ۱ ص ۱۴۱ و أحمد، و ابن ماجة، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۲۶، و السيرة-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۷

تماما مع قولهم: إنه قد عذب. كما أنه يناقض قوله الآتى لابن الدّغنّة: إن قومه قد أخرجوه.

۲- إنه يظهر من مراجعة كتب السيرة: أن كل قبيلة كانت تتولى تعذيب من يدخل فى الاسلام منها، و لم يكن منهم من يجرؤ على تعذيب من كان من قبيلة أخرى، كما سنرى.

۳- لقد قال الأسكافى: «إنا لا نعلم: أن العذاب كان واقعا إلا بعبد أو عسيف. (و هو الأجير)، و لمن لا عشيرة له تمنعه «۱»».

مع أنهم يقولون: إن أبا بكر كان رئيسا متبعا، و كبيرا مطاعا «۲» ينتظره عظماء قريش و لا يقطعون أمرا دونه، حتى يأتيهم ليبتّوا فى أمر محمد صلى اللّه عليه و آله، (كما تقدم فى حديث إسلام أبى بكر). و على حسب تعبيراتهم: كان ذا مكانة عليّة، و صدرا معظما، و رئيسا فى قريش مكرما «۳» فكيف يعذب أبو بكر من قبل جماعة ليسوا من قبيلته؟ و كيف يترك قومه رئيسهم، و صاحب مجدهم

الباذخ؟ يتعرض للمهانة من قبل هؤلاء؟.

و على حد تعبير ابن هشام و غيره: كان «مآلفا لقومه، محببا، سهلا.

إلى أن قال: و كان رجال قومه يأتونه، و يألفونه لغير واحد من الأمر» «۴».

و على حد التعبير المزعوم لابن الدغنة: «لا يخرج مثله. أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، و يصل الرحم، و يحمل الكل، و يقرى الضيف،

النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۳۶ و عن كنز العمال ج ۷ ص ۱۴ عن ابن أبى شيبة، و الطبقات الكبرى لابن سعد ط صادر ج ۳ ص ۲۳۳.

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۵۵.

(۲) راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۵۵، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۲۳، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۷۳.

(۳) السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۳۳، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۲۶.

(۴) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۶۷ و السيرة النبوية لابن كثير ص ۴۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۸

و يعين على نوائب الحق؟ «۱»».

و يلاحظ: أن هذه الكلمات هى- تقريبا- نفس الكلمات التى تنسب إلى خديجة فى وصف النبى صلى اللّه عليه و آله حين بعثته، قالها إبن الدغنة حين هجرة أبى بكر إلى الحبشة- و سيأتى عدم صحتها- فاقرأ، و اسمع، و اعجب ما بدالك!!

ملاحظة: هل كان أبو بكر رئيسا؟!:

إننا إنما ذكرنا هذا الذى سبق آنفا، لبيان تناقض كلماتهم، إذ لو صح هذا لم يمكن أن يصح ذاك، و إلا فنحن نشك فى أن يكون أبو بكر رئيسا، معظما، و كبيرا مطاعا، و يدل على ذلك:

۱- إن أبا بكر حج، و معه أبو سفيان، فرفع صوته عليه، فقال أبو قحافة: إخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: يا أبا قحافة، إن اللّه بنى فى الإسلام بيوتا كانت غير مبنية، و هدم بيوتا كانت فى الجاهلية مبنية، و بيت أبى سفيان مما هدم «۲».

۲- و حين بويع أبو بكر نادى أبو سفيان: «غلبكم على هذا الأمر أذل أهل بيت فى قريش»،

و فى نص الحاكم: «ما بال هذا الأمر فى أقل قريش قلة، و أذلها ذلة، يعنى أبا بكر «۳»».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۰۱. و سيأتى العديد من المصادر لذلك حين الكلام عن هجرة أبى بكر ان شاء اللّه.

(۲) راجع: النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۱۹ و الغدير ج ۳ ص ۳۵۳ عنه.

(۳) راجع المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۴۵۱، و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۷۸، عن ابن عساكر، و أبى أحمد الدهقان، و راجع الكامل لابن الأثير ج ۲ ص ۳۲۶، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۹۴۴. و النزاع و التخاصم: ص ۱۹، و كنز العمال:: ج ۵-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۹۹

و على حد تعبير البلاذرى: إن أبا سفيان جاء إلى على «عليه السلام» فقال: يا على، بايعتم رجلا من أذل قبيلة من قريش؟ «۱».

۳- و يقول عوف بن عطية:

و أما الألأمان بنو عدىو تيم حين تزدحم الأمور

فلا تشهد بهم فتيان حربو لكن أدن من حلب و عير

إذا رهنوا رماحهم بزبدفان رماح تيم لا تضير «۲».

ملاحظة أخيرة:

و أخيرا، فإن ما يذكرونه: من أن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه، فمنعه قومه. أو أنه ضرب حتى كاد يموت «۳».

يكذبه الكثير مما قدمناه، و نزيد هنا: أن النبى كان أول من أعلن الدعوة. و ليس أبا بكر.

هذا عدا عن أنهم يذكرون تارة: أن ابن مسعود هو أول من أعلن، و أخرى عمر بن الخطاب، و هنا يذكرون: أبا بكر.

كما أن الرواية تنص على أن إظهار أبى بكر للإسلام قد كان حينما كان المسلمون ثمانية و ثلاثين رجلا و النبى صلى اللّه عليه و آله فى دار الأرقم.

ص ۳۸۳ و ۳۸۵، عن ابن عساكر و عن أبى أحمد الدهقان فى حديثه.

(۱) أنساب الأشراف للبلاذرى (قسم حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله» ص ۵۸۸.

(۲) طبقات الشعراء لابن سلام ص ۳۸.

(۳) السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۳۹/ ۴۴۹ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۰، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۴ و الغدير ج ۷ ص ۳۲۲ عنه و عن الرياض النضرة ج ۱ ص ۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۰

و قد تقدم: أن أبا بكر لم يكن قد أسلم بعد. لأنه إنما أسلم بعد أكثر من خمسين رجلا.

إلا أن يكون المقصود هو بلوغ المسلمين الذين أسلموا بعد الهجرة إلى الحبشة ثمانية و ثلاثين رجلا.

لكن ذلك لا يتلاءم مع تصريح الرواية بأن ذلك قد كان يوم إسلام حمزة، حينما كان النبى صلى اللّه عليه و آله فى دار الأرقم.

أول شهيد فى الإسلام من آل ياسر:

و على كل حال؛ فلقد عذّب آل ياسر أشد العذاب، و استشهدت سميّة أم عمار على يد فرعون قريش أبى جهل لعنه اللّه، فكانت أول شهيدة فى الإسلام «۱» ثم استشهد ياسر رحمه اللّه تعالى.

و لكنهم ذكروا: أن أول قتيل فى الإسلام هو الحارث بن أبى هالة، حيث إنه لما أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يصدع بما يؤمر، قام صلى اللّه عليه و آله فى المسجد، فقال: قولوا: لا إله إلا اللّه تفلحوا؛ فوثبت إليه قريش؛ فأتى الصريخ أهله؛ فكان أول من أتاه الحارث هذا؛ فضرب فى القوم فصرفهم عنه و عطفوا عليه حتى قتلوه «۲».

و هذا لا يصح؛ لما تقدم؛ من ان اللّه قد منع النبى صلى اللّه عليه و آله بأبى طالب و قومه، و لم يجرؤا على أن ينالوه بسوء فى شعره و بشره.

---

(۱) الاستيعاب هامش الاصابة ج ۴ ص ۳۳۱ و ۳۳۰ و ۳۳۳، و الاصابة ج ۴ ص ۳۳۵ و ۳۳۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۱ ص ۴۹۵، و اسد الغابة ج ۵ ص ۴۸۱، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۸.

(۲) نور القبس ص ۲۷۵ عن الشرقى ابن القطامى، و الاصابة ج ۱ ص ۲۹۳ عن الكلبى، و ابن حزم و عن العسكرى و الاوائل ج ۱ ص ۳۱۱/ ۳۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۱

و كذلك الحال بالنسبة إلى من أسلم من بنى هاشم، حيث لم يعذب جعفر، و لا على و لا غيرهما، و ذلك لمكان أبى طالب رحمه اللّه، كما قلنا.

و أيضا فإن كلمة المؤرخين تكاد تكون متفقة على أن أول شهيد فى الاسلام كان سمية و زوجها.

أضف إلى ذلك: أن كل ما يقال فى كيفية إعلانه بالدعوة يتنافى و يتناقض مع ما ذكروه هنا (راجع ما تقدم تحت عنوان: فاصدع بما تؤمر).

و الذى يمكن أن نفهمه: هو أنه ربما يكون الهدف من وضع هذه القضية هو أن يثبتوا أن خديجة قد تزوجت قبل النبى صلى اللّه عليه و آله برجل أو أكثر، و ولد لها منهما. و قد تقدم ما يوجب الشك فى ذلك، حين الكلام على زواجها بالرسول الاعظم صلى اللّه عليه و آله ...

عمار بن ياسر:

و عذب عمار أيضا عذابا شديدا من قبل بنى مخزوم، حتى أكره على التفوّه بما يعجب المشركين، فتركوه؛ فأتى النبى «صلى اللّه عليه و آله» باكيا، و قال له: لم أترك يا رسول اللّه، و قد أكرهونى حتى نلت منك، و ذكرت آلهتهم بخير.

فقال له النبى «صلى اللّه عليه و آله»: كيف تجد قلبك يا عمار؟

قال: إنه مطمئن بالايمان يا رسول اللّه

قال: لا عليك، فإن عادوا إليك فعد لما يريدون؛ فقد أنزل اللّه فيك: «إلا من أكره و قلبه مطمئن بالايمان «۱»».

---

(۱) النحل/ ۱۰۶ راجع: حلية الاولياء ج ۱ ص ۱۴۰ و تفسير الطبرى ج ۴ ص ۱۱۲ و تفسير النيسابورى بهامشه و غير ذلك كثير جدا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۲

التقية فى الكتاب و السنة:

و نقول:

۱- إن ما جرى لعمار و نزول الآية فيه دليل على مشروعية التقية، إذا خاف الإنسان على نفسه و ماله.

و قد صرحوا بجواز التقية و إظهار الموالاة حتى للكفار، إذا خيف على النفس التلف، أو تلف بعض الأعضاء، أو خيف من ضرر كبير يلحق الإنسان فى نفسه «۱».

بل لقد قال محمد بن عقيل: «التقية مما أجمع المسلمون على جوازه، و إن اختلفت تسميتهم لها، فسماها بعضهم بالكذب لأجل الضرورة أو المصلحة، و قد عمل بها الصالحون، فهى من دين المتقين الأبرار. و عكس القول فيها كذب ظاهر» «۲».

۲- و يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَيْءٍ، إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً «۳».

۳- قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ. قالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ .. إلى قوله: وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً.

قال البخارى: «فعذر اللّه المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر اللّه، و المكره لا يكون إلا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما أمر به». «۴»

---

(۱) راجع على سبيل المثال: احكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۹.

(۲) تقوية الايمان ص ۳۸.

(۳) آل عمران/ ۲۸.

(۴) صحيح البخارى ط الميمنية ج ۴ ص ۱۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۳

ملاحظة:

الآية موجودة كما فى سورة النساء الآية ۹۷ و لكن الفقرة الأخيرة غير موجودة فيها و لا فى الآيات بعدها لكن البخارى قد ذكرها كذلك. فذكرناها حسبما هى فيه رعاية لامانة النقل عنه.

۴- و قال تعالى وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ: أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ «۱».

و القول بأن هذه الآية قد نسخت لا مثبت له، بل لقد روى عن الامام الباقر عليه السلام ما يدل على خلاف ذلك، فقد روى الكلينى عن عبد اللّه بن سليمان، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول- و عنده رجل من أهل البصرة، يقال له: عثمان الأعمى، و هو يقول: إن الحسن البصرى يزعم: أن الذين يكتمون العلم يؤذى ريح بطونهم أهل النار.

فقال ابو جعفر عليه السلام: فهلك إذاً مؤمن من آل فرعون، ما زال العلم مكتوما منذ بعث اللّه نوحا عليه السلام؛ فليذهب الحسن يمينا و شمالا؛ فو اللّه ما يوجد العلم إلا هاهنا «۲»».

فاستدلال الإمام بالآية يدل على أن عدم كونها منسوخة كان متسالما عليه لدى العلماء آنئذ.

و أما من السنة، فنذكر:

۱- عن أبى ذر، عنه صلى اللّه عليه و آله: ستكون عليكم أئمة يميتون الصلاة، فان أدركتموهم فصلوا الصلاة لوقتها، و اجعلوا صلاتكم

---

(۱) غافر/ ۲۸.

(۲) الكافى (الاصول) ج ۲ ص ۴۰- ۴۱ منشورات المكتبة الاسلامية، و الوسائل ج ۱۸ ص ۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۴

معهم نافلة «۱» و ثمة حديث آخر بهذا المعنى فليراجع «۲».

۲- ما جاء: أن مسيلمة الكذاب أتى برجلين، فقال لأحدهما:

تعلم أنى رسول اللّه؟ قال بل محمد رسول اللّه. فقتله. و قال للآخر ذلك، فقال: أنت و محمد رسول اللّه؛ فخلى سبيله. فبلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، فقال: أما الأول فمضى على عزمه و يقينه. و أما الآخر، فأخذ برخصة اللّه فلا تبعة عليه «۳».

۳- ما رواه السهمى عنه صلى اللّه عليه و آله: لا دين لمن لا ثقة له «۴». و هو تصحيف على الظاهر، و الصحيح: «لا تقية» كما يدل عليه ما رواه شيعة أهل البيت عنهم عليهم السلام «۵».

۴- قصة عمار بن ياسر المعروفة، و قول النبى صلى اللّه عليه و آله له: إن عادوا فعد. و هى مروية فى مختلف كتب الحديث و التفسير. و فى هذه المناسبة نزل قوله تعالى: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ، إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ» «۶».

۵- استعمال النبى صلى اللّه عليه و آله نفسه للتقية، حيث بقى ثلاث أو خمس سنوات يدعو إلى اللّه سرا، و هذا مجمع عليه، و لا يرتاب فيه أحد، و إن كنا قد ذكرنا: أن الحقيقة ليست هى ذلك.

---

(۱) مسند أحمد ج ۵ ص ۱۵۹.

(۲) مسند أحمد ج ۵ ص ۱۶۰ و ۱۶۸.

(۳) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى: ج ۴ ص ۴۰۸- ۴۰۹ و احكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۱۰ و سعد السعود ۱۳۷.

(۴) تاريخ جرجان: ص ۲۰۱.

(۵) راجع: الكافى (الأصول): ج ۲ ص ۲۱۷ ط الآخندى، و وسائل الشيعة: ج ۱۱ ص ۴۶۵. و راجع: ميزان الحكمة: ج ۱۰ ص ۶۶۶ و ۶۶۷.

(۶) النحل/ ۱۰۶. و راجع: فتح البارى: ج ۱۲ ص ۲۷۷- ۲۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۵

۶- إن الاسلام يخير الكفار فى ظروف معينة بين الإسلام و الجزية، و السيف. و واضح: أن ذلك إغراء بالتقية، لأن دخولهم فى الإسلام فى ظروف كهذه لن يكون إلا لحقن دمائهم، و ليس عن قناعة راسخة.

و هذا نظير قبول المنافقين فى المجتمع الإسلامى، و تألفهم على الإسلام، على أمل أن يتفاعلوا مع هذا الدين، و يستقر الإيمان فى قلوبهم.

۷- و حين فتح خيبر قال حجاج بن علاط للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: ان لى بمكة مالا و ان لى أهلا و انى أريد أن آتيهم فانا فى حلّ إن أنا نلت منك و قلت شيئا؟! فاذن له رسول اللّه أن يقول ما شاء «۱».

و أما التقية فى التاريخ:

فنذكر على سبيل المثال:

۱- إن رجلا سأل ابن عمر فقال: «أدفع الزكاة إلى الأمراء؟ فقال ابن عمر: ضعها فى الفقراء و المساكين. قال: فقال لى الحسن: ألم أقل لك: إن ابن عمر إذا أمن الرجل قال: ضعها فى الفقراء و المساكين؟؟ «۲»».

۲- و قد ادّعوا: أن أنس بن مالك قد روى حديث القنوت قبل الركوع تقية من بعض أمراء عصره «۳».

۳- و حين شاور العباس بن الحسن كتّابه و خواصه فيمن يولّون الخلافة بعد موت المكتفى، أشار عليه ابن الفرات بأن ينفرد بكل واحد منهم فيعرف رأيه و ما عنده «فأما أن يقول كل واحد رأيه بحضرة الباقين

---

(۱) دراسات فى الكافى و الصحيح ص ۳۳۸ عن السيرة الحلبية.

(۲) المصنف للصنعانى ج ۴ ص ۴۸.

(۳) راجع: المحلّى ج ۴ ص ۱۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۶

فربما كان عنده ما يسلك سبيل التقية فى كتمانه وطيّه.

قال: صدقت. ثم فعل ما أشار به عليه «۱»».

۴- تقية النبى «صلى اللّه عليه و آله» و الحمزة فى بيعة العقبة.

و ستأتى نصوصها فى فصل مستقل.

۵- عن أيوب قال: ما سألت الحسن عن شىء قط ما سألته عنها (أى عن الزكاة). قال: فيقول لى مرة: أدّها إليهم. و يقول لى مرة: لا تؤدّها إليهم «۲» أى للأمراء.

إلا أن يقال: إن هذا التردد من الحسن، إنما هو لأجل عدم وضوح الحكم الشرعى له، جوازا أو منعا.

۶- و فى خطبة لمحمد بن الحنفية: «لا تفارق الأمة، اتق هؤلاء القوم (يعنى الامويين) بتقيتهم. و لا تقاتل معهم. قال: قلت: و ما تقيتهم؟ قال: تحضرهم وجهك عند دعوتهم؛ فيدفع اللّه بذلك عنك، و عن دمك و دينك و تصيب من مال اللّه الذى انت أحق به. «۳»»

۷- استفتى مالك بالخروج مع محمد بن عبد اللّه بن الحسن، و قيل له: فى اعناقنا بيعة لأبى جعفر المنصور. فقال: إنما بايعتم مكرهين. و ليس على مكره يمين «۴».

۸- و نقل القرطبى، عن الشافعى، و الكوفيين: القول بالتقية عند الخوف من القتل، و قال: «أجمع أهل العلم على ذلك «۵»».

---

(۱) الوزراء للصابى ص ۱۳۰.

(۲) المصدر السابق.

(۳) طبقات ابن سعد ج ۵ ص ۷۰.

(۴) مقاتل الطالبيين ص ۲۸۳، و الطبرى ط أوربا ج ۳ ص ۲۰۰.

(۵) تفسير القرطبى ج ۱۰ ص ۱۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۷

۹- عن حذيفة قال: كنا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال:

احصوا لى كم يلفظ الإسلام. قال: فقلنا: يا رسول اللّه، أتخاف علينا و نحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا.

قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا «۱».

و حذيفة قد مات بعد البيعة لعلى «عليه السلام» باربعين يوما، فهذا النص يدل على أن الناس المؤمنين كانوا قبل ذلك يعيشون فى ضغط شديد، و أن الذين يسيطرون على الشارع هم الناس الذين كانوا يحقدون على الدين و المتدينين، و يهزؤون و يحاربون كل شىء يمت إلى الدين بصلة.

۱۰- لقد اتقى عامة أهل الحديث، و كبار العلماء و اجابوا إلى القول بخلق القرآن، و هم يعتقدون بقدمه، و لم يمتنع منهم الا أحمد بن حنبل، و محمد بن نوح «۲».

و حتى أحمد؛ فانه قد تاقى فى ذلك، فكان إذا وصل إلى المخنق قال: ليس أنا بمتكلم. كما أنه حين قال له الوالى: ما تقول فى القرآن أجاب: هو كلام اللّه، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام اللّه لا أزيد عليها «۳».

بل قال اليعقوبى: إنه لما سئل أحمد عن ذلك قال: «أنا رجل علمت علما و لم أعلم فيه بهذا. و بعد المناظرة و ضربه عدة سياط، عاد

---

(۱) صحيح مسلم: ج ۱ ص ۹۱، و صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ه. ق: ج ۲ ص ۱۱۶ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۸۴.

(۲) تجارب الامم المطبوع مع العيون و الحدائق ص ۴۶۵.

(۳) تاريخ الطبرى ج ۷ ص ۲۰۱ و راجع: آثار الجاحظ ص ۲۷۴، و مذكرات الرمانى ص ۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۸

اليه إسحاق بن إبراهيم فناظره، قال له: فيبقى عليك شىء لم تعلمه

قال: بقى على

قال: فهذا مما لم تعلمه؛ و قد علّمكه أمير المؤمنين.

قال: فإنى أقول بقول أمير المؤمنين.

قال: فى خلق القرآن؟ قال: فى خلق القرآن. قال: فأشهد عليه، و خلع عليه، و أطلقه الى منزله «۱».

مع أنه هو نفسه يقول: إن من قال: القرآن كلام اللّه، و وقف؛ فهو من الواقفة الملعونة «۲».

و قد عمل ابن الزبير بالتقية فى مواجهة الخوارج «۳».

و اتقى ايضا الشعبى و مطرف بن عبد اللّه من الحجاج.

و اتقى عرباض بن سارية و مؤمن الطاق من الخوارج و صعصعة بن صوحان من معاوية «۴».

و ممن استعمل التقية فى قضية خلق القرآن إسماعيل بن حماد، و ابن المدينى، و كان إبن المدينى يلزم مجلس القاضى أبى دؤاد المعتزلى، و يقتدى به فى الصلاة، و يجانب أحمد بن حنبل و أصحابه «۵».

۱۱- و يقولون: إن إبراهيم عليه السلام عندما سأله ذلك الحاكم

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۷۲.

(۲) بحوث مع أهل السنة و السلفية ص ۱۸۳ و ۱۸۴ عن: الرد على الجهمية لابن حنبل فى كتاب الدومى ص ۸۲.

(۳) راجع العقد الفريد لإبن عبد ربه ج ۲ ص ۳۹۳.

(۴) العقد الفريد ج ۲ ص ۴۶۴- ۴۶۵.

(۵) راجع لسان الميزان ج ۱ ص ۳۳۹- ۴۰۰ متنا و هامشا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۰۹

الجبار عن امرأته قال: «هذه أختى» و ذلك فى اللّه «۱» فراجع.

۱۲- و عن عبيد اللّه بن معاذ العنبرى، عن أبيه قال: «كتبت إلى شعبة أسأله عن أبى شيبة، قاضى واسط، فكتب إلى: لا تكتب عنه، و مزّق كتابى «۲»».

۱۳- و قد عمل صعصعة بالتقية فى خطبته فى قصة خروج المستورد أيام معاوية «۳».

۱۴- و فى غارة بسر بن أبى أرطاة على المدينة، و شكوى جابر بن عبد اللّه الأنصارى لأم سلمة زوج النبى: أنه خشى أن يقتل، و هذه بيعة ضلال، قالت: إذن، فبايع؛ فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب و يحضرون الأعياد مع قومهم «۴».

۱۵- و قد خطب الإمام الحسين عليه السلام مؤبنا أخاه الحسن السبط عليه السلام حينما توفى، فكان مما تمدّحه به: انه قد آثر اللّه عند مداحض الباطل، فى مكان التقية بحسن الروية «۵».

۱۶- و الإمام الحسين عليه السلام لم يستجب لأهل الكوفة حينما طلبوا منه القيام ضد معاوية بعد سم الإمام الحسن عليه السلام.

و له موقف آخر عليه السلام يؤيد فيه موقف أخيه القاضى بعدم الثورة

---

(۱) صحيح البخارى ط الميمنية: ج ۴ ص ۱۲۹ و مسند أحمد ج ۲ ص ۴۰۳ و أخرجه ابو داود و الترمذى، و قصص الانبياء للنجار: ص ۹۸- ۹۹ و مسند ابى يعلى ج ۱۰ ص ۴۲۷.

(۲) صحيح مسلم: ج ۱ ص ۱۸ و معرفة علوم الحديث ص ۱۳۶.

(۳) راجع: بهج الصباغة: ج ۷ ص ۱۲۱.

(۴) تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۱۹۸.

(۵) راجع: تهذيب تاريخ دمشق: ج ۴ ص ۲۳۰ و عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ۲ ص ۳۱۴، و حياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشى:

ج ۱ ص ۴۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱۰

على معاوية ما دام حيا. فراجع «۱».

۱۷- قال الحسن (البصرى): التقية إلى يوم القيامة «۲».

۱۸- و قال البخارى: «و قال إبن عباس: فى من يكرهه اللصوص، فيطلق، ليس بشىء. و به قال إبن عمر، و ابن الزبير، و الشعبى، و الحسن» «۳».

۱۹- و قال البخارى أيضا: «يمين الرجل لصاحبه: أنه أخوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه، و كذلك كل مكروه يخاف، فإنه يذب عنه الظالم، و يقاتل دونه و لا يخذله، و إن قاتل دون المظلوم فلا قود عليه و لا قصاص. و إن قيل له: لتشربنّ الخمر، أو لتأكلنّ الميتة، أو لتبيعنّ عبدك، أو تقر بدين، أو تهب هبة أو تحل عقدة، أو لتقتلنّ أباك، أو أخاك فى الإسلام وسعه ذلك .. إلى أن قال: قال النخعى: إذا كان المستحلف ظالما فنيّة الحالف، و إن كان مظلوما؛ فنية المستحلف». «۴»

و لا بأس بمراجعة الشروح على صحيح البخارى على كتاب الإكراه، ففيها توضيحات و مطالب مفيدة فى هذا المجال «۵».

۲۰- حتى المغيرة بن شعبة فإنه يدعى أنه فى عيبه عليا يعمل بالتقية فهو يقول لصعصعة: «هذا السلطان قد ظهر، و قد اخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيرا مما أمرنا به، و نذكر الشىء الذى لا نجد منه بدّا

---

(۱) راجع: الأخبار الطوال: ص ۲۲۰ و ۲۲۱ و ۲۲۲.

(۲) صحيح البخارى: ج ۴ ص ۱۲۸/ ط الميمنية.

(۳) صحيح البخارى: ج ۴ ص ۱۲۸.

(۴) المصدر السابق.

(۵) راجع: عمدة القارى: ج ۲۴ ص ۹۵- ۱۰۸، و فتح البارى: ج ۱۲ ص ۲۷۷- ۲۸۹، و إرشاد السارى: ج ۱۰ ص ۹۳- ۱۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱۱

ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية فإن كنت ذاكرا فضله فاذكره بينك و بين أصحابك و فى منازلكم سرا ... الخ «۱»

۲۱- و فى حرب الجمل حمل محمد بن الحنفية على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: انا على دين ابى طالب فلما عرفت الذى اراد كففت عنه «۲»

۲۳- و يقول ابن سلام: إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أمره أن يصلى الصلاة لوقتها ثم يصلى مع الامراء الذين يؤخرون الصلاة نافلة «۳».

۲۴- و قد صرح الخدرى بأنه يعمل بالتقية فى ما يرتبط بموقفه من على عليه السلام ليحقن دمه من بنى أمية و استدل بآية ادفع بالتى هى أحسن السيئة «۴».

و قد ذكر فى الصراط المستقيم للبياضى ج ۳ ص ۷۲- ۷۳ موارد عديدة أخرى فراجع.

التقية ضرورة فطرية عقلية دينية اصلاحية:

إن تشريع التقية لهو خير دليل على شمولية الإسلام و مرونته، و اتساعه لكل الظروف و الأحوال. إذ لو كانت الرسالة جافة و قاسية، و لا تلاحظ الظروف الطارئة، و الأحوال العارضة، فلا بد أن تصطدم مع الواقع، و تنهار أمامه، دون أن تتمكن من تجاوزه فى حركتها الإصلاحية و التكاملية.

فهو بتشريعه للتقية، إنما يحافظ على الرسالة من خلال حفاظه على

---

(۱) تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۱۲.

(۲) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۵ ص ۶۷.

(۳) تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۲۰۵.

(۴) سليم بن قيس ص ۵۳، مؤسسة البعثة- قم- ايران.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱۲

رائدها، و حافظها، و حاملها فى ذلك الظرف العصيب. و خير شاهد على ذلك هو تلك الفترة التى مر بها النبى صلى اللّه عليه و آله و المسلمون فى أول البعثة حيث كانوا يتحاشون فيها الصدام مع المشركين.

و إن المحافظة على حامل الرسالة من خلال مرونة الرسالة، تكون ضرورية جدا حينما لا يكون للتضحية به فائدة، و لا عائدة. إن لم يكن فى ذلك ضرر على الرسالة نفسها حينما تفقد جنديا أمينا من جنودها، ربما تكون فى وقت مّا بأمس الحاجة إليه.

فكثيرا ما يكون الحفاظ على الإسلام من خلال الحفاظ على جنوده الأبرار الأوفياء، و الذين يكونون دائما على استعداد للتضحية فى سبيله كلما اقتضى الأمر ذلك. فالتقية إنما شرعت للحفاظ على هؤلاء. أما الآخرون، الذين لا يفكرون إلا فى أنفسهم، فلا ينفعهم تشريع التقية، و لا عدمه.

و مما يدلنا على أن تشريع التقية إنما هو للحفاظ على الرسالة من خلال الحفاظ على جنودها، و ليس ذلك نفاقا، و لا انهزاما. لأن هؤلاء المخلصين الذين يراد الحفاظ عليهم هم دائما على استعداد للبذل و العطاء: أن الإمام الحسين عليه السلام الساكت فى زمان معاوية هو نفسه الحسين الثائر على يزيد، تحت شعار:

إن كان دين محمد لم يستقمإلا بقتلى يا سيوف خذينى فسكوته هناك كان حفاظا على الدين و الحق؛ تماما كما كانت ثورته هنا حفاظا على الحق و الدين. و قد تكلمنا على هذه النقطة فى حلف الفضول.

و لأجل ذلك نجد: أنه إذا توقف الحفاظ على الحق على الفداء و التضحية؛ فإن الإسلام يأمر به، و لا يتسامح مع من يمتنع عنه.

و أيضا، فلو كان فى الإسلام جفاف و قسوة؛ فربما يبعث ذلك

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱۳

الكثيرين على التخلى عنه، أو بالأحرى على عدم الإقدام عليه. و لسوف يأتى فى إسلام وحشى و غيره: أن البعض كان يسلم؛ لأنه يعرف أن محمدا لا يقتل أصحابه.

فمرونة الإسلام هذه هى التى أعطته قوة الدفع هذه، و مكنته من أن يشق طريقه رغم كل التحديات الكبيرة، و المصاعب الخطيرة، التى واجهته عبر التاريخ.

و واضح: أن مرونة الإسلام هذه لا يجوز أن تفسر على أنها نوع من التساهل فى الأحكام؛ ليهون على البعض اعتناق الإسلام، بل هى من قبيل الحفاظ على الإسلام و المسلمين، حيث لا ضرر على المبدأ و الرسالة. و حيث يكون فى عدم التقية هدر للطاقات و الإمكانات، حيث لا جدوى من هدرها. و ليكن ذلك هو الفرق بين التقية و بين النفاق الذى يحلو للبعض أن ينبز به- ظلما و عدوانا- من يعتقد بمشروعية التقية.

و قد رأينا: أنه صلى اللّه عليه و آله، حينما جاءته بعض القبائل و هى قبيلة ثقيف، و طلبوا منه أن يعطيهم فرصة لعبادة أصنامهم، و أن لا يفرض عليهم الصلاة لأنها صعبة عليهم، و أن لا يكسروا صنمهم بيدهم، نرى أنه صلى اللّه عليه و آله قبل بهذا الأخير، و رفض الأولين «۱».

(۱) تاريخ الخميس: ج ۲ ص ۱۳۵، و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية): ج ۳ ص ۱۱، و الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۲۸۴، و السيرة النبوية لإبن كثير: ج ۴ ص ۵۵، و السيرة النبوية لابن هشام: ج ۴ ص ۱۸۴ و ۱۸۵، و البداية و النهاية: ج ۵ ص ۳۰، و المواهب اللدنية: ج ۱ ص ۲۳۶.

و بهذا يلاحظ: أن عمر بن الخطاب لم يكن موفقا حين أصر على الاقتصاص من جبلة بن الأيهم الذى دخل فى الإسلام جديدا. و كان ملكا فى قومه، و لم يتعرف بعد بعمق على عظمة و خصائص الاسلام و مميزاته الفريدة، إذ قد كان عليه أن يراعى الموقف، و يحل المشكلة بأسلوب مرن آخر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱۴

كما أنهم قد طلبوا منه أن يسمح لهم بالزنا، و شرب الخمر، و الربا، و ترك الصلاة «۱». نعم فرفض ذلك، و لم يأخذ بنظر الإعتبار أن هذه قبيلة تريد أن تسلم، فيتقوّى بها الإسلام، و يضعف بذلك جانب أعدائه و مناوئيه.

و هى فى خلال هذه السنة تكون قد تعرفت على الإسلام و تدربت عليه. نعم، لقد رفض السماح لها بعبادة صنمها، الذى عبدته عشرات الأعوام، و لو لمدة سنة واحدة أيضا. بل هو يرفضه و لو كان لساعة واحدة، لأنه لا يريد أن يستفيد من أية وسيلة من أجل الوصول إلى أهدافه، لأنه يعتبر الوسيلة جزآ من الهدف، و منه تستمد قدسيتها، كما سبق.

و لكنه فى مقابل ذلك: لو أساء إليه أحد الناس مثلا؛ فإنه على استعداد لأن يعفو عنه، و لكن شرط: أن يعرف المعفو عنه أنه قد أذنب، و أن هذا عفو عنه، أما إذا فهم من ذلك مشروعية الأمر الذى ارتكبه، فإن ذلك العفو يكون مرفوضا جملة و تفصيلا.

و خلاصة الأمر «۲»: إنه إذا كان المسلم ضعيفا، فإنه لا مبرر لأن يدخل فى صراع عنيف مع الآخرين، ينتهى بالقضاء عليه، أو عليه و على عقيدته؛ لان المبدأ لا يستفيد من صراع كهذا، بل ربما يلحق به الضرر. و كذا إذا كان الحفاظ على الحق يحتاج إلى غطاء واق من

(۱) السير النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية): ج ۳ ص ۱۱، و المواهب اللدنية:

ج ۱ ص ۲۳۶، و تاريخ الخميس: ج ۲ ص ۱۳۵ و ۱۳۶ و ۱۳۷. و راجع بالنسبة لترك الصلاة المصادر التالية: الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۲۸۴، و كذا فى السيرة النبوية لابن هشام: ج ۴ ص ۱۸۵، و السيرة النبوية لابن كثير: ج ۴ ص ۵۶، و البداية و النهاية: ج ۵ ص ۳۰.

(۲) هذه الخلاصة مقتبسة من كلمات للعلامة الجليل السيد محمد حسين فضل اللّه فى:

مفاهيم اسلامية عامة الحلقة ۸ ص ۱۲۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱۵

الإضطهاد، الذى يحاول القضاء عليه جملة و تفصيلا، بالأساليب الوحشية التى لا تخضع للفكر، و لا تستجيب لشروط الصراع المبدأى و ظروفه.

و ليكن هذا دليلا آخر على عظمة الإسلام، و على شموليته، و انسجامه مع واقع الحياة، و مع كل ظروفها و مناخاتها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱۷

الفصل الثانى: هجرة الحبشة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۱۹

لا بد من حل:

لقد استمرت قريش فى تعذيب من يدخل فى دين الاسلام ممن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم. و كان الإستمرار فى هذا الوضع غير ممكن. فقد كان و أصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من العثور على موضع أمل لهم، يساعدهم على تحمل المشاق، و مواجهة الصعاب، و يجعلهم أقدر على مقاومة الضغوط التى يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بألوهية و حاكمية فوق ألوهيتهم و حاكميتهم، و آثروا الإستكبار و العناد على الرضوخ و الإنقياد.

و من جهة ثانية: فإن استمرار هذا الوضع الذى يواجهه المسلمون، الملىء بالآلام و المشاق، لسوف يقلل من إقبال الناس على الدخول فى الإسلام، ما دام أن هذا الدخول لا حصاد له سوى الرعب، و التعذيب و المصائب.

و من جهة ثالثة: فقد كان لا بد من تسديد ضربة لكبرياء قريش و جبروتها- و لو نفسيا- لتدرك: أن قضية الدين تتجاوز حدود تصوراتها و قدراتها- و أن عليها: أن تفكر بموضوعية و عقلانية أكثر.

فكان أن اختار رسول للّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» للمسلمين الهجرة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۰

إلى الحبشة. و كانت هجرتهم إليها فى السنة الخامسة من البعثة.

سر إختيار الحبشة:

و أما عن سر اختيار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله الحبشة مهاجرا للمسلمين، فقد أشار إليه صلى اللّه عليه و آله بقوله: «إن بها ملكا لا يظلم عنده احد، و هى ارض صدق» و «إنه يحسن الجوار».

و قد كان من الواضح أنه:

۱- كان لا بدّ لقريش، من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، لتبقى هى المهيمنة، و صاحبة الإختيار الأول و الأخير فى مصير هذا الدين، الذى تراه يتهدد كبرياءها و شركها، و انحرافها.

۲- لقد كان لقريش نفوذ فى بلاد الروم و الشام، لما كان لها من علاقات تجارية و إقتصادية معها، فالهجرة الى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاع المهاجرين، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم. و لا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأى من الاصول الأخلاقية و الإنسانية، و لم يكن لديهم مانع من ممارسة أى نوع من أنواع الظلم و الجور، و على الأخص بالنسبة لمن ينتسب إلى دعوة يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصية، و تهدد كيانهم و جبروتهم.

و أما بلاد اليمن، و بعض المناطق العربية و القبلية الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسى، المتجبر و الظالم. و يذكر هنا: ان بعض القبائل عندما عرض عليها النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دعوته و طلب منها حمايتها له، قبلت بذلك، و لكن ممادون كسرى «۱»، و اما من كسرى، فلا.

---

(۱) السير الحلبية: ج ۲ ص ۵ و ص ۱۶، و السيرة النبوية لابن كثير: ج ۲ ص ۱۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۱

و واضح: أن الإلتجاء إلى كسرى لا يقل خطرا عن الإلتجاء الى بلاد الروم، خصوصا إذا رأى: ان هذا العربى- و هو بطبعه كان يحتقر العرب، و لا يرى لهم حرمة، و لا شأنا يذكر- لسوف يخرج فى منطقة قريبة من بلاده، و قد تسرى دعوته إلى بلاده نفسها، و يؤثر

ذلك على الإمتيازات الظالمة التى يجعلها لنفسه، كما يظهر من دراسة طبيعة دعوة ذلك النبى، و أهدافها.

۳- قد كان لقريش نفوذ قوى فى مختلف القبائل العربية، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس و الروم. كما ربما يتضح مما ذكرناه فى أوائل هذا الكتاب، فلا نعيد.

۴- ما ذكره النبى «صلى اللّه عليه و آله» من ان بها ملكا لا يظلم عنده أحد:

فإن كل ذلك:

يجعلنا نضع أيدينا على السر الحقيقى لاختيار بلاد الحبشة، البعيدة عن النفوذ الفارسى و الرومى و القريشى، و التى لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد او راحلة، و إنما بالسفن عبر البحار. و لم تكن قريش تعرف حرب السفن، فاختار الرسول «صلى اللّه عليه و آله» هذه البلاد بالذات لتكون ارضا لهجرة المسلمين، الذين لا يزالون ضعافا أمام قوة قريش و جبروتها.

ثم اننا نستفيد من قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن ارض الحبشة: إنها أرض صدق: أنه قد كان فيها شعب يعيش على الفطرة، و يتعامل بالصدق و الصفاء، فيمكن لهؤلاء الثلة من المسلمين المهاجرين ان يعيشوا مع هؤلاء الناس، و أن يتعاملوا معهم، لا سيما و أنها بلاد لم يكن فيها من الإنحرافات و الافكار و الشبهات ما كان فى بلاد الروم و الفرس، التى كانت قد لوثتها المفاهيم و النظريات اللاإنسانية، و الأديان

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۲

المنحرفة الى حد بعيد، و لم تتعرض بلاد الحبشة لمثل ذلك، فلم تنشأ فيها أديان، و لا كان فيها علماء و فلاسفة بالمستوى الذى كان فى دولتى الروم و الفرس فكانت اقرب الى الفطرة، و الحق من غيرها.

و لكن هيمنة الفطرة على بلاد الحبشة ليس معناه خلو تلك البلاد عن أى انحراف، فان وجود الإنحراف فيها أمر طبيعى، بل ان ذلك على حد قولهم: أهل البلد الفلانى مؤمنون، أو شجعان، او كرماء، فإن ذلك لا يمنع وجود البخيل و الكافر او الفاسق و الجبان فيها.

و من الواضح: ان المسلمين لو هاجروا إلى بلاد لا تهيمن عليها الفطرة، و كان لها ملك لا يأبى عن الظلم فلسوف تصعب عليهم الحياة و الإستمرار فيها، و لم يكن لهجرتهم من بلادهم كبير فائدة، و لا جليل أثر.

الهجرة الى الحبشة:

و هاجر المسلمون بأمر من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى الحبشة، ذهبوا إليها ارسالا على حسب رواية أم سلمة، «۱» و يقال: إنه سافر أولا- عشرة رجال و أربع نساء عليهم عثمان بن مظعون «۲»، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا فى الحبشة اثنين او ثلاثا و ثمانين رجلا، إن قلنا إن عمار بن ياسر كان معهم. و تسعة عشر إمرأة عدا الأطفال.

و قد كانت هذه الهجرة فى السنة الخامسة من البعثة كما نص عليه عامة المؤرخين.

---

(۱) السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۷، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۲ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۰ عن الصفوة و المنتقى.

(۲) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۴۵، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۵، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۶۷، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۴، قال: و به جزم ابن المحدث فى سيرته، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۳

و لكن عند الحاكم: أن هجرة الحبشة قد كانت بعد وفاة أبى طالب «۱»، و هو إنما توفى فى السنة العاشرة من البعثة.

إلا- إذا كان الحاكم يتحدث عن هجرة جديدة قام بها بعض المسلمين فى هذا الوقت، لعلها عودة الراجعين الى مكة بعد سماعهم بالهدنة، ففوجئوا بالعكس فعادوا أدراجهم.

و لكننا لا نملك شواهد تؤيد أن ذلك كان فى تلك السنة بالذات.

و كيف كان فإننا نقول:

إننا نرجح: أنه لم يكن سوى هجرة واحدة للجميع، عليها جعفر بن ابى طالب «عليه السلام»، الذى لم يكن غيره من بنى هاشم فلم يكن ثمة هجرتان، عشرة اولا، ثم الباقون ثانيا، و إن كان خروجهم إنما كان ارسالا حفاظا على عنصر السرية، و ذلك بدليل الرسالة التى وجهها الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمرى، و التى جاء فيها:

«قد بعثت إليكم إبن عمى جعفر بن ابى طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم إلخ ...» «۲». و هذا هو الظاهر من رواية أخرى عن أبى موسى، قال: «أمرنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى ارض النجاشى إلخ ...» «۳».

و إن كانت هجرة أبى موسى هذه محل شك كما سنرى.

---

(۱) مستدرك الحاكم: ج ۲ ص ۶۲۲.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۳، و البحار ج ۱۸ ص ۴۱۸، و اعلام الورى ص ۴۶- ۴۵ عن قصص الانبياء.

(۳) البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۰ عن ابى نعيم فى الدلائل، و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۴

أمير الهجرة جعفر:

و نعتقد: إن هجرة جعفر إلى الحبشة، لم تكن بسبب تعرضه للتعذيب من قبل قريش، فقد كانت قريش تخشى مكانة أبى طالب، و تراعى جانبه، و جانب بنى هاشم بصورة عامة. و إنما ارسله النبى صلى اللّه عليه و آله مع المهاجرين ليكون أميرا عليهم، و مدبرا لأمورهم، و مشرفا على شؤونهم و مصالحهم، و حافظا لهم من ان يذوبوا فى هذا المجتمع الجديد، كما كان الحال بالنسبة الى ابن جحش الذى تنصر فى الحبشة.

من هو أول مهاجر إلى الحبشة؟:

و يقولون: إن عثمان بن عفان كان أول من هاجر الى الحبشة بأهله، و أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد قال عنه بهذه المناسبة: إنه أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام «۱». و قيل إنه كان أول خارج أيضا «۲».

و نحن نشك فى ذلك، لأنه إن أريد أنه أول من هاجر بأهله، فإن أبا سلمة- كما يقولون- هو أول من هاجر بأهله «۳». و إن أريد أنه أول خارج بنفسه، فإننا نجد أنهم يقولون: أن أول خارج كان حاطب بن أبى

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۶۶ عن ابن اسحاق، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۳، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۹ و ۲۷۵.

(۲) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۴۴ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۶۶ عن البيهقى، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۲۳.

(۳) الاصابة ج ۲ ص ۳۳۵، و راجع ج ۴ ص ۴۵۹/ ۴۵۸ و الاستيعاب بهامشها ج ۲ ص ۳۳۸ عن: مصعب الزبيرى، و تهذيب الاسماء و اللغات ج ۲ ص ۳۶۲، و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۹۶ عن أبى عمر، و ابن مندة، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۳، و ذخائر العقبى: ص ۲۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۵

عمر «۱»، أو سليط بن عمرو «۲». كما أنهم يقولون: مثل ذلك عن أبى سلمة فراجع، و ستأتى الإشارة إلى هذا إن شاء اللّه تعالى.

هجرة أبى موسى إلى الحبشة لا تصح:

روى الإمام أحمد بسند حسن، و غيره: أن أبا موسى الاشعرى كان فى جملة من هاجر الى الحبشة فى الهجرة الأولى «۳».

و لكن الظاهر هو أن هذا وهم او إدراج عمدى من الراوى، فإن أبا موسى لم يسلم إلا فى المدينة فى السنة السابعة من الهجرة، و قيل: إنه خرج فى جماعة إلى النبى فألقتهم سفينتهم الى الحبشة، فجاؤا مع مهاجرى الحبشة الى المدينة، فى سنة سبع من الهجرة «۴».

و يظهر: أن ذلك قد حدث بعد الهجرة إلى المدينة، إذ لم يكونوا ليقدموا على قصده «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الى مكة، و لا ليقيموا هذه السنوات الطويلة فى الحبشة.

و الظاهر أنه التقى بمهاجرة الحبشة فى الطريق، فقد قال العسقلانى: «صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبى طالب، فقدموا جميعا» «۵».

---

(۱) الاصابة ج ۱ ص ۳۰۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۳.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۳.

(۳) راجع: سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۴۷، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۶۷ و ۶۹ و ۷۰ عن ابن اسحاق و أحمد و عن ابى نعيم فى الدلائل و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۷ و ۹، و فتح البارى، ج ۷ ص ۱۴۳ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۴ عن الطبرانى و حلية الاولياء ج ۱ ص ۱۱۴.

(۴) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۴ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۱.

(۵) الإصابة: ج ۲ ص ۳۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۶

رقة عمر للمهاجرين

و يقولون: إن عمر رأى المهاجرين، و هم يتهيأون للخروج إلى الحبشة، فرق لهم، و أحزنه ذلك «۱».

و ذلك لا يصح، لأن خروجهم كان سرا، متسللين، منهم الراكب، و منهم الماشى، حتى انتهوا إلى البحر فوجدوا سفينة فأقلتهم فخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا البحر، فلم يجدوا أحدا منهم «۲».

هذا كله، عدا عن شدة عمر و غلظته، التى تدعى له قبل و بعد الهجرة الى الحبشة على من اسلم، و تعذيبه لمن قدر عليه منهم، فإن ذلك لا يتناسب مع ما يقال عنه هنا.

هجرة ابى بكر لا تصح:

و يقولون: إنه حين اشتد البلاء على بقية من بمكة من المسلمين، و ضاقت مكة على أبى بكر، و أصابه فيها الأذى، خرج حين حصر المسلمين فى الشعب مهاجرا الى الحبشة، فلما وصل الى بركك الغماد- موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن- لقيه إبن الدغنة، سيد قبيلة «القارة»، و كانوا حلفاء لبنى زهرة من قريش، فقال له: أين تريد يا أبا بكر، فقال: أخرجنى قومى؛ فأريد أن أسيح فى الارض، و أعبد ربى، فقال إبن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يخرج؛ إنك تكسب المعدوم إلى أن قال: فارجع فأنا لك جار

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۹ عن ابن اسحاق، و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۴، و مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۵۸ و الطبرانى، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۳/ ۳۲۴.

(۲) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۴، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۸۸/ ۲۸۹ عن المنتقى و الطبرى ج ۲ ص ۶۹ و راجع البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۴۹، و اعلام الورى ص ۴۳ و اليعقوبى ج ۲ ص ۲۹ و زاد المعاد لابن القيم ج ۲ ص ۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۷

فرجع، و رجع معه إبن الدغنة، فطاف عشية فى أشراف قريش، و أعلمهم بأنه أجاره، فأجازوا جواره بشرط: أن يعبد ربه فى داره، و لا يستعلن.

و لكن أبا بكر ابتنى بعد مدة، مسجدا فى بنى جمح، بجوار داره يصلى فيه، و يقرأ القرآن، و جعل نساء المشركين، و أبناؤهم يجتمعون لسماع قراءته، حتى يسقط بعضهم على بعض. و كان له صوت رقيق، و وجه عتيق أى جميل. فراجع المشركون إبن الدغنة فى ذلك، فأتاه فطالبه، فرد عليه ابو بكر جواره «۱».

و نحن نشك فى ذلك، إذ مع غض النظر عن:

۱- أن إخراج قوم ابى بكر له لا يعنى أنه قد هاجر مختارا مع أن ظاهر الكلام هو ذلك.

۲- و مع غض النظر عن أن هذا الحديث مروى عن عائشة فقط- و هو عجيب!!- فهم يدعون:

أنها كانت حينئذ صغيرة السن جدا لا يمكن ان تعى كل تلك الأمور و الخصوصيات، و إن كنا نعتقد: أن عمرها كان أكثر مما يقولونه بكثير، كما سنشير اليه. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۳ ۱۲۷ هجرة ابى بكر لا تصح: ..... ص : ۱۲۶

۳- أضف الى ذلك: أنها لم توضح لنا عمن روت ذلك.

و دعوى البعض: أن إرسال الصحابى لا يضر، لأنه يروى عن صحابى مثله؛ و هم عدول كلهم.

---

(۱) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۲۷/ ۱۲۸، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۱۲- ۱۳، و شرح النهج ج ۱۳ ص ۲۶۷، و المصنف ج ۵ ص ۳۸۶/ ۳۸۵ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۹۴ و ۹۵، و فى تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۹/ ۳۲۰ ان ذلك كان فى الثالثة عشرة من البعثة، و حياة الصحابة ج ۱ ص ۲۷۶ و ۲۷۷ عن البخارى ص ۵۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۸

لا تصح، فأما بالنسبة لعدالتهم جميعا، فقد أثبتنا عدم صحة ذلك فراجع مقالنا: الصحابة فى الكتاب و السنة، فى كتابنا:

دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام، الجزء الثانى.

و أما دعوى: أن إرسال الصحابى إنما هو عن صحابى مثله، فهى أيضا غير صحيحة، لجواز أن يكون الصحابى قد روى عن غير صحابى، كما كان أبو هريرة يروى عن كعب الأحبار «۱».

نعم، إننا مع غض النظر عن ذلك كله، نسجل هنا الأمور التالية:

أولا: إن الرواية تنص على أن إبن الدغنة كان حليفا لبنى زهرة من قريش، فكيف أجار على قريش مع أن الحليف لا يجير؟! كما اعتذر به الأخنس بن شريق، حينما طلب منه النبى أن يجيره ليدخل مكة، حسبما يدّعون «۲».

و ثانيا: لماذا بعد أن ردّ جوار إبن الدغنة لم تؤذه قريش و لم تخرجه، و إذا كانت قبيلته قد منعته الآن؛ فلماذا لم تمنعه أولا. و إذا كانت قد أقنعتهم تقريظات ابن الدغنة لأبى بكر، فلماذا لم تقنعهم أولا، حتى احتاج أبو بكر الى جواره؟!.

و ثالثا: لقد رد الاسكافى على الجاحظ المدعى لهذه القضية بقوله:

«كيف كانت بنو جمح تؤذى عثمان بن مظعون و تضربه، و هو عندهم ذو سطوة و قدر، و تترك أبا بكر يا بنى مسجدا يفعل فيه ما ذكرتم؟ و أنتم الذين

---

(۱) راجع: شيخ المضيرة للشيخ محمود أبى رية، و أبو هريرة للسيد شرف الدين رحمهما اللّه تعالى، و راجع ترجمة كعب الأحبار فى: سير أعلام النبلاء: ج ۳ ص ۴۹۰ و غيره.

(۲) اعلام الورى ص ۵۵ و البحار ج ۱۹ ص ۷ عن القمى، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۲۰، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۳۷، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۶۰، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۴۲، و بهجة المحافل ج ۱ ص ۱۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۲۹

رويتم عن ابن مسعود: أنه قال: ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب. و الذى تذكرونه من بناء المسجد كان قبل إسلام عمر.

و أما ما ذكرتم من رقة صوته، و عتاق وجهه، فكيف يكون ذلك، و قد روى الواقدى، و غيره: أن عائشة رأت رجلا- من العرب، خفيف العارضين، معروق الخدين، غائر العينين أجنأ (يعنى مائل الظهر)، لا يمسك إزاره، فقالت: ما رأيت أشبه بأبى بكر من هذا. فلا أراها دلت على شيء من الجمال فى صفته «۱».

و يدل على صحة ما ذكره الاسكافى حول جمال أبى بكر: أن المقدسى، بعد أن ذكر: أنه لقب بعتيق لحسن وجهه و عتقه، يقول: «كان أبيض البشرة، مشربا حمرة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتيء الجبهة، عارى الاشاجع، أحنى لا يستمسك إزاره، و يسترخى عن حقويه، و كان الخ ...» و كذا قال غيره «۲».

هذا كله عدا عن قولهم: إنه لقب ب «عتيق» لأن الرسول قال له:

«هذا عتيق من النار» فيومئذ سمى عتيقا، و كان اسمه قبل ذلك: عبد اللّه بن عثمان «۳» و ذلك ينافى قولهم: إنه عتيق لجمال وجهه.

و رابعا: لقد نصت الرواية على أن أبا بكر قد ابتنى مسجدا فى بنى جمح. و لكننا نجدهم يقولون: إن مسجد قباء كان أول مسجد بنى فى الإسلام «۴». و يقولون أيضا: إن عمارا كان أول من بنى مسجدا فى

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۶۸ عن الاسكافى.

(۲) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۷۶/ ۷۷، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۹۹، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۶۱۵.

(۳) كشف الأستار عن مسند البزار: ج ۳ ص ۱۶۳، و مجمع الزوائد: ج ۹ ص ۴۰.

(۴) وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۵۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۰

الإسلام «۱».

و حاول البعض الإجابة عن هذا بأن المقصود: هو أن مسجد قباء كان أول مسجد بنى فى المدينة. و أن عمارا كان أول من بنى مسجدا لعموم المسلمين «۲».

و قد فاته: أن إطلاق قوله: فى الإسلام يدفع الأول، و إطلاق كون عمار أول من بنى مسجدا؛ يدفع الثانى، كما أن ثمة تصريحا بأنه أول من بنى فى بيته مسجدا يتعبد فيه «۳».

و خامسا: نحن بحاجة إلى إجابات على الأسئلة التالية: لماذا يترك أبو بكر يا بنى مسجدا فى بنى جمح؟. و كيف لم يعترض الجمحيون على هذا التحدى؟. و لماذا لم يدرك التيميون صفات أبى بكر النبيلة تلك، و يدعونه يخرج، ثم يدركها إبن الدغنة؟!

و لماذا لم تلاحظ قريش تلك الصفات النبيلة التى أقرت بها، و تركته يخرج؟! بل و لماذا عذبته أشد العذاب؟! مع علمها بما ذكره إبن الدغنة عنه!!.

فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره:

و الذى نظنه قويا هو أنهم ارادوا: أن يجعلوا له فضيلة سبق إليها عثمان بن

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۵، و طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۱۷۹ و ۱۷۸ و الاعلاق النفيسة ص ۱۹۶ و تاريخ ابن كثير ج ۷ ص ۳۱۱، و الغدير ج ۹ ص ۲۰ عنهما.

و الاوائل للطبرانى ص ۱۰۹ و الروض الأنف ج ۳ ص ۲۴۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۱۴۳.

(۲) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۵ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۵۰.

(۳) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ۳ ص ۱۷۸ و ذكره فى البداية و النهاية ج ۷ ص ۳۱۱، و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۵ فانه صرح بأن هذا المسجد كان خاصا بالذى بناه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۱

مظعون؛ فإنه كما يذكره المؤرخون: لما رجع من الحبشة مع من رجع، بعد شهرين من الهجرة، و فوجىء بأن الامر بين المشركين و النبى صلى اللّه عليه و آله لا يزال على حاله، دخل مكة بجوار الوليد بن المغيرة.

و لكنه لما رأى ما فيه المسلمون من البلاء، و هو يغدو و يروح فى أمان. صعب عليه ذلك، فمشى إلى الوليد فرد عليه جواره؛ فقال: يا بن أخى، لعله آذاك أحد من قومى؟ قال: لا، و لكنى أرضى بجوار اللّه عز و جل، و لا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق الى المسجد، فاردد على جوارى علانية، كما أجرتك علانية.

فانصرف معه، ورد عليه جواره علانية فى المسجد «۱».

محاولة قريش اليائسة:

و بعد أن صحا مشركوا مكة من عنف الصدمة. «و رأت قريش استقرارهم فى الحبشة و أمنهم»، على حد تعبير البعض «۲» ائتمرت فيما بينها، و قررت إرسال رجلين من قبلها إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين.

و وقع اختيارهم على عمرو بن العاص، و يقال: و على عمارة بن الوليد أيضا، فأرسلوهما إلى النجاشى بهدايا له و لبطارقته. (و جرى بين عمارة و عمرو بن العاص فى الطريق شىء مثير، يرتبط بالعلاقة بين عمارة و زوجة عمرو فاحتملها له عمرو ليكيده فى الوقت المناسب) ..

و ادّعيا أمام النجاشى: أنه «قد ضوى إلى بلدك منا غلمان

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۹۲، و قد ذكرت هذه القضية فى مختلف المصادر التاريخية فلا حاجة إلى تعدادها.

(۲) سيرة مغلطاى ص ۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۲

سفهاء، فارقوا دينهم، و لم يدخلوا فى دينك. و جاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن و لا أنت. و قد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، و أعمامهم، و عشائرهم لتردهم اليهم الخ».

فرفض تسليمهم اليهم حتى يسألهم عن صحة ما جاء به عمرو و عمارة، فجاء المسلمون؛ فسألهم فقال جعفر: «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الاصنام، و نأكل الميتة و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار، و يأكل، منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث اللّه إلينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه، و أمانته، و عفافه؛ فدعانا الى اللّه لنوحده، و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه، من الحجارة و الأوثان. و أمرنا بصدق الحديث و أداء الامانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و

الـدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قـذف المحصـنات، و أمرنا: أن نعبد اللّه وحده، لا نشـرك به شـيئا، و أمرنا بالصلاة، و الزكاة، و الصيام الخ .. «۱»».

و قرأ عليه جعفر بعض سورة الكهف: فبكى النجاشـى حتى اخضلّت لحيته، و كذلك اساقفته؛ ثم قال النجاشى: إن هذا و الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا، فو اللّه لا أسلمهم اليكما، و لا يكادون.

ثم غدا عمرو فى اليوم التالى؛ ليخبر النجاشى، بأن المسلمين يقولون: إن عيسى بن مريم عبد؛ فأرسل اليهم؛ فسألهم؛ فقال له جعفر: نقول فيه الذى جاء به نبينا «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: هو عبد اللّه

---

(۱) ذكرت الزكـاة و الصـيام فى مختلف المصـادر؛ فراجع سـيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۶۰، و السـيرة النبويـة لابن كثير ج ۲ ص ۲۱، و الكامل لابن الاثير ج ۲ ص ۸۰ (و لم يـذكر الزكاة) و اعلام الورى ص ۴۴ و لم يذكر الصـيام و البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۰، و حليـة الأولياء ج ۱ ص ۱۱۴، و السـيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۴۰. و سـتأتى بقيـة المصادر حين الكلام عن أن تشريع الصلاة و الزكاة كان فى مكة، و ذلك قبيل الكلام عن غزوة بدر ان شاء اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۳

و رسوله، و روحه و كلمته التى ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فتناول النجاشى عودا، و قال: و اللّه، ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

فتنـاخرت بطارقته، فقال: و ان نخرتم، إذهبوا فأنتم شـيوم: أى آمنون، من سـبكم غرم- قالها ثلاثا- ما أحب ان لى دبرا- أى جبلا- من ذهب و أنى آذيت رجلا منكم.

ثم رد هدايا قريش «۱».

و قد روى عن الإمام الحسـين عليه السـلام: أن ابن العاص قد ذهب إلى الحبشة مرتين ليكيد المسلمين، فرد اللّه تعالى كيده إلى نحره، و باء بغضب من اللّه تعالى. «۲»

ملاحظة:

قد شككك البعض فى صحة هذة الورايه، و ذلك لذكر الصيام فيها، و هو انما شرع فى المدينة «۳».

و لكنه كلام باطل؛ فإن الصـيام، و الزكاة، و غير ذلك، كله قـد شـرع فى مكـة، و لسوف يأتى إن شاء اللّه بيان ذلك فى هـذا الكتاب حين الحديث على ما بعد الهجرة.

و يرى بعض الاعلام: أن منشأ هـذة التحقيقـات الرشـيقة لأحمـد أمين، و من هم على شـاكلته، هـو التشـكيك فى موقف يظهر بطولة جعفر، و جراءته و حكمته، و عقله، و درايته.

---

(۱) راجع المصادر المتقدمة.

(۲) راجع: الإحتجاج: ج ۱ ص ۴۱۱/ ۴۱۲، و السيرة النبوية لابن كثير: ج ۲ ص ۲۷، و البداية و النهاية: ج ۳ ص ۷۶.

(۳) هذا ما ذكره أحمد أمين فى كتاب فجر الإسلام ص ۷۶ و لعله اقتبسه من السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۳۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۴

و قـد ابتلى جعفر أيضـا بمثل هـذا الإجحاف فى حقه فى مورد آخر، و هو كونه الأمير الأول فى غزوة مؤته، فإن لهم اهتماما خاصا فى إبعاد جعفر عن هذا المقام و التأكيد على ان الامير الأول هو زيد بن حارثة رحمه اللّه كل ذلك من أجل اخوته لعلى و قرابته منه. «۱»

قريش، و خططها المستقبلية:

حقا لقد كانت هجرة المسلمين الى الحبشة ضربة قاسية لقريش، أفقدتها صوابها، و زعزعت وجودها و كيانها؛ فحاولت أن تتدارك الأمر، فلحقت بهم بهدف إرجاعهم، و إبقائهم تحت سلطتها، و لكن بعد فوات الاوان.

و كان أن اضطرت قريش للمرة الأولى لمراجعة حساباتها من جديد، بعد أن أدركت: أن زمام المبادرة لم يعد بيدها؛ و ذلك لأنها:

۱- أدركت أن الإستمرار فى تعذيب المسلمين، الذين اصبحوا متفرقين فى مختلف القبائل، لم يعد له كبير جدوى و لا جليل اثر، إن لم يكن سببا فى اثارة حرب داخلية، تكون عواقبها السيئة على سمعتها و كرامتها كبيرة و خطيرة، حينما لا توافق كل قبيلة على التصفية الجسدية للمنتمين إليها، للمنطق القبلى. الذى ما زالوا يتعاملون على أساسه، حتى فى مواقفهم من هذا الدين الجديد، و مناهضتهم لمحمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و دعوته، رغم إجماعهم على العداء له و لها. و يكفى أن نشير هنا إلى أنهم قد قرروا: أن تتولى كل قبيلة تعذيب الذين ينتسبون إليها!!.

۲- لقد رأت قريش: أن محمدا صلى اللّه عليه و آله يريد أن تكون دعوته انسانية عالمية، لا تختص بعرب مكة و الحجاز و أدركت أن هجرة

---

(۱) راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام، الجزء الأول، بحث: من هو الأمير الاول فى غزوة مؤته.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۵

هؤلاء إلى الحبشة لم تكن متمحضة فى الهروب من التعذيب، لأن الكثيرين من أولئك المهاجرين لم يكن ممن يعذب. هذا عدا عن أنهم يمثلون مختلف القبائل المكية أيضا.

و يمثلون رصيدا يملكه الإسلام و المسلمون، و يدّخرونه للوقت المناسب، و أصبح واضحا لكل أحد: أن القضاء على مسلمى مكة لا يعنى القضاء على الإسلام.

۳- و ترى كذلك: أن معنى هجرة المسلمين هذه، و خروجهم من تحت سلطتها، هو أنها سوف تكون امام مواجهة شاملة، و ان مصالحها فى معرض التهديد و البوار.

و قد رأت أن أبا ذر باقامته بعسفان على طريق القوافل، و كلما أقبلت عير لقريش احتجزها حتى يقولوا: لا إله الا اللّه و ان محمدا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و ظل على ذلك الى ما بعد حرب أحد، قد ضايقها تلك المضايقة الشديدة مع العلم بأن القضاء على حركته ربما يكون أسهل و أيسر، لأنه فى منطقتها، و يمكن تطويقه، و الحد من نشاطه بسرعة؛ لأنه بين أمة كلها تدين لقريش بالولاء، و تقول بمقالتها، كما أنهم ينظرون إليه على انه غريب و معتد.

إذن فإن وجود المسلمين- و هم من قريش فى الصميم فى منطقة بعيدة عن نفوذ القرشيين و سلطانهم، و فى ملجأ أمين، و منطلق مطمئن.

ليشكل أعظم الاخطار على قريش و مصالحها، الأمر الذى يحتم عليها التريث و الصبر، و إحكام التدبير، لا سيما و أنها لا تجد الى تصفية النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» جسديا حيلة، و لا الى إسكاته سبيلا، ما دام فى حماية شيخ الابطح، أبى طالب «عليه السلام» و الهاشميين، باستثناء أبى لهب لعنه اللّه.

فأرسلت الى النجاشى ممثلين عنها لاسترداد المهاجرين، فرجعا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۶

إليها بالفشل الذريع و الخيبة القاتلة، فافقدها ذلك صوابها و أصبحت تتصرف بدون وعى، و لا تدبر، فعدت من جديد على من تبقى من المسلمين بالعذاب و التنكيل. و جعلت تتعرض للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالسخرية، و الاستهزاء، و الإتهام بالجنون و

السحر، و الكهانة، و بأنواع مختلفة من الحرب النفسية و الأذى.

الثورة على النجاشى:

و كان وجود المسلمين فى الحبشة، قد تسبب للنجاشى ببعض المتاعب؛ حيث اتهمه أهل بلاده بأنه خرج من دينهم فثاروا عليه. و لكنه استطاع أن يخمد الثورة بحسن إدراكه و وعيه، و استمر المسلمون عنده فى خير منزل، و خير جار، حتى رجعوا إلى المدينة، بعد هجرة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إليها كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى.

فيروى محمد بن إسحاق، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال:

اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشى: إنك فارقت ديننا، و خرجوا عليه، فأرسل الى جعفر و أصحابه، فهيأ لهم سفنا، و قال: اركبوا فيها و كونوا كما أنتم؛ فان هزمت؛ فاذهبوا حيث تلحقوا بحيث شتم. و ان ظفرت فاثبتوا، ثم خرج إليهم فجادلهم فى الامر، فانصرفوا عنه «۱» و كان ذلك قبل إيفاد قريش عمروا و عمارة، بدليل قول النجاشى لهما «فو اللّه» ما أخذ اللّه منى الرشوة حين رد على ملكى، و لا أطاع الناس فى، فأطيع الناس فيه، ردوا عليهم هداياهم؛ فلا حاجة لى بها، و أخرجا من بلادى، فخرجا مقبوحين «۲»»

---

(۱) سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۶۵، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۷، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰۲.

(۲) البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۵ عن ابن اسحاق، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۷

و قد كانت هذه الفترة التى اعقبت هجرة المسلمين الى الحبشة قد تميزت بهدوء نسبى، و لعله استمر إلى عودة عمرو بن العاص من الحبشة إلى مكة بالخيبة و الخسران.

عودة بعض المهاجرين:

و تسربت انباء الهدنة القصيرة و العفوية غير المعلنة التى حصلت فى مكة الى مسامع المسلمين فى الحبشة. و رأى المسلمون ما جرى للنجاشى بسببهم، فارتاى فريق منهم العودة الى مكة، بعد شهرين، او ثلاثة أشهر، و عاد منهم أكثر من ثلاثين رجلا، و دخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة، و كان ما كان من رده جوراه، و رضاه بجوار اللّه تعالى، حسبما تقدم.

نعم هذا هو السر فى رجوع بعض المهاجرين من الحبشة، و ليس ما ذكره اعداء الاسلام من قصة الغرانيق التى لا شك فى كذبها كما سنرى.

قصة الغرانيق

و ملخص هذه القضية المكذوبة: أنه بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة بحوالى شهرين؛ جلس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مع المشركين، فأنزل اللّه تعالى عليه سورة النجم؛ فقرأها، حتى إذا بلغ قوله تعالى: أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى، وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى، وسوس اليه الشيطان بكلمتين، فتكلم بهما، ظانا انهما من جملة الوحى و هما: «تلك الغرانيق «۱» العلى، و ان شفاعتهن لترتجى»، ثم مضى فى السورة، حتى اذا

---

(۱) الغرانيق، جمع غرنوق بكسر الغين: طيور الماء. شبهت الاصنام بها لارتفاعها فى السماء فتكون الاصنام مثلها فى رفعة القدر، و الغرنوق أيضا: الشاب الابيض الناعم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۸

بلغ السجدة، سجد و سجد معه المسلمون و المشركون. لكن الوليد بن المغيرة لم يتمكن من السجود، لشيخوخته، او لتكبره- على الخلاف- فرفع ترابا الى جبهته فسجد عليه، و قيل: إن الذى فعل ذلك هو سعيد بن العاص، و قيل كلاهما، و قيل: أمية بن خلف، و صحح، و قيل: أبو لهب، و قيل: المطلب.

و أضاف البخارى سجود الانس و الجن، الى مجموع المسلمين.

و المشركين و طار الخبر فى مكة، و فرح المشركون، بل و يقال: انهم حملوا الرسول، و طاروا به فى مكة من اسفلها إلى أعلاها.

و لما أمسى جاءه جبرائيل فعرض عليه السورة، و ذكر الكلمتين فيها؛ فأنكرهما جبرئيل؛ فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: قلت على اللّه ما لم يقل؟ فأوحى اللّه إليه: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ، لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنا غَيْرَهُ، وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا، وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ، لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا، إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ، وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً «۱».

و قد استدلوا على صحة هذه الرواية بالآية التى يدّعون: انها نزلت بهذه المناسبة و هى قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا- نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ، وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لِيَجْعَلَ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ الخ. و عدد من أسانيد هذه الروايات صحيح عند بعض الفرق «۲».

---

(۱) الاسراء/ ۷۳- ۷۵.

(۲) راجع: الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ و ۳۶۶- ۳۶۸ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۵- ۳۲۶، و تفسير الطبرى ج ۱۷ ص ۱۳۱- ۱۳۴، و فتح البارى ج ۸ ص ۳۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۳۹

و يقولون: إنه لما سمع المسلمون فى الحبشة بالسلام و الوئام بين النبى و قريش عادت طائفة منهم إلى مكة، فوجدوا الأمر على خلاف ذلك.

و نحن نعتقد جازمين بكذب هذه الروايات، و افتعالها. و يشاركنا فى هذا الإعتقاد جمع من العلماء، فقد قال محمد بن إسحاق حين ما سئل عنها: «هذا من وضع الزنادقة». و صنف فى تفنيدها كتابا «۱».

و قال القاضى عبد الجبار عن هذا الخبر: «لا أصل له، و مثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة» «۲».

و قال أبو حيان: إنه نزه كتابه عن ذكر هذه القصة فيه. «۳»

و أنكرها البيضاوى، طاعنا فى أسانيدها، و كذا البيهقى، و النووى و الرازى، و النسفى، و إبن العربى، و السيد المرتضى، و فى تفسير الخازن: أهل العلم و هنوا هذه القصة «۴».

و قال عياض: «إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، و لا رواه ثقة بسند سليم متصل، و انما أولع به، و بمثله المفسرون و المؤرخون المولعون بكل غريب، و المتلقفون من الصحف كل صحيح

و أشار إلى أصلها البخارى أيضا فى غير موضع من صحيحه، كما فى البداية و النهاية ج ۳ ص ۹۰، و قد صرح السيوطى فى دره المنثور بصحة اسانيد عدد منها، و راجع لباب النقول، و تفسير الطبرى، و هى موجودة فى مختلف التفاسير، عند تفسير الآيات، و لذا فلا حاجة إلى تعداد مصادرها.

(۱) راجع: البحر المحيط لأبى حيان ج ۶ ص ۳۸۱.

(۲) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ۲۴۳.

(۳) عن تفسير البحر المحيط ج ۶ ص ۳۸۱.

(۴) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۱، و الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۳۰، و الرحلة المدرسية ص ۳۸. و فتح البارى ج ۸ ص ۳۳۳، و تفسير الرازى ج ۲۳ ص ۵۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۰

و سقيم. و صدق القاضى بكر بن العلاء المالكى، حيث قال: لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء و التفسير، و تعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته و اضطراب رواياته، و انقطاع أسناده و اختلاف كلماته «۱»»

و نحن نؤيد ما قاله:

فأولا- إن جميع روايات هذه القصة سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف، او منقطع «۲» و حديث سعيد مرسل، و المرسل عند جمهور المحدثين من قسم الضعيف، لاحتمال أن يكون قدرواه عن غير الثقة «۳».

و أيضا فان الاحتجاج بالمرسل لو سلم؛ فإنما يكون فى الفرعيات و ما نحن فيه يرتبط بالعقائد، التى تحتاج الى القطع. هذا و الملاحظ لأسانيدها يراها تنتهى: إما الى تابعى او إلى صحابى لم يولد إلا بعد هذه القضية.

بل إن هذه الرواية يجب ردها و القطع بكذبها، و لو كان سندها متصلا، لأنها مصادمة لحكم العقل كما سنرى و بهذا رد على القسطلانى، و العسقلانى، و آخرين حيث قد حكموا بصحتها، و بان لها أصلا لكثرة طرقها «۴».

و ثانيا: تناقض رواياتها، و قد تقدم التناقض فيمن لم يسجد، و نزيد هنا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قرأها و هو يصلى. أو و هو جالس فى نادى قومه.

---

(۱) الشفاء ج ۲ ص ۱۲۶ ط العثمانية و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۵۳.

(۲) فتح البارى ج ۸ ص ۳۳۳.

(۳) راجع: مقدمة ابن الصلاح ص ۲۶.

(۴) فتح البارى ج ۸ ص ۳۳۳، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۶ و راجع سيرة مغلطاى ص ۲۴ المواهب اللدنية ج ۱ ص ۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۱

حدث نفسه بها .. أو جرت على لسانه.

الشيطان أخبرهم: أنه (ص) قالها. أو قرأها المشركون.

تنبه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حين قراءتها.

او لم يتنبه الى المساء.

بل ذكر الكلاعى: أن الأمر لم ينكشف بهذه السرعة، بل فشا الأمر حتى بلغ الحبشة: أن المسلمين قد أمنوا فى مكة، فقدم مسلموها، و نزل نسخ ما ألقاه الشيطان، فلما بين اللّه قضاءه اشتد المشركون على المسلمين «۱». إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف.

و يقولون: لا حافظة لكذوب.

و ثالثا: إن هذه الرواية ليس فقط تنافى ما هو مقطوع به من عصمته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن الخطأ و السهو. و على الأخص فى أمر التبليغ، و هو ما قام عليه إجماع الأمة، و الادلة القطعية. و إنما هى تثبت الإرتداد له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نعوذ باللّه من الغواية، عن طريق الحق و الهداية.

و رابعا: ان هذه الرواية تنافى قوله تعالى: إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ «۲» و قوله: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ «۳» إلا أن يفرض هؤلاء- و العياذ باللّه-: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن من عباد اللّه، و لا من الذين آمنوا، و

لا من المتوكلين.

و ليس هذا القول إلا الكفر بعد الايمان، كما هو ظاهر للعيان.

---

(۱) راجع: الاكتفاء للكلاعى ج ۱ ص ۳۵۲/ ۳۵۳.

(۲) الاسراء الآية ۶۵.

(۳) النمل الآية ۹۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۲

و خامسا: ينص الكلاعى على ان المشركين و المسلمين قد سجدوا جميعا لما بلغ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» آخر السورة. و أن المسلمين قد عجبوا لسجود المشركين؛ لأن المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذى ألقى الشيطان على ألسنة المشركين مع انه يصرح قبل ذلك بأسطر: ان الشيطان قد ألقى تلك الكلمات على لسان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه «۱»!!

فيرد سؤال: إنه كيف سمع المشركون ما ألقاه الشيطان على لسانه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و لم يسمعه المسلمون، و هم معهم، و لا بد أنهم كانوا أقرب اليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» منهم؟!.

و سادسا: إن جميع الآيات المذكورة لا يمكن ان تكون ناظرة الى مناسبة هذه الروايات إطلاقا؛ فأما:

۱- آيات سورة النجم؛ فإنه تعالى قد قال عن أصنام المشركين:

مناة، و اللات، و العزى: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ، ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ. إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ، وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى «۲».

فكيف رضى المشركون بأن يذم آلهتهم بهذا النحو الحاد، ثم فرحوا بقوله المزعوم ذاك و سجدوا معه؟! و كيف لم يدركوا أو كيف فسّروا هذا التناقض الظاهر فى كلامه، حتى حملوه- كما زعم- و طاروا به فى مكة من أسفلها إلى أعلاها و هم يقولون: نبى بنى عبد مناف؟!.

و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه، لماذا لم يلتفت إلى هذا التناقض الظاهر، و بقى غافلا عنه الى الليل، حتى جاء جبرئيل فنبهه

---

(۱) المصدر السابق ص ۳۵۲.

(۲) النجم الآية ۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۳

اليه؟! فهل كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى غيبوبة طيلة تلك الفترة؟! أم أنه كان سقيم الذهن- و العياذ باللّه- إلى هذا الحد؟!

ثم، أليست هذه الرواية تناقض تماما قوله تعالى فى سورة النجم نفسها، و بالذات فى أول السورة بعد القسم: «و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى»؟! فها هو فى نفس السورة ينطق عن الهوى، بل هو يردد ما يلقيه إليه الشيطان. على انه آيات قرآنية إلهية. مع ان اللّه تعالى يقول:

وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ، لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ «۱» فها هو يتقول عليه و لا يفعل به شيئا «۲».

و اذا كانت هذه الآية قد نزلت بعد سورة النجم، فان ذلك لا يضر ما دامت الآية تعطى قاعدة كلية، و لا تشير إلى قضية خارجية خاصة.

۲- و أما آية التمنى، فهى فى سورة الحج، التى هى مدنية بالاتفاق، و لا سيما و أنه قدورد فيها الأمر بالأذان فى الناس بالحج و الأمر بالقتال، و الأمر بالجهاد، و ذكر فيها الصد عن المسجد الحرام، و كل ذلك إنما كان بعد الهجرة، و بعضه بعدها بعدة سنوات. هذا

بالاضافة إلى أن الضحاك، و إبن عباس، و قتادة، و إبن الزبير و غيرهم، قد ذكروا أنها مدنية.

و إذا كانت مدنية، فهذا يعنى: أن هذه الآية قد نزلت بعد قصة الغرانيق بسنوات عديدة، لأن قصة الغرانيق قد حصلت!! فى السنة الخامسة من البعثة، فكيف أخر اللّه تسلية و تهدئة خاطر الرسول هذه السنين الطويلة؟!.

على أن معنى الاية لا ينسجم مع مفاد الرواية، فان التمنى هو

---

(۱) الحاقة الآيات ۴۴- ۴۶.

(۲) هذا إن لم نقل إن الآية ناظرة إلى صورة تعمد الكذب على اللّه، لانه عبر بالتقوّل، الذى هو تعمد القول.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۴

تشهى حصول أمر محبوب و مرغوب فيه، فالرسول انما يتشهى و يتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، و أعظم أمنية لإنسان كهذا هى ظهور الحق و الهدى، و طمس الباطل و كلمة الهوى فيلقى الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الامنية، و يكون فتنة للذين فى قلوبهم مرض، كما ألقى فيما بين أمة موسى من الغواية ما القى، فينسخ اللّه بنور الهدى غواية الشيطان، و يظهر الحق للعقول السليمة.

و أما لو أردنا تطبيق الآية على ما يقولون. فإن المراد بالتمنى يكون هو القراءة و التلاوة و هو معنى شاذ غريب، يخالف الوضع اللغوى و ظاهر اللفظ، و لا نشك فى أنه تفسير موضوع و مفتعل ليوافق الرواية المزعومة.

أما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت، كشاهد على ذلك «۱» فنعتقد: أنه مصنوع و منسوب إليه للغرض نفسه، و ما أكثر ما نجده من ذلك فى كتب التاريخ:

و حتى لو قبلنا ان المراد بالتمنى هو التلاوة، فإن من الممكن ان يكون معناه ما قاله المرتضى رحمه اللّه، و هو:

انه إذا تلا النبى على قومه الآيات حرفوها، و زادوا و نقصوا فيها، كما فعلت اليهود بالكذب على نبيهم فإضافة ذلك الى الشيطان إنما هو لأنه هو الموسوس لهم بذلك ثم يدحض اللّه ذلك و يزيله بظهور حجته «۲».

۳- و أما بالنسبة لآيات سورة الإسراء التى يقولون: إنها نزلت فى هذه المناسبة، و هى قوله تعالى: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنا

---

(۱) ففى تنزيه الانبياء ص ۱۰۷: أن حسان بن ثابت قال:

على أن من الممكن أن يكون المقصود بالتمنى هنا حب ذلك و الشوق إليه.

(۲) تنزيه الانبياء ص ۱۰۷ و ص ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۵

إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنا غَيْرَهُ الخفإنها تناقض و تنافى هذه القضية فكيف تكون قد نزلت من أجلها.

و ذلك لأن هذ الآيات تقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يركن إليهم، بل لم يقرب الى الركون إليهم، و أن اللّه قد ثبته، و أنه لو ركن لعوقب، و قضية الغرانيق تقول: إنه قد زاد على الركون، فاستجاب، و افترى، و أدخل فى القرآن ما ليس منه.

و معنى الآية: أن المشركين قد أصروا على ان يتركهم و شأنهم، و تفاوضوا معه، و مع أبى طالب كثيرا، فلربما يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد فكر فى أن يمهلهم قليلا، لعلهم يفكرون و يرجعون؛ فجاءت الآية لتقول له: إن الصلاح فى عدم الامهال، بل فى الشدة.

هذا كله. عدا عن أنهم يقولون: إن آيات سورة الاسراء قد نزلت فى ثقيف، حينما اشترطوا لاسلامهم شروطا تزيد فى شرفهم، و قيل: نزلت فى قريش حينما منعته من استلام الحجر، و قيل: نزلت فى يهود المدينة، عندما طلبوا منه ان يلحق بالشام. «۱» و قد اقتصر القاضى

البيضاوى على هذه الوجوه ..

و سادسا: و أخيرا .. كيف سجد المشركون عند نهاية السورة لقوله تعالى: فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا مع انهم يرفضون السجود للّه؟ قال تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ: اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا: وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً

ثم كيف. لا يرتد أحد من المسلمين، او يتزلزل إيمانه حينما يعلم أن رسول اللّه قد مدح الأصنام، و جعل لها شفاعة «۲»؟!.

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۶، و الدر المنثور، و تفسير الخازن، و سائر كتب التفسير.

(۲) راجع هامش: الاكتفاء للكلاعى ج ۱ ص ۳۵۳/ ۳۵۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۶

تساؤلات حائرة:

و أخيرا .. فلا نـدرى كيف يمكن فهم و تعقل ما ذكرته بعض الروايات من أنه إنما حدث «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه بتلك الفقرات؟ فكيف علم قومه بذلك حتى فعلوا ما فعلوا، ثم بلغ الخبر إلى المسلمين فى الحبشة، فجاؤوا.

و كذا قولهم: إن المشركين قد حملوا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و طاروا به فى مكة من اسفلها الى أعلاها، فكيف لم يتساءل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن سر هذا التبدل العظيم فى موقف قومه؟!

و قولهم: إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجرة الى الحبشة، نقول فيه، إنهم يقولون: إن عودة مهاجرى الحبشة قد كانت بعد شهرين أيضا. فهل وصل اليهم الخبر بالتلكس، او بالتلفون، و هل جاؤوا بالطائرة، أم بالصواريخ؟!

إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكة بعد شهرين من هجرتهم، و إن كان هذا بعيدا عن ظاهر اللفظ.

و كذا قولهم: إنه لما عرض «صلى اللّه عليه و آله و سلم» السورة على جبرائيل، و قرأ الفقرتين، أنكرهما جبرائيل فقال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: قلت على اللّه ما لم يقل؟ فأنزل اللّه، وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ.

نقول فيه: إن الخطاب فى الآية للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أن الناس كادوا يفتنونه، مع ان الرواية تنص على ان الشيطان هو الذى كاد ان يفتنه.

إلى غير ذلك من موارد الضعف و الوهن و التناقض التى يمكن تلمّسها فى هذا المجال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۷

حقيقة الأمر:

و الظاهر هو ان حقيقة ما جرى هو ما قيل من: ان الكفار كانوا يكثرون اللغو و اللغط حين قراءته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حتى لا يسمع أحد ما يقرأ قال تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ «۱» فحينما قرأ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» سورة النجم، و انتهى الى هذا المورد، قال المشركون تلك الغرانيق العلى الخ «۲».

نعم، ثم جاء القصاصون و الحاقدون، و لعل منهم مسلمة أهل الكتاب، الذين ادخلوا الكثير من اسرائيلياتهم فى الاسلام- جاؤا- و نسجوا حولها ما يتلاءم مع مصالحهم و أهدافهم الشريرة، من الطعن بعصمته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، ثم التشكيك بكل ما فى القرآن، بحيث يتهيأ الجو لتطرق احتمالات من هذا النوع فى كل سورة و آية، ثم التدليل على مدى جهل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و عدم إدراكه حتى المتناقضات الواضحة.

ثم خضوعه لسلطان الشيطان، و عدم قدرته على تمييز ما هو منه عما هو من غيره.

و لكننا نجدهم يقولون فى مقابل ذلك، كما تقدم: ان الشيطان يفر من حس عمر «۳» أو لم يلق الشيطان عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه «۴»، أو ما

---

(۱) فصلت الآية ۲۶.

(۲) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۲۸ و تنزيه الانبياء ص ۱۰۷ و ليراجع هامش الاكتفاء للكلاعى ج ۱ ص ۳۵۴ عن السيهلى، و قد نقل الكلبى فى كتاب الاصنام:

أن قريشا كانت تقول هذه الكلمات فى مدحها لاصنامها حول الكعبة- كما نقل.

(۳) الرياض النضرة ج ۲ ص ۳۰۱.

(۴) عمدة القارىء ج ۱۶ ص ۱۹۶ و راجع تاريخ عمر ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۸

سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر «۱» و لعلهم ارادوا: ان يقولوا:

ان للنبى شيطانا يعتريه كما كان لابى بكر ... و قد تقدم الحديث عن كل ذلك فى بحوث سابقة.

ثم جاء المستشرقون الحاقدون، أعداء الاسلام، فحاولوا الإستفادة من هذه الاباطيل و الاساطير للطعن فى نبينا الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۲».

فأحبط اللّه سعيهم، ورد كيدهم فى نحورهم ... فان الحق كالصبح أبلج، و سيرة نبينا فى النبل و الصفاء و الطهر من كل عيب و شين كذكاء فى كبد السماء تتوهج.

---

(۱) صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۱۵ و فى تاريخ عمر ص ۳۵ ما يقرب من ذلك و كذلك ص ۶۲ و الغدير ج ۸ ص ۹۴ و مسند احمد ج ۱ ص ۱۷۱ و ۱۸۲ و ۱۸۷ و صحيح البخارى ج ۲ ص ۴۴ و ۱۸۸ و عمدة القارىء ج ۱۶ ص ۱۹۶.

(۲) راجع: تاريخ الشعوب الاسلامية ص ۳۴ لبروكلمان و كتاب الاسلام ص ۳۵/ ۳۶ لألفريد هيوم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۴۹

الفصل الثالث: حتى الشعب

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۱

تناقضات فى تاريخ اسلام حمزة عليه السلام:

و يقولون: إن إسلام حمزة بن عبد المطلب عليه السلام كان فى الثانية من البعثة. ثم يقولون: إنه اسلم بعد دخوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دار الأرقم. و هذا متناقض؛ لانه إنما دخل دار الأرقم فى أواخر السنة الثالثة، كما يدّعون.

و تناقض آخر: انهم يذكرون انه أسلم قبل عمر بثلاثة ايام، مع أنهم يذكرون ان عمر اسلم فى السنة السادسة بعد خروج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من دار الأرقم.

و هذا متناقض؛ لأنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إنما دخلها فى أواخر السنة الثالثة من البعثة و لمدة شهر واحد فقط كما يقال .. و

سيأتى أن التحقيق هو: أن إسلام عمر كان بعد إسلام حمزة بسنوات.

اسلام حمزة (رض)

و نلاحظ: أن ابن هشام و غيره يذكرون اسلام حمزة «رحمه اللّه» بعد الهجرة إلى الحبشة، أى فى حوالى السنة السادسة للبعثة، و نحن نرجع ذلك؛ لأنه حين اسلم- كما يقول المقدسى- «عز به النبى «صلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۲

اللّه عليه و آله و سلم» و اهل الإسلام، فشق ذلك على المشركين، فعدلوا عن المنابذة الى المعاتبة، و اقبلوا يرغبونه فى المال و الأنعام، و يعرضون عليه الأزواج «۱»».

و عروضهم هذه إنما كانت بعد الهجرة إلى الحبشة، كما يفهم من سيرة ابن هشام. كما أنه إنما أسلم بعد الإعلان بالدعوة، و بعد مفاوضات قريش مع أبى طالب و عروضها عليه، و بعد أن عدلوا عن ذلك إلى العداوة و الأذى.

و على كل حال، فقد كان إسلام حمزة تطورا جديدا لم يكن قد دخل فى حسابات قريش، حيث قلب الموازين رأسا على عقب، وفتّ فى عضد قريش، و زاد من مخاوفها، و كبح من جماحها.

فقد مر أبو جهل بالرسول عند الصفا، فآذاه و شتمه، و نال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، و التضعيف لأمره، فلم يكلمه الرسول صلى اللّه عليه و آله.

و كان حمزة صاحب صيد و قنص، و كان إذا رجع بدأ بالبيت، و طاف به، و سلم على من فيه، و رجع إلى بيته.

و فى هذه المرة كان حمزة راجعا من صيده، فأخبرته إحدى النساء بما كان من أبى جهل تجاه الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم، فاحتمل حمزة الغضب، و دخل المسجد، فرأى أبا جهل جالسا مع القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربة شجه بها شجة منكرة. ثم قال: أتشتمه و أنا على دينه، أقول ما يقول؟ فردّ على ذلك إن استطعت و كان ذلك بعد أن تضرع إليه أبو جهل، و أخذ بثوبه،

---

(۱) البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۴۸/ ۱۴۹، و هو الظاهر من سيرة ابن هشام، حيث ذكر هذه العروض بعد ذكره لاسلام حمزة «عليه السلام».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۳

فلم يقبل منه.

فقام رجال من بنى مخزوم، لينصروا أبا جهل، فقالوا لحمزة: ما نراك إلا قد صبأت؟ فقال حمزة: و ما يمنعنى؟ و قد استبان لى منه أنه رسول اللّه، و الذى يقول حق؟! فو اللّه لا أنزع، فامنعونى إن كنتم صادقين.

فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنى و اللّه لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

يقول المقدسى: «فلما أسلم حمزة عزّ به الدين و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۱»»، و سرّ رسول اللّه بإسلامه كثيرا.

و علمت قريش: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد عز و امتنع، فكفوا عما كانوا ينالونه منه. و قال حمزة للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: فأظهر يابن أخى دينك، فو اللّه ما أحب أن لى ما أظلته السماء، و أنى على دين الأول «۲».

و كان حمزة أعز فتى فى قريش، و أشدهم شكيمة «۳».

إسلام حمزة كان عن وعى لا حمية:

و الظاهر، بل الصريح من كلام حمزة رحمه اللّه، و لا سيما قوله الأخير: «و ما يمنعنى، و قد استبان لى منه: أنه رسول اللّه، و الذى يقول حق» أنّه لم يكن فى إسلامه منطلقا من عاطفته التى أثيرت و حسب، و إنما

---

(۱) البدء و التاريخ ج ۵ ص ۹۸.

(۲) راجع: تاريخ الامم و الملوك ج ۲ ص ۷۲- ۷۳ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۱ ص ۳۱۲.

(۳) راجع: تاريخ الامم و الملوك ج ۲ ص ۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۴

سبقت ذلك قناعة كاملة، كوّنها مما شاهده عن قرب من مواقف و سلوك، و سمعه من أقوال النبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم.

و قد يستفاد من قوله: أتشتمه و أنا على دينه أن إسلامه كان متقدما على ذلك الوقت، و لكنه كان يتكتم به مراعاة للظروف، و حفاظا على الإسلام و المسلمين، الذين كانوا أضعف من أن يتمكنوا من مواجهة قريش و جبروتها. و لربما كان بعضهم بحاجة إلى المزيد من التربية النفسية الخاصة، ليتمكن من مواجهة تلك الظروف القاسية مع المشركين.

سرّ جبن أبى جهل فى مواجهة حمزة:

و لا بدّ من التذكير هنا: بأن أبا جهل، عظيم المشركين و جبارهم مع أنه كان بين أهله و عشيرته، و مع أن عشيرته قد أعلنت عن استعدادها لنصرته، فإنه كان أجبن و أذل من أن يقف فى وجه أسد اللّه و أسد رسوله، و ما ذلك إلا لأنه كان من جهة: يعلم فتوّة حمزة و عزته، و شدة شكيمته و بطولته، و رأى مدى تصميمه و إصراره، و عرف مقدار استعداده للتضحية و الفداء فى سبيل دينه، و عقيدته.

و من الجهة الأخرى: فإن أبا جهل إنما كان يحارب النبى صلى اللّه عليه و آله و يناقضه، حبا بالحياة، و من أجل الدنيا، فهو إذن لا يريد الموت إطلاقا، بل هو يهرب منه، و يعده خسارة له، ما بعدها خسارة. أما حمزة رحمه اللّه، فكان يعتبر الموت فى سبيل هذا الدين نصرا و فوزا، تماما بالمقدار الذى يعتبره أبو جهل، و من هم على شاكلته خسرانا و ضياعا فلماذا إذن يخشى الموت و يخافه؟، بل لماذا لا يكون الموت عنده أحلى من العسل، و ألذ من الشهد؟.

و من جهة ثالثة: فإن أبا جهل لم يكن على استعداد لأن يحارب بنى هاشم فى تلك الفترة، التى كان له فيهم أنصار كثيرون، لأن حربه لهم لسوف تؤدى إلى أن يخسر هؤلاء الذين يلتقى معهم فكريا و عقيديا، لأنهم

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۵

بحكم المنطق القبلى الذى يهيمن على مواقفهم و تصرفاتهم لن يتركوا ابن أخيهم، حتى و لو كان على غير دينهم، (و قد وعدوا أبا طالب باستثناء أبى لهب أن يمنعوا محمدا ممن يريد به سوآ كما تقدم). بل إن تحرك أبى جهل فى ظروف كهذه لربما يؤدى إلى ترسيخ أمر محمد، و إلى دخول الكثيرين من بنى هاشم فى دينه، حمية و انتصارا. و هذا ما لا يريده أبو جهل، و لا يرغب فيه.

إذن، فقد كانت جميع الظروف تدفعه إلى الاستسلام للذل و الهوان فى مقابل أسد اللّه و أسد رسوله.

و الخلاصة: أن حب أبى جهل للحياة، و جبنه، ثم ما كان يراه من الصلاح فى عدم التصعيد فى مناهضة محمد و بنى هاشم. قد جعله فى موقف الذليل المهان.

و جعل اللّه كلمة الباطل هى السفلى، و كلمة الحق هى العليا.

ملاحظة هامة:

و الملاحظ هنا: أنه بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب تتراجع قريش، و تليّن من موقفها، و تدخل فى مفاوضات معه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و تعطيه بعض ما يريد، لأنها رأت أن المسلمين يزيد عددهم و يكثر، فكلّمه عتبة، فأبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كل عروضهم «۱».

عبس و تولى:

و يذكر المؤرخون بعد قضية الغرانيق، القضية التى نزلت لأجلها سورة عبس و تولى، المكية، و التى نزلت بعد سورة النجم. و ملخص هذه

---

(۱) راجع: كنز العمال: ج ۱۴ ص ۴۸ عن البيهقى فى الدلائل، و ابن عساكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۶

القضية:

أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يتكلم مع بعض زعماء قريش، ذوى الجاه و المال، فجاءه عبد اللّه بن أم مكتوم- و كان أعمى- فجعل يستقرىء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» آية من القرآن، قال: يا رسول اللّه، علمنى مما علمك اللّه. فاعرض عنه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و عبس فى وجهه، و تولى، و كره كلامه، و أقبل على أولئك الذين كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد طمع فى إسلامهم، فأنزل اللّه تعالى:

عَبَسَ وَ تَوَلّى. أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى. وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى، وَ ما عَلَيْكَ أَلّا يَزَّكّى. وَ أَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى. وَ هُوَ يَخْشى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى «۱».

و فى رواية: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كره مجىء، ابن أم مكتوم و قال فى نفسه: يقول هذا القرشى: إنما اتباعه العميان و السفلة، و العبيد، فعبس «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلخ .. (و كأن ذلك الزعيم لم يكن يعلم بذلك!! و كأن قريشا لم تكن قد صرحت بذلك و أعلنته!!).

و عن الحكم: ما رؤى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بعد هذه الآية متصديا لغنى، و لا معرضا عن فقير.

و عن ابن زيد: لو أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كتم شيئا من الوحى، كتم هذا عن نفسه «۲».

---

(۱) سورة عبس/ ۱- ۱۰.

(۲) راجع فى هذه الروايات: مجمع البيان ج ۱۰ ص ۴۳۷ و الميزان عن المجمع و تفسير ابن كثير ج ۴ ص ۴۷۰ عن الترمذى، و ابى يعلى، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۲۰ عنه، و تفسير الطبرى ج ۳۰ ص ۳۳/ ۳۴، و الدر المنثور ج ۶ ص ۳۱۴/ ۳۱۵.

و أى تفسير قرآن آخر لغير الشيعة؛ فانك تجد فيه الروايات المختلفة التى تصب فى هذا الاتجاه، فراجع الأخير على سبيل المثال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۷

فابن زيد يؤكد بكلامه هذا على مدى قبح هذا الأمر، و على مدى صراحة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حتى إنه لم يكتم هذا الأمر، رغم شدة قبحه و شناعته!.

لقد أجمع المفسرون، و أهل الحديث، باستثناء شيعة أهل البيت عليهم السلام- على أصل القضية المشار إليها.

و نحن نرى: أنها قضية مفتعلة، لا يمكن أن تصح. و ذلك.

أولا: لضعف أسانيدها، لأنها تنتهى: إما إلى عائشة، و أنس، و ابن عباس، من الصحابة، و هؤلاء لم يدرك أحد منهم هذه القضية أصلا، لأنه إما كان حينها طفلا، أو لم يكن ولد «۱».

أو الى أبى مالك «۲»، و الحكم، و ابن زيد، و الضحاك، و مجاهد، و قتادة، و هؤلاء جميعا من التابعين فالرواية مقطوعة، لا تقوم بها حجة.

و ثانيا: تناقض نصوصها «۳» حتى ما ورد منها عن راو واحد، فعن عائشة. فى رواية: إنه كان عنده رجل من عظماء المشركين، و فى أخرى عنها: عتبة و شيبة، و فى ثالثة عنها: فى مجلس فيه ناس من وجوه قريش، منهم أبو جهل، و عتبة بن ربيعة.

و فى رواية عن ابن عباس: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يناجى عتبة، و عمه العباس، و أبا جهل. و فى التفسير المنسوب إلى ابن عباس: إنهم العباس، و أمية بن خلف، و صفوان بن أمية.

و عن قتادة: أمية بن خلف. و فى أخرى عنه: أبى بن خلف.

---

(۱) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۵۸.

(۲) الظاهر أن المراد به أبا مالك الاشجعى، المشهور بالرواية، و تفسير القرآن، و هو تابعى.

(۳) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۵۸/ ۱۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۸

و عن مجاهد: صنديد من صناديد قريش، و فى أخرى عنه: عتبة بن ربيعة، و أمية بن خلف.

هذا، عدا عن تناقض الروايات مع بعضها البعض فى ذلك، و فى نقل ما جرى، و فى نص كلام الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و نص كلام ابن أم مكتوم. و نحن نكتفى بهذا القدر، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعة و المقارنة.

و ثالثا: إن ظاهر الآيات المدعى نزولها فى هذه المناسبة هو أنه كان من عادة هذا الشخص و طبعه، و سجيته، و خلقه: أن يتصدى للغنى، و يهتم به و لو كان كافرا و يتلهى عن الفقير و لا يبالى به أن يتزكى، و لو كان مسلما. و كلنا يعلم: أن هذا لم يكن من صفات و سجايا نبينا الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلم، و لا من طبعه، و خلقه.

كما أن العبوس فى وجه الفقير، و الإعراض عنه، لم يكن من صفاته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حتى مع أعدائه، فكيف بالمؤمنين من أصحابه و أودّائه «۱». و هو الذى وصفه اللّه تعالى بأنه بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «۲».

بل لقد كان من عادته صلى اللّه عليه و آله مجالسة الفقراء، و الاهتمام بهم، حتى ساء ذلك أهل الشرف و الجاه، و شق عليهم. و طالبه الملأ من قريش بأن يبعد هؤلاء عنه ليتبعوه، و أشار عليه عمر بطردهم، فنزل قوله تعالى: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ «۳».

---

(۱) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۵۸، و الميزان ج ۲۰ ص ۲۰۳، و تنزيه الانبياء ص ۱۱۹ و مجمع البيان ج ۱ ص ۴۳۷.

(۲) سورة التوبة الآية/ ۱۲۸.

(۳) راجع: الدر المنثور ج ۳ ص ۱۲/ ۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۵۹

و يظهر: أن الآية قد نزلت قبل الهجرة إلى الحبشة لوجود ابن مسعود فى الرواية. أو حين بلوغهم أمر الهدنة، و رجوعهم إلى مكة.

و لكن يبقى إشكال أن ذكر عمر فى هذا المقام فى غير محلّه، لأنه لم يكن قد أسلم حينئذ لأنه إنما أسلم قبل الهجرة إلى المدينة بيسير، كما سنرى.

كما أن اللّه تعالى قد وصف نبيه فى سورة القلم التى نزلت قبل سورة عبس و تولّى بأنه على خلق عظيم، فإذا كان كذلك، فكيف يصدر عنه هذا الأمر المنافى للأخلاق، و الموجب للعتاب و اللوم منه تعالى لنبيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فهل كان اللّه- و العياذ باللّه- جاهلا بحقيقة أخلاق نبيه؟ أم أنه يعلم بذلك، لكنه قال هذا لحكمة و لمصلحة اقتضت ذلك؟ نعوذ باللّه من الغواية، عن طريق الحق و الهداية.

و رابعا: إن اللّه تعالى يقول فى الآيات: وَ ما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى، و هذا لا يناسب أن يخاطب به النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لأنه مبعوث لدعوة الناس و تزكيتهم. و كيف لا يكون ذلك عليه، مع أنه هو مهمته الأولى و الأخيرة، و لا شىء غيره. ألم يقل اللّه تعالى: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ؟ «۱» فكيف يغريه بترك الحرص على تزكية قومه «۲».

خامسا: لقد نزلت آية الانذار: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ* وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «۳» قبل سورة عبس بسنتين فهل نسى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أنه مأمور بخفض الجناح لمن

---

(۱) سورة البقرة الآية/ ۱۲۹.

(۲) تنزيه الانبياء ص ۱۱۹.

(۳) الشعراء/ ۲۱۴- ۲۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۰

اتبعه؟ و إذا كان نسى، فما الذى يؤمننا من أن لا يكون قد نسى غير ذلك أيضا؟، و إذا لم يكن قد نسى، فلماذا يتعمد أن يعصى هذا الأمر الصريح؟! «۱».

سادسا: إنه ليس فى الآية ما يدل على أنها خطاب للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، بل اللّه سبحانه يخبر عن رجل ما أنه: عَبَسَ وَ تَوَلَّى* أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى ثم التفت اللّه تعالى بالخطاب الى ذلك العابس نفسه، و خاطبه بقوله: وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى الخ ..

سابعا: لقد ذكر العلامة الطباطبائى: أن الملاك فى التفضيل و عدمه ليس هو الغنى و الفقر، و انما هو الاعمال الصالحة، و السجايا الحسنة، و الفضائل الرفيعة. و هذا حكم عقلى و جاء به الدين الحنيف، فكيف جازله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يخالف ذلك، و يميز الكافر لما له من و جاهة على المؤمن؟ «۲».

و القول: بأنه إنما فعل ذلك لأنه يرجو إسلامه، و على أمل أن يتقوى به الدين، و هذا أمر حسن، لأنه فى طريق الدين، و فى سبيله.

لا يصح، لأنه يخالف صريح الآيات التى تنص على أن الذم له كان لأجل أنه يتصدى لذاك الغنى لغناه، و يتلهى عن الفقير لفقره.

و لو صح هذا، فقد كان اللازم أن يفيض القرآن فى مدحه و اطرائه على غيرته لدينه، و تحمسه لرسالته؛ فلماذا هذا الذم و التقريع إذن.

و نشير أخيرا: إلى أن البعض قد ذكر: أنه يمكن القول بأن الآية خطاب كلى مفادها: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان إذا رأى

---

(۱) الميزان ج ۲۰ ص ۳۰۳.

(۲) راجع: الميزان ج ۲۰ ص ۳۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۱

فقيرا تأذى و أعرض عنه.

و الجواب:

أولا: إن هذا يخالف القصة التى ذكروها من كونها قضية فى واقعة واحدة لم تتكرر.

و ثانيا: إذا كان المقصود هو الإعراض عن مطلق الفقير؛ فلماذا جاء التنصيص على الأعمى؟!.

و ثالثا: هل صحيح أنه قد كان من عادة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ذلك؟!!.

المذنب رجل آخر:

فيتضح مما تقدم: أن المقصود بالآيات شخص آخر غير النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و يؤيد ذلك:

ما روى عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام»، انه قال: كان رسول اللّه إذا رأى عبد اللّه بن أم مكتوم قال: مرحبا، مرحبا، و اللّه لا يعاتبنى اللّه فيك أبدا. و كان يصنع به من اللطف، حتى يكف عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مما كان يفعل به «۱».

فهذه الرواية تشير إلى أن اللّه تعالى لم يعاتب نبيه فى شأن إبن أم مكتوم، بل فيها تعريض بذلك الرجل الذى ارتكب فى حق ابن أم مكتوم تلك المخالفة، إن لم نقل: إنه يستفاد من الرواية نفى قاطع حتى لإمكان صدور مثل ذلك عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، بحيث يستحق العتاب و التوبيخ؛ إذ لا معنى لهذا النفى لو كان اللّه تعالى قد عاتبه فعلا.

---

(۱) تفسير البرهان ج ۴ ص ۴۲۸، و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۵۰۹، و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۴۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۲

هذا و لكن الأيدى غير الأمينة قد حرفت هذه الكلمة؛ فادعت أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يقول: مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى.

فلتراجع كتب التفسير، كالدر المنثور و غيره.

و الصحيح هو ما تقدم.

سؤال و جوابه:

و لعلك تقول: إنه إذا كان المقصود بالآيات شخصا آخر؛ فما معنى قوله تعالى: «فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى» و قوله: «فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى» فان ظاهره: أن هذا التصدى و التلهى من قبل من يهمه هذا الدين؛ فيتصدى لهذا، و يتلهى عن ذاك.

فالجواب: انه ليس فى الآيات ما يدل على أن التصدى كان لأجل الدعوة إلى اللّه او لغيرها. فلعل التصدى كان لأهداف أخرى دنيوية، ككسب الصداقة، او الجاه، او نحو ذلك. و قوله تعالى: «لَعَلَّهُ يَزَّكَّى» ليس فيه أنه يزكى على يد المخاطب، بل هو أعم من ذلك، فيشمل التزكى على يد غيره ممن هم فى المجلس، كالنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أو غيره.

ثم لنفرض: أنه كان التصدى لأجل الدعوة، فإن ذلك ليس محصورا به «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فهم يقولون: إن غيره كان يتصدى لذلك أيضا، و أسلم البعض على يديه، لو صح ذلك!.

الرواية الصحيحة:

و بعد ما تقدم، فإن الظاهر هو أن الرواية الصحيحة، هى ما جاء عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنها نزلت فى رجل من بنى أمية كان عند

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۳

النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فجاءه ابن أم مكتوم. فلما جاءه تقذر منه، و عبس فى وجهه، و جمع نفسه، و أعرض بوجهه عنه،

فحكى اللّه سبحانه ذلك عنه، و انكره عليه «۱».

و يلاحظ: أن الخطاب فى الآيات لم يوجه اولا الى ذلك الرجل؛ بل تكلم اللّه سبحانه عنه بصورة الحكاية عن الغائب: إنه عبس، و تولى، أن جاءه الأعمى. ثم التفت اليه بالخطاب، فقال له مباشرة: و ما يدريك.

و يمكن أن يكون الخطاب فى الآيات اولا للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، من باب: إياك أعنى و اسمعى يا جارة. و الأول أقرب، و ألطف ذوقا.

إتهام عثمان:

و بعض الروايات تتهم عثمان بهذه القضية، و انه هو الذى جرى له ذلك مع إبن أم مكتوم «۲».

و لكننا نشك فى هذا الامر، لأن عثمان قد هاجر إلى الحبشة مع من هاجر- فمن أين جاء عثمان إلى مكة، و جرى منه ما جرى؟!.

إلا أن يقال: إنهم يقولون: إن أكثر من ثلاثين رجلا قد عادوا إلى مكة بعد شهرين من هجرتهم كما تقدم، و كان عثمان منهم ثم عاد إلى الحبشة «۳».

---

(۱) مجمع البيان ج ۱۰ ص ۴۳۷ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۴۲۸، و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۵۰۹.

(۲) تفسير القمى ج ۲ ص ۴۰۵ و تفسير البرهان ج ۴ ص ۴۲۷، و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۵۰۸.

(۳) سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۴

و على كل حال، فإن أمر اتهام عثمان «۱» او غيره من بنى أمية، لأهون بكثير من اتهام النبى المعصوم، الذى لا يمكن أن يصدر منه أمر كهذا على الاطلاق. و إن كان يهون على البعض إتهام النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بها او بغيرها، شريطة أن تبقى ساحة قدس غيره منزهة و بريئة!!.

تاريخ هذه القضية:

و نسجل أخيرا: تحفظا على ذكر المؤرخين لرواية ابن مكتوم و نزول سورة عبس، بعد قضية الغرانيق؛ فإن الظاهر هو أن هذه القضية قد حصلت قبل الهجرة الى الحبشة لأن عثمان كان قد هاجر الى الحبشة قبل قضية الغرانيق بشهرين كما يقولون.

إلا أن يكون عثمان قد عاد الى مكة مع من عاد بعد ان سمعوا بقضية الغرانيق كما يدّعون.

أعداء الإسلام و هذه القضية:

و مما تجدر الإشارة إليه هنا: أن بعض المسيحيين الحاقدين قد حاول ان يتخذ من قضية عبس و تولى وسيلة للطعن فى قدسية نبينا الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۲». و لكن اللّه يأبى إلا أن يتم نوره و لو كره

---

(۱) و نحن نجد فى عثمان بعض الصفات التى تنسجم مع مدلول الآية، كما يشهد له قضيته مع عمار حين بناء المسجد فى المدينة، حين ردد عمار ما ارتجز به على «عليه السلام» تعريضا بعثمان:

لا يستوى من يعمر المساجدايدأب قائما و قاعدا

و من يرى عن التراب حائدا

و ستأتى هذه القضية إن شاء اللّه تعالى.

(۲) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ۱ ص ۱۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۵

الكافرون. فها نحن قد اثبتنا: أنها اكاذيب و أباطيل ما انزل اللّه بها من سلطان.

أكاذيب أخرى مشابهة:

و بالمناسبة فقد رووا: أن الاقرع بن حابس، و عيينة بن حصن، جاآ الى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فوجداه قاعدا مع عمار، و صهيب، و بلال و خباب، و غيرهم من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، فخلوا بالنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك؛ فنستحى أن يرانا العرب قعودا مع هذه الاعبد؛ فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: نعم.

قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا؛ فدعا بالصحيفة، و دعا عليا ليكتب، فنزل قوله تعالى: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ الخ .. «۱» فرمى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالصحيفة، و دعاهم و جلس معهم، و صار دأبه هذا: أن يجلس معهم، فإذا أراد ان يقوم قام و تركهم فأنزل اللّه تعالى: وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ «۲». فكان يجلس معهم إلى أن يقوموا عنه و فى بعض الروايات:

إنهم يقصدون أبا ذر و سلمان «۳».

---

(۱) الانعام الآية ۵۲.

(۲) الكهف الآية ۲۸.

(۳) حلية الاولياء ج ۱ ص ۱۴۶- ۳۴۵، و راجع مجمع البيان ج ۴ ص ۳۰۵/ ۳۰۶.

و البداية و النهاية ج ۶ ص ۵۶ و عن كنز العمال ج ۱ ص ۲۴۵ و ج ۷ ص ۴۶ عن ابن أبى شيبة و ابن عساكر. و الدر المنثور فى تفسير الآيات المشار إليها. عن العديد من المصادر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۶

و يرد هذه الاباطيل جميع ما تقدم حين الكلام عن قصة ابن أم مكتوم، و لذلك فلا حاجة الى الاعادة.

و أيضا فقد استفاض: أن سورة الانعام قد نزلت دفعة واحدة فى مكة «۱»، فما معنى أن تكون هذه الايات قد نزلت بهذه المناسبة فى المدينة.

و القول بأن نزولها كذلك لا ينافى كون هذه الآيات نزلت بهذه المناسبة.

مرفوض لأنها قد نزلت دفعة واحدة قبل الهجرة، بعد إسلام الأنصار، لأنها نزلت و أسماء بنت يزيد الانصارية آخذة بزمام ناقة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۲» و الآية نزلت فى المدينة على الفرض.

على أن قصة عبس و تولى وحدها كافية لأن يرتدع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن أمر كهذا- و لا سيما إذا كانت تؤنب غيره «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، ممن هو ليس بمعصوم على فعل كهذا.

ثم ان سلمان إنما أسلم فى المدينة، كما أن ابا ذر قد فارق النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فور إسلامه، و أقام بعسفان على طريق قوافل مكة، كما قدمنا.

و الظاهر هو انهم أصروا على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يبعد الفقراء عنه، حتى توسطوا لدى أبى طالب فى ذلك، و أشار عليه عمر بقبول ذلك كما جاء فى بعض الرويات، فجاءت هذه الآيات فى ضمن سورة الانعام بمثابة رد عليهم، و تفنيد لرأيهم. و ليس

فى الآيات ما يدل على قبوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بذلك، كما تدعيه الروايات

---

(۱) راجع الميزان ج ۷ ص ۱۱۰.

(۲) الدر المنثور ج ۳ ص ۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۷

المزعومة آنفا.

و لم نتوسع فى بيان وجوه الاختلاف بين الروايات، و نقاط الضعف فيها، و الرد على هذه المزاعم، اعتمادا على ما ذكرناه فى قضية ابن أم مكتوم المتقدمة.

بل إن ظاهر الآية الأولى: أن طرد الذين يدعون ربهم إلخ .. قد كان عقابا لهم على أمر صدر منهم، و ذلك بقرينة قوله تعالى فيها: «ما عليك من حسابهم من شىء». فكأن اللّه سبحانه قد رفع التكليف عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بمؤاخذتهم، رفقا منه تعالى بهم، و عطفا عليهم.

قضية إسلام عمر بن الخطاب:

و يقولون: إن عمر بن الخطاب قد أسلم فى السنة السادسة من البعثة، بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام؛ حيث خرج متوشحا سيفه، يريد رسول اللّه، و رهطا من أصحابه، و هم قريب من أربعين رجلا فى دار الارقم عند الصفا، فيهم أبو بكر، و حمزة، و على، و غيرهم ممن لم يخرج إلى الحبشة، فالتقى عمر بنعيم بن عبد اللّه، فسأله عن أمره، فأخبره: أنه يريد أن يقتل محمدا.

فذكر له نعيم: أنه إن قتله لا ينجو من بنى عبد مناف، و أن صهره و أخته قد أسلما، فرجع عمر إليهما، و عندهما، خباب بن الأرت يعلمهما سورة طه، فلما سمعوا حسه، اختبأ خباب فى مخدع، و خبأت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة تحت فخذها.

فدخل عمر، و بعد كلام بطش عمر بختنه، و شج أخته، فأخبرته حينئذ أنهما قد أسلما؛ فليصنع ما بدا له. فندم عمر، و ارعوى لما رأى الدم بأخته، و طلب الصحيفة فلم تعطه إياها حتى حلف بآلهته ليردنها إليها، فقالت له: إنك نجس على شركك، و لا تغتسل من الجنابة، و هذا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۸

لا يمسه إلا المطهرون.

فقام عمر، فاغتسل (توضأ)، ثم قرأ من الصحيفة صدرا و كان كاتبا، فاستحسنه، و ظهر له خباب، و أخبره: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد دعاله بأن يعز الإسلام به أو بأبى جهل. فطلب منه عمر: أن يدله على الرسول ليسلم؛ ففعل، فذهب إليهم، و ضرب الباب، فنظر رجل منهم من خلل الباب؛ فرآه متوشحا السيف، فرجع إلى الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فزعا. فأخبره.

فقال حمزة: فأذن له، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له، و إن كان يريد شرا، قتلناه بسيفه. فأذن له، و نهض إليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ بمجمع رداءه، ثم جبذة جبذة شديدة، و تهدده، فأخبره عمر: أنه جاء ليسلم، فكبر «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و كبر المسلمون تكبيرة سمعها من فى المسجد.

ثم طلب عمر من الرسول: أن يخرج و يعلن أمره، قال عمر:

فأخرجناه فى صفين: حمزة فى أحدهما، و أنا فى الآخر، له كديد (أى غبار) ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إلى قريش فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها. فسماه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ب «الفاروق» يومئذ.

و فى رواية: أن قريشا اجتمعت و تشاورت فيمن يقتل محمدا، فقال عمر: أنا لها. فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج متقلدا السيف، فالتقى

بسعد بن أبى وقاص، و جرت بينهما مشادة، حتى سلّ كل منهما سيفه؛ فأخبره سعد بخبر أخته الخ ..

و فى ثالثة: أنهم خرجوا و عمر أمامهم، ينادى: لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه، فلما سألته قريش عما وراءه تهددهم بأنه إن تحرك منهم أحد ليمكنن سيفه منه، ثم تقدم أمام رسول اللّه، يطوف الرسول، و يحميه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۶۹

عمر، ثم صلى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الظهر معلنا.

و فى رابعة: أنه لما أسلم- و كان المسلمون يضربون- جاء الى خاله أبى جهل- كما عند ابن هشام، و قال ابن الجوزى: هو غلط بل خاله العاص بن هاشم- فأعلمه بإسلامه، فأجاف الباب، فذهب الى آخر من كبراء قريش فكذلك. فقال فى نفسه: ما هذا بشيء الناس يضربون، و أنا لا يضربنى أحد؛ فاستدل على أنقل رجل للحديث، فدلوه، فأعلمه بإسلامه؛ فنادى فى قريش بذلك، فقاموا اليه يضربونه؛ فأجاره خاله، فانكشف الناس عنه.

و لكنه عاد فرد عليه جواره؛ لأن الناس يضربون و لا يضرب. قال:

فلم يزل يضرب، حتى أظهر اللّه الاسلام.

و فى خامسة: أنه ذهب ليطوف، فقال له أبو جهل: زعم فلان أنك صبأت؟ فتشهد الشهادتين، فوثب عليه المشركون. فوثب عمر على عتبة بن ربيعة، و برك عليه، و جعل يضربه، و جعل إصبعيه فى عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتنحى الناس عنه، فقام عمر، فجعل لا يدنو منه إلا أحد شريف، و جعل حمزة يكشف الناس عنه.

و فى سادسة: أنه كان صاحب خمر فى الجاهلية؛ فقصد ليلة المجلس المألوف له، فلم يجد فيه أحدا، فطلب فلانا الخمار، فكذلك، فذهب ليطوف فوجد محمدا يصلى، فأحب الإستماع إليه، فدخل تحت ثياب الكعبة و سمع، فدخل الإسلام فى قلبه فلما انصرف الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و ذهب الى داره التى يسكنها المعروفة بالرقطاء لحقه فى الطريق، و أسلم. ثم انصرف الى بيته.

و فى العمدة: قيل أسلم عمر بعد ثلاثة و ثلاثين رجلا و ست نسوة، و قال ابن المسيب بعد أربعين و عشر نسوة، و قال عبد اللّه بن ثعلبة: بعد خمس و أربعين و إحدى عشرة إمرأة. و قيل: أسلم تمام الاربعين؛ فنزل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۰

قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «۱».

وثمة أوسمة أخرى:

اشارة

و يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان قد دعا قبل إسلام عمر، فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. و فى نص آخر: اللهم أيد (أو أعز) الإسلام بأبى الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، و كان دعاؤه «صلى اللّه عليه و آله و سلم») يوم الأربعاء، و إسلام عمر يوم الخميس.

و عن ابن عمر: انه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين اليك: بأبى جهل، أو بعمر بن الخطاب، قال: و كان أحبهما اليه عمر.

و قالوا: إن اسلام عمر كان فتحا، و أن هجرته نصرا، و أن أمارته

---

(۱) راجع فى مجموع ما تقدم: الاوائل للعسكرى ج ۱ ص ۲۲۱/ ۲۲۲، و الثقات لابن حبان ص ۷۲- ۷۵ و البدء و التاريخ ج ۵ ص

۸۸- ۹۰ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۶۱ عن البزار و الطبرانى، و تاريخ الطبرى حوادث سنة ۲۳، و طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۱۹۱، و عمدة القارى للعينى ج ۸ ص ۶۸، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۶۶- ۳۷۴، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۵- ۲۹۷ و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ۲۳- ۳۰، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۱ و ۷۲- ۸۰، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۹- ۳۳۵، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۳۲- ۱۳۷ و مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۷/ ۳۲۸، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۱۸۲/ ۱۸۳، و اسباب النزول للواحدى و حياة الصحابة ج ۱ ص ۲۷۴- ۲۷۶، و الاتقان ج ۱ ص ۱۵، و الدر المنثور ج ۳ ص ۲۰۰ و كشف الأستار عن مسند البزار ج ۳ ص ۱۶۹- ۱۷۲ و لباب النقول ط دار احياء العلوم ص ۱۱۳، إلى غير ذلك من كتب الحديث و التاريخ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۴- ۹ ط دار النصر للطباعة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۱

كانت رحمة. و أنه لما أسلم قاتل حتى صلى المسلمون عند الكعبة «۱»

إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا.

و قد استغرب الترمذى هذه الاحاديث رغم تصحيحه لبعضها.

و نحن نشك فى صحة كل ما تقدم، بل و نطمئن الى بطلانه جميعا من الاساس، و لبيان ذلك نشير الى النقاط التالية:

۱- متى كان إسلام عمر:

تذكر تلك الروايات: أن عمر قد أسلم بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بثلاثة أيام. و كان إسلامه سببا لخروجه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من دار الارقم، بعد أن تكامل المسلمون أربعين رجلا، أو ما هو قريب من ذلك.

و نحن نشير هنا إلى:

ألف: إن الخروج من دار الارقم- كما يقولون- إنما كان فى الثالثة

---

(۱) راجع هذه الأحاديث و غيرها فى: البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۸، و سيرة مغلطاى ص ۲۳، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ۴ ص ۴۷۰ عن الطبرانى، و أحمد، و ابن ماجة، و الحاكم و البيهقى، و الترمذى، و النسائى، عن عمر، و خباب، و ابن مسعود، و الأوائل ج ۱ ص ۲۲۱، و طبقات ابن سعد ج ۳ قسم ۱ ص ۱۹۱- ۱۹۳، و جامع الترمذى ط الهند ج ۴ ص ۳۱۵/ ۳۱۴، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۷ و تحفة الاحوذى ج ۴ ص ۳۱۴ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۷۹، و البخارى ط الميمنية ج ص و مصنف عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۵، و الاستيعاب هامش الاصابة ج ۱ ص ۲۷۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۳۰، و تاريخ الاسلام للذهبى ج ۲ ص ۱۰۲ و تاريخ الخميس، و سيرة ابن هشام، و سيرة دحلان، و مسند أحمد، و سيرة المصطفى، و الطبرانى فى الكبير و الاوسط، و المشكاة و غير ذلك من كتب الحديث و التاريخ.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۲

من البعثة، حينما أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالإعلان بالدعوة.

و هم يصرحون بأن إسلام عمر كان فى السادسة من البعثة.

ب: إنهم يقولون إن عمر قد أسلم بعد الهجرة الى الحبشة، حتى لقدرق للمهاجرين، لما رآهم يستعدون للرحيل، حتى رجوا إسلامه منذئذ. و الهجرة إلى الحبشة قد كانت فى السنة الخامسة من البعثة، و الخروج من دار الأرقم قد كان قبل ذلك أى فى السنة الثالثة.

ج: إنه قد اشترك فى تعذيب المسلمين، و إنما كان ذلك بعد الخروج من دار الأرقم، و الاعلان بالدعوة.

متى أسلم عمر إذن:

إننا نستطيع أن نقول باطمينان: إنه لم يسلم فى السنة السادسة قطعا بل أسلم بعد ذلك بسنوات، و مستندنا فى ذلك:

أولا: إنهم يقولون: إنه قد أسلم بعد فرض صلاة الظهر، فصلى رسول اللّه الظهر معلنا تحت حماية عمر كما تقدم. و صلاة الظهر قد فرضت- حسب قولهم- حين الاسراء و المعراج الذى كان- عندهم- فى الثانية عشرة او الثالثة عشرة من البعثة. فكلا مهم متناقض.

و إن كنا نحن قد حققنا: أن الاسراء و المعراج كان فى حوالى السنة الثانية من البعثة.

و قد أجاب البعض عن ذلك، بأن المقصود هو صلاة الغداة أى الصبح «۱».

و لكنه توجيه لا يصح؛ فإن كلمة الظهر لا تنطبق على الغداة و لا تطلق عليها و هو جواب عجيب و غريب كما ترى.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۳

و إن كان مرادهم أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يؤخر صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس فهو غير معقول؛ إذ كيف يؤخر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» صلاته عن وقتها بلا عذر ظاهر؟.

و ثانيا: إن عبد اللّه بن عمر يصرح: أنه حين أسلم أبوه كان له هو من العمر ست سنين «۱» و يرى البعض: أن عمره كان خمس سنين «۲».

و يدل على ذلك: رواية أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه على سطح البيت، و رأى أن الناس قد هاجوا ضد أبيه، و حصروه فى البيت؛ فجاء العاص بن وائل ففرقهم عنه، و قد استفسر ابن عمر أباه حينئذ عن بعض الخصوصيات كما سيأتى عن قريب.

كما أن ابن عمر يروى: أنه حين أسلم أبوه غدا يتبع أثره، و ينظر ما يفعل، يقول: و أنا غلام أعقل ما رأيت «۳» مما يدل على أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه مميزا مدركا.

و ذلك يدل على ان عمر أسلم حوالى السنة التاسعة من البعثة- كما ذهب إليه البعض «۴»- لأن ابن عمر ولد فى الثالثة من البعثة، و تم عمره على الخمس عشرة سنة فى عام الخندق سنة خمس من الهجرة، حيث أجازه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فيها كما هو مشهور. «۵»

---

(۱) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ۱۹، و طبقات ابن سعد ج ۳ قسم ۱ ص ۱۹۳، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۱۸۲.

(۲) فتح البارى ج ۷ ص ۱۳۵.

(۳) البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۱ و تاريخ الاسلام للذهبى ج ۲ ص ۱۰۵ و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۷۳- ۳۷۴.

(۴) السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۳۹، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۲، و مروج الذهب ط دار الاندلس بيروت ج ۲ ص ۳۲۱.

(۵) سير اعلام النبلاء ج ۳ ص ۲۰۹، تهذيب الكمال ج ۱۵ ص ۳۴۰ الاصابة ج ۲

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۴

بل ورد عن ابن شهاب: ان حفصة و ابن عمر قد اسلما قبل عمر.

و لما أسلم أبو هما كان عبد اللّه ابن نحو من سبع سنين «۱» و ذلك يعنى ان إسلام عمر قد كان فى العاشرة من البعثة.

بل نقول: إن عمر بن الخطاب لم يسلم إلا قبل الهجرة بقليل، و يدل على ذلك:

أولا: إنه بلغه: أن أخته لا تأكل الميتة «۲»

و واضح: أن تحريم الميتة إنما كان فى سورة الانعام، التى نزلت فى مكة جملة واحدة. و كانت- كما تقول بعض الروايات- اسماء بنت يزيد الأوسية آخذة بزمام ناقته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۳» و إسلام الأوس و أهل المدينة انما كان بعد الهجرة الى الطائف، و مجيء نسائهم الى مكة قد كان بعد العقبة الاولى.

و ما تقدم فى فصل: بحوث تسبق السيرة. من ان زيد بن عمرو بن نفيل كان لا يأكل الميتة .. لو صح؛ فإنما هو لاجل أنه كان يدين بالنصرانية إلا أن يقال: إن تحريم الميتة قد كان على لسان النبى قبل نزول سورة الانعام لكن ذلك يحتاج إلى دليل و شاهد و هو غير موجود.

و ثالثا: لقد استقرب البعض: أن يكون قد أسلم بعد اربعين، أو خمس و أربعين ممن أسلم بعد الهجرة الى الحبشة «۴»

ص ۳۴۷ و الاستيعاب بهامش الاصابة ج ۲ ص ۳۴۲ و بقية المصادر لذلك تراجع فى كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهة التحدى ص ۲۴.

(۱) سير اعلام النبلاء ج ۳ ص ۲۰۹.

(۲) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۶.

(۳) الدر المنثور ج ۳ ص ۲ عن الطبرانى، و ابن مردويه.

(۴) الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۷۳، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۰ و البدء و التاريخ ج ۵ ص ۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۵

و يؤيد ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا أكثر من ثمانين رجلا. و هى انما كانت فى الخامسة، و إسلام عمر كان فى السادسة من البعثة كما يقولون- فلا بد ان يكون الأربعون الذين أتمهم عمر بإسلامه غير هؤلاء الذين هاجروا، و إن كان إبن الجوزى يعد الذين أسلموا قبل عمر، فيذكر اسماء من هاجر الى الحبشة على الاكثر «۱» الأمر الذى يشير الى أنه يرى: أن الأربعين الذين اتمهم عمر هم هؤلاء، و ليسوا فريقا آخر قد أسلم بعد هجرتهم.

و يؤيد ذلك أيضا: الروايات التى تصرح بأنه أسلم فى السادسة من البعثة، و أنه رق للمهاجرين الى الحبشة، حتى لقد رجوا إسلامه.

فإذا كان ذلك. فلسوف يأتى فى حديث المؤاخاة التى جرت فى المدينة بعد الهجرة بين المهاجرين و الانصار: أن المهاجرين كانوا حين المؤاخاة خمسة و أربعين رجلا أو أقل أو اكثر بقليل «۲». أى ان الذين أسلموا بعد الهجرة الى الحبشة كانوا خصوص هؤلاء، فإذا كان عمر قد أسلم و كان تمام الاربعين فيهم فإن معنى ذلك هو أنه قد أسلم قبل الهجرة بقليل، ثم هاجر. و لعله لاجل ذلك لم يتعرض للتعذيب فى مكة، كما سنشير اليه حين الكلام عن الذين عذبوا فيها.

و رابعا: لقد جاء فى الروايات فى إسلام عمر: أنه «دنا من رسول اللّه، و هو يصلى و يجهر بالقراءة، فسمع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقرأ: و ما كنت تتلو من قبله من كتاب، و لا تخطه بيمينك،

---

(۱) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ۲۸/ ۲۹.

(۲) و إن كان ابن هشام قد عد نحو سبعين ممن هاجر إلى المدينة. و لكن ذلك لا يمكن الاعتماد عليه بعد النص على عدد من آخى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بينهم من قبل غير واحد، كما سيأتى. و لا يعقل أن يترك أحدا من أصحابه لا يؤاخى بينه و بين آخر من اخوانه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۶

حتى بلغ: الظالمون» «۱».

و واضح: أن هاتين الآيتين قد وردتا فى سورة العنكبوت، و هى إما آخر ما نزل فى مكة، او هى السورة قبل الأخيرة «۲». فإسلام عمر قد كان قبل الهجرة بقليل، لأنه يكون أسلم قبل نزول هاتين السورتين.

و خامسا: لقد روى البخارى فى صحيحه، بسنده عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر .. ثم حاول نافع أن يوجه هذا بأن ابن عمر بايع تحت الشجرة قبل أبيه، ثم قال: فهى التى يتحدث الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر «۳»

و لكننا نقول لنافع: ألم يكن الناس يعرفون اللغة العربية؟ فلم لم يقولوا: إنه بايع قبل أبيه، و قالوا: أسلم قبل ابيه؟!. ثم ألم يكن أحد منهم يعرف أن هذا الكلام لا يدل على ذاك و لا يشير إليه، فكيف يصح أن يكون هو المقصود منه؟!.

و نحن نعتقد أن ما يقوله الناس فى ذلك الزمان هو الصحيح الظاهر، فان ابن عمر قد أسلم قبل الهجرة بيسير، ثم أسلم أبوه و هاجر «۴».

و سادسا: ان عمر قد رفض فى عام الحديبية: حمل رسالة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بحجة أن بنى عدى لا ينصرونه؛ فمعنى ذلك هو أنه قد اسلم و هاجر و لم يعلم أحد بإسلامه، و إلا لكان قد عذب،

---

(۱) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۶. و راجع مصادر روايات اسلام عمر المتقدمة.

(۲) الاتقان ج ۱ ص ۱۰- ۱۱.

(۳) صحيح البخارى ط مشكول ج ۵ ص ۱۶۳.

(۴) و قد تقدم عن الزهرى ان عمر قد اسلم بعد حفصة و عبد اللّه بن عمر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۷

و لم ينصره بنو عدى «۱». لا سيما مع ما سيأتى من حالة الذل التى كان يعانى منها هذا الرجل قبل إسلامه.

۲- من سمى عمر بالفاروق؟!

و قد ذكرت تلك الروايات: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد سمى عمر بالفاروق حين أسلم.

و لكننا نشك فى ذلك جدا، إذ أن الزهرى يقول:

«بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر: «الفاروق». و كان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم. و لم يبلغنا: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ذكر من ذلك شيئا «۲»».

و قد كانت كلمة الفاروق تطلق عليه فى أيام خلافته «۳».

۳- هل كان عمر قارئا؟!

و تذكر الروايات: أن عمر بن الخطاب كان قارئا، و أنه قد قرأ الصحيفة بنفسه.

و نحن نشك فى ذلك أيضا: لاعتقادنا أنه لم يكن يعرف القراءة و الكتابة، و لا سيما فى بادىء أمره، إلا أن يكون قد تعلمها بعد ذلك فى أواخر ايام حياته؛ و ذلك لأمرين.

---

(۱) ستأتى مصادر ذلك بعد حوالى خمس صفحات.

(۲) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ۳۰، و طبقات ابن سعد ج ۳ قسم ۱ ص ۱۹۳، و البداية و النهاية ج ۷ ص ۱۳۳، و تاريخ الطبرى ج ۳ ص ۲۶۷ حوادث سنة ۲۳. و ذيل المذيل ج ۸ من تاريخ الطبرى.

(۳) راجع: طبقات الشعراء لابن سلام ص ۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۸

احدهما: أن البعض يصرح بأن خباب بن الأرت هو الذى قرأ له الصحيفة «۱» فلو كان قارئا؛ فلماذا لا يقرؤها بنفسه، ليتأكد من صحة الأمر؟!

الثانى: لقد روى الحافظ عبد الرزاق، بسند صحيح، حسبما يقولون هذه الرواية نفسها، و لكنه قال فيها: «فالتمس الكتف فى البيت حتى وجدها، فقال حين وجدها: أما إنى قد حدّثت: انك لا تأكلين طعامى الذى آكل منه، ثم ضربها بالكتف فشجها شجتين. ثم خرج بالكتف حتى دعا قارئا؛ فقرأ عليه. و كان عمر لا يكتب. فلما قرئت عليه تحرك قلبه حين سمع القرآن الخ» «۲».

و يؤيد ذلك ما عن عياض ابن أبى موسى: أن عمر بن الخطاب قال لابى موسى: أدع لى كاتبك ليقرأ لنا صحفا جاءت من الشام. فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: أبه جنابة؟ قال: لا، و لكنه نصرانى؛ فرفع عمر يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها إلخ «۳».

فلو كان عمر يعرف القراءة لم يحتج لكاتب أبى موسى ليقرأ له الصحف التى جاءته. و لربما يعتذر عن ذلك بأن الخليفة ربما لم يكن يباشر القراءة لمركزه مع معرفته لها. أو أن الرسائل كانت بغير العربية.

و لكن الظاهر هو أن هذه الاعراف و التقيدات قد حدثت فى وقت متأخر، و لم يكن عمر يتقيّد بها كما أن بلاد الشام كانت و لا تزال عربية اللغة، فمن البعيد أن يكتبوا له بغير العربية.

---

(۱) تاريخ ابن خلدون ج ۲ قسم ۲ ص ۹.

(۲) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۶.

(۳) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ۱ ص ۴۳ و الدر المنثور ج ۲ ص ۲۹۱ عن ابن أبى حاتم و البيهقى فى شعب الإيمان و حياة الصحابة ج ۲ ص ۷۸۵ عن تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۷۹

و يمكن أن يؤيد ذلك أيضا: بأن عمر لم يكن ذا ذهنية علمية، و ذلك بدليل: أنه بقى اثنتى عشرة سنة حتى تعلم سورة البقرة، فلما حفظها نحر جزورا «۱».

بل لقد ورد أنه لما طلب من حفصة أن تسأل له النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن الكلالة، فسألته عنها؛ فأملّها عليها؛ فى كتف، ثم قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «عمر أمرك بهذا؟ ما أظنه أن يفهمها» «۲».

بل لقد واجهه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه بذلك كما رواه كثيرون «۳».

إلا أن من الممكن أن يكون عمر قد عاد فتعلم القراءة و الكتابة بمشاق و متاعب جمة، و يمكن أن يستدل على ذلك بأنه- كما روى البخارى- كان يقول: إنه لو لا أن يقال: إن عمر قد زاد فى كتاب اللّه لكتب آية الرجم بيده؟! «۴».

و مهما يكن من أمر، فإننا لسنا أول من شك فى معرفة الخليفة الثانى للقراءة و الكتابة، فقد كان هذا الأمر موضع نقاش و شك منذ القرن الأول للهجرة، فهذا الزهرى يقول: كنا عند عمر بن عبد العزيز و هو والى

---

(۱) تاريخ عمر بن الخطاب ص ۱۶۵، و الدر المنثور ج ۱ ص ۲۱، عن الخطيب فى رواة مالك، و البيهقى فى شعب الايمان، و شرح

النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۶۶، و الغدير ج ۶ ص ۱۹۶ عنهم و تفسير القرطبى ج ۱ ص ۱۵۲ و التراتيب الادارية ج ۲ ص ۲۸۰ عن تنوير الحوالک.

(۲) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۳۰۵.

(۳) راجع الغدير ج ۶ ص ۱۱۶ عن غير واحد. و راجع ۱۲۸.

(۴) راجع كتابنا: حقائق هامة حول القرآن ص ۳۴۶، فقد نقلنا ذلک عن عشرات المصادر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۰

المدينة ثم صارت إلى عبد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة، فقال: هل من معه به خبر فأساله: هل كان عمر يكتب؟.

فقال عروة: نعم كان يكتب.

فقال: بآية ماذا؟.

قال: بقوله: لو لا ان يقول الناس زاد عمر فى القرآن لخططت آية الرجم بيدى.

فقال عبيد اللّه: هل يسمّى عروة من حدثه؟.

قلت: لا.

قال عبيد اللّه: فإنما صار عروة يمص مص البعوضة لتملأ بطنها، و لا يرى أثرها، يسرق أحاديثنا و يكتمنا، أى أنى أنا حدثته «۱».

ملاحظة:

و إذا ثبت عدم معرفته بالقراءة، أو شک فى كونه كان حينئذ يقرأ و يكتب، فمن الطبيعى أن يتطرق الشک إلى قولهم؛ إنه كان من كتاب الوحى «۲»، فلعل ذلک كان من الأوسمة التى نحله إياها بعض من عزّ عليهم أن يحرم عمر من هذا الشرف بنظرهم.

و ملاحظة أخرى:

و هى أننا رأينا عمر بن الخطاب يضرب فخذ أبى موسى حتى كاد يكسرها، لاتخاذه كاتبا نصرانيا، مع انهم يقولون: إنه هو نفسه كان له

---

(۱) مختصر تاريخ دمشق ج ۱۷ ص ۱۰.

(۲) بحوث فى تأريخ القرآن و علومه ص ۱۱۳ عن تأريخ القرآن للزنجانى. و فى تأريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۸۰ ط صادر و الاستيعاب بهامش الأصابة ج ۱ ص ۵۱، ذكرا عمر فى جملة من كان يكتب للنبى «صلى اللّه عليه و آله». لكن لم يبينا، إذا كان يكتب الوحى، أو غيره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۱

مملوک نصرانى لم يسلم، و كان يعرض عليه الإسلام فيأبى، حتى حضرته الوفاة فأعتقه «۱»

فما هذا التناقض فى مواقف الخليفة الثانى؟! و ما هو المبرر لها إلا أن يكون اعتراضه على أبى موسى منصبا على استعانته بغير المسلم فى شؤون المسلمين العامة، و هذا غير خدمة غير المسلم للمسلم.

۴- هل عز الأسلام بعمر حقا؟!

و تذكر الروايات: أن الإسلام قد عز بعمر و أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد دعا اللّه أن يعز الاسلام به بل لقد ذهبت بعض الروايات الى اعتبار عمر من الجبارين فى الجاهلية، حيث إنه حين أشار على ابى بكر:

أن يتألف الناس و يرفق بهم، قال له أبو بكر: «رجوت نصرك، و جئتنى بهذا لأنك جبار فى الجاهلية، خوار فى الإسلام الخ» «۲» ..

و نحن نشك فى صحة ذلك بل نجزم بعدم صحته، و ذلك للامور التالية:

ألف: إن الإسلام إذا لم يعز بأبى طالب شيخ الأبطح، و بحمزة أسد اللّه و أسد رسوله، الذى فعل برأس الشرك أبى جهل ما فعل، و إذا لم يعزّ بسائر بنى هاشم أصحاب العز و الشرف و النجدة، فلا يمكن أن يعز بعمر الذى كان عسيفا (أى مملوكا مستهانا به) «۳» مع الوليد بن المغيرة الى

---

(۱) حلية الاولياء ج ۹ ص ۳۴، عن كنز العمال ج ۵ ص ۵۰ عن ابن سعد، و سعيد بن منصور، و ابن المنذر، و ابن أبى شيبة، و ابن أبى حاتم، و الطبقات الكبرى ج ۶ ص ۱۰۹ و التراتيب الادارية ج ۱ ص ۱۰۲ و نظام الحكم فى الشريعة و التاريخ و الحياة الدستورية ص ۵۸ عن تاريخ عمر لابن الجوزى ص ۸۷ و ۱۴۸.

(۲) كنز العمال ج ۶ ص ۲۹۵.

(۳) راجع: اقرب الموارد، مادة: «عسف».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۲

الشام «۱». لا سيما و أنه لم يكن فى قبيلته سيد أصلا «۲»، و لم تؤثر عنه فى طول حياته مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أية مواقف شجاعة، و حاسمة، بل لم نجد له أية مبارزة، أو عمل جرىء فى أى من غزواته، رغم كثرتها و تعددها.

بل لقد رأيناه يفر فى غير موضع، كأحد، و حنين و خيبر حسبما صرح به الجم الغفير من أهل السير، و رواة الأثر، كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى.

و من الطريف هنا ما رواه الزمخشرى، من أن أنس بن مدركة كان قد أغار على سرح قريش فى الجاهلية؛ فذهب به، فقال له عمر فى خلافته:

لقد اتبعناك تلك الليلة؛ فلو أدركناك؟. فقال: لو أدركتنى لم تكن للناس خليفة «۳».

و الخلاصة: انه لا يمكن أن يعز الاسلام بعمر، الذى لم يكن له عز فى نفسه، و لا بعشيرته، و لا شجاعة يخاف منها.

ب- إننا سواء قلنا: إن عمر قد أسلم قبل الحصر فى الشعب أو بعده، فإن الأمر يبقى على حاله، لأننا لم نجد أى تفاوت فى حالة المسلمين قبل و بعد إسلام عمر، و لا لمسنا أى تحول نحو الأفضل بعد إسلامه، بل رأينا: عكس ذلك هو الصحيح، فمن حصر المشركين للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و الهاشميين فى الشعب، حتى كادوا يهلكون جوعا، و حتى كانوا يأكلون ورق السمر، و أطفالهم يتضاغون جوعا. إلى تآمر على حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». ثم بعد وفاة أبى طالب رحمه اللّه لم يستطع «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دخول مكة بعد عودته من الطائف إلا بعد مصاعب جمة، لم نجد عمر ممن

---

(۱) المنمق، لابن حبيب ط الهند ص ۱۴۶، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۲ ص ۱۸۳.

(۲) المنمق ص ۱۴۷.

(۳) ربيع الابرار ج ۱ ص ۷۰۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۳

ساعد على حلها. هذا كله عدا عن الاذايا الكثيرة التى كان أبو لهب يوجهها للنبى باستمرار.

ج- و فى صحيح البخارى و غيره حول اسلام عمر: عن عبد اللّه بن عمر قال: بينما عمر فى الدار خائفا، إذ جاءه العاص بن وائل السهمى. إلى أن قال: فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوننى إن أسلمت.

قال: لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمنت. ثم ذكر إرجاع العاص الناس عنه. و أضاف الذهبى قول عمر: فعجبت من عزّه «۱».

فمن يتهدده الناس بالقتل، و يخاف، و يختبىء فى داره، فإنه لا يكون عزيزا و لا يعز الاسلام به. غير أنه هو نفسه قد ارتفع بالاسلام، و صار له شخصية و شأن، كما سنرى.

هذا عدا عن الروايات القائلة: إن أبا جهل هو الذى أجار عمر «۲».

و على هذا فقد كان الأجدر: أن يدعو النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بأن يعز الإسلام بمن يجير عمر، و الذى يعجب الناس من عزته، لا بعمر الخائف، و المختبىء فى بيته.

د- و الغريب هنا: أن أحد الرجلين اللذين دعا لهما النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و هو أبو جهل يضربه حمزة رضوان اللّه عليه بقوسه أمام

---

(۱) راجع: صحيح البخارى ج ۵ ص ۶۰/ ۶۱ ط مشكول، ففيه روايتان بهذا المعنى، و تاريخ الاسلام للذهبى ج ۲ ص ۱۰۴، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۴۰۹، و تاريخ عمر لابن الجوزى ص ۲۶، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۳۲، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۳۵، و سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۷۴، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۲ و راجع: دلائل النبوة للبيهقى ط دار النصر ج ۲ ص ۹.

(۲) تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ۲۴- ۲۵ و راجع كشف الأستار ج ۳ ص ۱۷۱ و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۶۴ و ذكر: أن خاله هو الذى أجاره و قال ابن اسحاق المراد بخاله: أبو جهل، و لم يرتض ذلك ابن الجوزى، فراجع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۴

الملأ من قومه، فيشجه شجة منكرة، و لا يجرؤ على الكلام، ثم يقتل فى بدر فى أول وقعة بين المسلمين و المشركين.

و الرجل الآخر و هو عمر بن الخطاب يكون على خلاف توقعات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و لا يستجيب اللّه دعاءه فيه، حيث لم يعز الإسلام به، كما رأينا. مع أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقول:

«ما سألت- ربى- اللّه- شيئا إلا أعطانيه «۱»» بل لقد كانت النتيجة عكسية، حيث يذكر عبد الرزاق: (أنه لما جهر عمر بإسلامه اشتد ذلك على المشركين فعذبوا من المسلمين نفرا) «۲».

ه- لا بأس بالمقارنة بين نعيم بن عبد اللّه النحام العدوى. و بين عمر بن الخطاب العدوى؛ فقد أسلم نعيم قبل عمر، و كان يكتم إسلامه، و منعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، لأنه كان ينفق على أرامل بنى عدى و أيتامهم.

فقالوا: «أقم عندنا على أى دين شئت، فو اللّه لا يتعرض اليك أحد الا ذهبت أنفسنا جميعا دونك «۳»».

و يقول عروة عن بيت نعيم هذا: «ما أقدم على هذا البيت أحد من بنى عدى» «۴» أى لشرفه.

---

(۱) راجع: ترجمة الامام على بن ابى طالب من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ و هامشها و ۲۷۸ و فرائد السمطين باب ۴۳ حديث ۱۷۲ و كنز العمال ج ۱۵ ص ۱۵۰ ط ۲ عن ابن جرير، و صححه، و ابن ابى عاصم، و الطبرانى فى الاوسط. و ابن شاهين فى السنة، و عن الرياض النضرة ج ۲ ص ۲۱۳.

(۲) راجع المصنف لعبد الرزاق ج ۵ ص ۳۲۸.

(۳) اسد الغابة ج ۲ ص ۳۳ و راجع: نسب قريش لمصعب ص ۳۸۰.

(۴) نسب قريش لمصعب ص ۳۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۵

أما عمر، فإن رسول اللّه اراد فى الحديبية أن يرسله الى مكة؛ ليبلغ عنه رسالة الى أشراف قريش، تتعلق بالامر الذى جاء له؛ فرفض ذلك و قال: «إنى أخاف قريشا على نفسى، و ليس بمكة من بنى عدى أحد يمنعنى» ثم أشار على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بأن يرسل عثمان بن عفان «۱».

و- لقد خطب ابن عمر بنت نعيم النحام، فرده نعيم، و قال: «لا أدع لحمى تربا» و زوجها من النعمان بن عدى بن نضلة «۲» فنعيم يربأ بإبنته عن ان تتزوج بابن عمر، و يرى ذلك تضييعا لها!!.

ز- و فى زيارة عمر للشام أيام خلافته خلع عمر خفيه، و وضعهما على عاتقه، و أخذ بزمام ناقته، و خاض المخاضة فاعترض عليه أبو عبيدة، فأجابه عمر بقوله: «إنا كنا أذل قوم؛ فاعزنا اللّه بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما اعزنا اللّه به أذلنا اللّه «۳»»، و فى نص آخر عنه: «إنا قوم أعزنا اللّه بالاسلام، فلن نبتغى العز بغيره «۴»». الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۳ ۱۸۵ ۴ - هل عز الأسلام بعمر حقا؟! ..... ص : ۱۸۱

و احتمال أن يكون مقصوده هو ذل العرب و عزهم لا خصوص بنى عدى.

---

(۱) راجع: البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۶۷ عن ابن اسحاق، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۳۹۷/ ۳۹۸ عن كنز العمال ج ۱ ص ۸۴ و ۵۶ و ج ۵ ص ۲۸۸ عن ابن ابى شيبة، و الرويانى، و ابن عساكر، و ابى يعلى، و طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۴۶۱ و سنن البيهقى ج ۹ ص ۲۲۱.

(۲) نسب قريش لمصعب ص ۳۸۰.

(۳) مستدرك الحاكم ج ۱ ص ۶۱. و تلخيصه للذهبى بهامشه، و صححه على شرط الشيخين.

(۴) مستدرك الحاكم ج ۱ ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۶

بعيد؛ لأنه قد عنف أبا عبيدة على مقولته تلك بأن غير أبى عبيدة لو كان قال ذلك لكان له وجه، أما أن يقوله أبو عبيدة العارف بالحال و السوابق فإنه غير مقبول منه. هذا بالاضافة الى ما سيأتى مما يدل على ذل بنى عدى، فانتظر.

ح- و قال أبو سفيان للعباس فى فتح مكة، حينما كان يستعرض الألوية؛ فرأى عمر، و له زجل: «يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟

قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد- أمر- أمر بنى عدى بعد- و اللّه- قلة و ذلة.

فقال العباس: يا أبا سفيان، إن اللّه يرفع من يشاء بما يشاء، و إن عمر ممن رفعه الإسلام «۱»».

ط- تقدم قول عوف بن عطية:

و أما الالأمان بنو عدىو تيم حين تزدحم الأمور

فلا تشهد لهم فتيان حربو لكن أدن من حلب و عير و فى رسالة من معاوية لزياد بن أبيه يذكر فيها أمر الخلافة يقول:

«و لكن اللّه عز و جل أخرجها من بنى هاشم و صيرها الى بنى تيم بن مرة:

ثم خرجت الى بنى عدى بن كعب و ليس فى قريش حيان أذل منهما و لا أنذل الخ .. «۲».

ى- و قال خالد بن الوليد لعمر: «إنك ألأمها حسبا. و أقلها عددا و أخملها ذكرا .. الى أن قال له: لئيم العنصر ما لك فى قريش فخر. قال

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۲ ص ۸۲۱، و عن كنز العمال ج ۵ ص ۲۹۵، عن ابن عساكر، عن الواقدى.

(۲) كتاب سليم بن قيس ص ۱۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۷

فأسكته خالد» «۱»

۵- غسل عمر لمس الصحيفة:

و إشكال آخر يبقى بلا جواب، و هو أنه كيف طلبت أخته منه: أن يغتسل لمس الصحيفة، مع أن غسل المشرك لا يجدى فى جواز مس القرآن؛ فإن المانع هو شركه، لا حدثه، و لذلك قالت له: «إنك نجس على شرككك، و إنه لا يمسه إلا المطهرون» «۲»

و دعوى أن المراد هو غسل الجنابة مدفوعة أيضا، فإنهم يقولون: إن أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة «۳» فكيف تقول له أخته: إنك لا تغتسل من الجنابة. إلا أن يكون هو نفسه لم يكن يلتزم بما كان يلتزم به قومه فى الجاهلية.

و مما يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة، أن أبا سفيان قد نذر أو حلف بعد رجوعه من بدر مهزوما: أن لا يمس رأسه ماء من جنابة، حتى يغزو محمداً. و كانت غزوة السويق لأجل ان يكفر عن يمينه، «۴» كما

---

(۱) الخصال ج ۲ ص ۴۶۳.

(۲) الثقات ج ۱ ص ۷۴، و راجع مصادر الرواية المتقدمة، و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۶۳.

(۳) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۲۹ عن الدميرى، و السهيلى و ذكر الدميرى: انه بقية من دين ابراهيم و اسماعيل.

قال: و فى كلام بعضهم: كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة، و يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، و يصلون عليهم الخ.

(۴) البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۴۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۵۴۰ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۴۱۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱۱ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۳۹ و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) ج ۲ ص ۵ و البحار ج ۲۰ ص ۲ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۱۷۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۸

سنرى.

و يدل على ذلك: ما يذكرونه عن صيفى بن الأسلت من أنه كان قد ترهب فى الجاهلية و لبس المسوح و اغتسل من الجنابة «۱».

۶- نزول آية فى إسلام عمر:

و يذكرون ان آية: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قد نزلت فى هذه المناسبة حيث أسلم عمر رابع اربعين. «۲»

و لكن يعارض ذلك ما روى عن الكلبى، من أن الآية قد نزلت فى المدينة فى غزوة بدر «۳».

و عن الواقدى: أنها نزلت فى بنى قريظة و النضير «۴».

و أيضا فان الآية فى سورة الأنفال، و هى مدنية لا مكية.

و فى رواية الزهرى: أن هذه الآية نزلت فى الأنصار. «۵»

يضاف الى ذلك: أن الآية مسبوقة بآيات القتال، و لم يشرع القتال إلا فى المدينة، و هى تنسجم مع تلك الآيات تمام الانسجام، فراجعها و تأمل فيها. و هى أيضا تناسب المدينة، حيث قويت شوكة الاسلام، و عز المؤمنون.

---

(۱) السيرة النبوية لابن هشام ج ۳ ص ۴۷ و تاريخ الاسلام للذهبى ص ۱۰۹ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۴.

(۲) راجع: الدر المنثور ج ۳ ص ۲۰۰ عن الطبرانى، و ابى الشيخ، و ابن مردويه و راجع ايضا ما اخرجه عن البزار و ابن المنذر، و ابن ابى حاتم، و غيرهم.

(۳) مجمع البيان ج ۴ ص ۵۵۷.

(۴) التبيان للطوسى ج ۵ ص ۱۵۲.

(۵) الدر المنثور ج ۳ ص ۲۰۰ عن ابن اسحاق، و ابن أبى حاتم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۸۹

ملاحظات أخيرة:

و أخيرا، فإننا نذكر:

۱- أن الذى يطالع روايات إسلام عمر، يرى: أنها متناقضة تناقضا كبيرا فيما بينها.

۲- إن بعض الروايات تذكر: أن عمر قد التقى بسعد الذى كان قد أسلم، أو بنعيم النحام، و جرى بينهما كلام؛ فأخبره باسلام أخته، و زوجها، و أغراه بهما.

و يرد سؤال: انه اذا كان سعد مسلما، و كان نعيم قد أسلم قبل عمر سرا، فلماذا يغرى عمر بأخته المسلمة و صهره؟! و إذا كان انما فعل ذلك ليصرفه عن قصد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالسوء؛ فلا ندرى كيف يخاف من عمر على النبى و عند النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أمثال حمزة و على إلى تمام الاربعين رجلا؟ و لماذا لا يخاف على هذين المسلمين، و ليس لهما ناصر، و لا عندهما أحد؟!.

۳- إن قول حمزة عن عمر: «و إن كان يريد شرا قتلناه بسيفه» يشير إلى انه رحمه اللّه لم يكن يقيم وزنا لعمر، حتى حينما يكون عمر متوشحا بالسيف، حتى يرى: ان امره سهل، و ان بالإمكان قتله بنفس سيفه الذى يحمله، و هذا غاية فى الاستهانة بقدرات عمر، ما بعدها غاية.

۴- لا ندرى لماذا تهدد النبى عمر؟ وجبذه جبذة شديدة!!.

و كيف وصل عمر الى النبى بهذه السهولة؟ و لماذا لقيه فى الحجرة؟

و لماذا خرج المسلمون فى صفين؟ و ما هو فلسفة ذلك عسكريا.

و هل لم يكن عمر يعرف من هو أنقل رجل فى قريش؟

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹۰

و لماذا لم يكن يدنو اليه إلا شريف إلى غير ذلك من الاسئلة الكثيرة.

و إذا كان قد خرج مع المسلمين فى صفين و تهدد المشركين، و خاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حينئذ فلماذا احتاج إلى انقل رجل للحديث فى قريش؟! و لماذا ذهب إلى المسلمين متوشحا سيفه، إلى كثير من الأسئلة التى تعلم بالمراجعة و المقارنة.

: خاتمة المطاف:

و بعد ما تقدم، فإن المراجع لروايات إسلام عمر لا يصعب عليه:

أن يكتشف بسرعة: أن ثمة محاولات للتغطية على قضية إسلام حمزة، الذى عز به الإسلام حقا، و سر به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» سرورا كثيرا. و لهذا تجد: أنهم يقرنون عمر بحمزة كثيرا فى تلك الروايات، و يحاولون إعطاءهما المواقف مناصفة، مع

تخصيص عمر بحصة الأسد فيها.

كما أن فضيلة رد الجوار التى هى لعثمان بن مظعون يحاولون إعطاءها إلى عمر.

بل نجد فى بعض الروايات: إن أهل الكتاب فى الشام قد بشروا عمر بما سوف يؤول إليه أمره فى مستقبل هذا الدين الجديد «۱»، كما بشروا أبا بكر فى بصرى «۲» و كما بشروا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه «۳» حسب رواياتهم.

---

(۱) راجع الرياض النضرة ج ۲ ص ۳۱۹.

(۲) راجع: السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۷۴/ ۲۷۵ و ۱۸۶ و الرياض النضرة ج ۱ ص ۲۲۱.

(۳) قد أشرنا إلى ما يذكرونه عن دور ورقة بن نوفل فى ذلك، و أثبتنا عدم صحة ذلك، فراجع روايات بدء الوحى فى الجزء الأول من هذا الكتاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹۱

ثم إنهم قد وجدوا فى عمر العلامات التى تدعم مدعاهم «۱»، كما وجدوها فى أبى بكر من قبل؟!

ثم كان إسلام عمر، و كانت كل الجهود موقوفة على صنع الفضائل و الكرامات له!! فتبارك اللّه أحسن الخالقين!!

و لقد قال ابن عرفة: المعروف بنفطويه إن أكثر فضائل الصحابة قد افتعلت فى عهد بنى أمية، إرغاما لأنوف بنى هاشم «۲»! كما أن معاوية قد أمر الناس بوضع الحديث فى الخلفاء الثلاثة كما سيأتى بيانه إن شاء اللّه.

و حسبنا ما ذكرناه هنا؛ فإن فيه مقنعا و كفاية لكل من أراد الرشد و الهداية.

---

(۱) تاريخ عمر بن الخطاب ص ۲۲.

(۲) راجع النصائح الكافية ص ۷۴ و حياة الإمام الحسن ۵ للقرشى ج ۲ ص ۱۴۸ و الكنى و الألقاب ج ۳ ص ۲۶۲ و فجر الاسلام ص ۲۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹۳

الفصل الرابع: فى شعب أبى طالب

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹۵

المقاطعة:

و «لما رأت قريش عزة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بمن معه، و عزة أصحابه فى الحبشة، و فشوّ الاسلام فى القبائل» «۱».

و أن جميع جهودها فى محاربة الاسلام قد باءت بالفشل. حاولت أن تقوم بتجربة جديدة، و هى الحصار الاقتصادى و الاجتماعى، ضد الهاشميين، و أبى طالب؛ فاما أن يرضخوا لمطالبها فى تسليم محمد لها للقتل. و إما ان يتراجع محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه عن دعوته، و إما أن يموتوا جوعا و ذلا، مع عدم ثبوت مسؤولية محددة على أحد فى ذلك، يمكن أن تجرّ عليهم حربا أهلية، ربما لا يمكن لأحد التكهن بنتائجها، و عواقبها السيئة.

فكتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على عدم التزوج و التزويج لبنى هاشم، و بنى المطلب، و أن لا يبيعوهم شيئا، و لا يبتاعوا منهم، و أن لا

يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، أو يسلموا لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليقتلوه.

---

(۱) سيرة مغلطاى ص ۲۳، و راجع سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۷۵، و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۹۷، عن المواهب اللدنية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹۶

و قد وقع على هذه الصحيفة أربعون رجلا من وجوه قريش، و ختموها بخواتيمهم، و علقت الوثيقة فى الكعبة مدة (و يقال: إنهم خافوا عليها السرقة؛ فنقلوها إلى بيت أم أبى جهل) «۱».

و كان ذلك فى سنة سبع من البعثة على أشهر الروايات. و قيل ست.

و أمر أبو طالب بنى هاشم أن يدخلوا برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الشعب- الذى عرف بشعب أبى طالب- و معهم بنو المطلب بن عبد مناف، باستثناء أبى لهب لعنه اللّه و أخزاه «۲». و استمروا فيه إلى السنة العاشرة.

و وضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام.

و كانوا ينفقون من أموال خديجة، و أبى طالب، حتى نفدت، حتى اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر. و كان صبيتهم يتضاغون جوعا، و يسمعهم المشركون من وراء الشعب، و يتذاكرون ذلك فيما بينهم، فبعضهم يفرح، و بعضهم يتذمم من ذلك. و يقولون: إنه ربما وجد فيهم من يتعاطف مع المسلمين، و كان هذا يصدر غالبا ممن يتصل بهم نسبا، كأبى العاص بن الربيع، و حكيم بن حزام و ان كنا نحن نشك فى ذلك كما سيأتى ان شاء اللّه تعالى.

و لم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبى طالب إلا فى موسم العمرة فى رجب، و موسم الحج فى ذى الحجة، فكانوا يشترون حينئذ و يبيعون ضمن ظروف صعبة جدا، حيث إن المشركين كانوا يلتقون

---

(۱) هكذا جاء فى بعض الروايات فى البحار ج ۱۹ ص ۱۶ عن الخرائج و الجرائح. و لا يهمنا تحقيق هذا الأمر كثيرا ..

(۲) و قيل: إن أبا سفيان بن الحارث أيضا لم يدخل الشعب معهم، و لكنه قول نادر.

و الاكثر على الاقتصار على أبى لهب لعنه اللّه ... و لسنا هنا فى صدد تحقيق ذلك ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹۷

بكل من يقدم مكة اولا، و يطمعونه بمبالغ خيالية ثمنا لسلعته، شرط أن لا يبيعها للمسلمين. و كان أبو لهب هو رائدهم فى ذلك؛ فكان يوصى التجار بالمغالاة عليهم حتى لا يدركوا معهم شيئا، و يضمن لهم، و يعوضهم من ماله كل زيادة تبذل لهم. بل لقد كان المشركون يتهددون كل من يبيع المسلمين شيئا بنهب أمواله، و يحذّرون كل قادم إلى مكة من التعامل معهم.

و الخلاصة: أن قريشا قد قطعت عنهم الاسواق، فلا يتركون لهم طعاما يقدم مكة، و لا بيعا إلا بادروهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۱».

و قد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثا. و كان على أمير المؤمنين «عليه السلام» اثناءها يأتيهم بالطعام سرا من مكة، من حيث يمكن، و لو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه، كما يقول الاسكافى و غيره «۲».

و كان أبو طالب رضوان اللّه تعالى عليه كثيرا ما يخاف على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» البيات؛ فاذا أخذ الناس مضاجعهم، اضطجع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على فراشه، حتى يرى ذلك جميع من فى شعب أبى طالب، فاذا نام الناس جاء و اقامه، و أضجع ابنه عليا مكانه «۳».

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۴.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۵۶.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۵۶ و ج ۱۴ ص ۶۴، الغدير ج ۷ ص ۳۵۷/ ۳۵۸ عن كتاب الحجة لابن معد.

و ذكر ذلك ابن كثير فى البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۴ من دون تصريح بالاسم.

و تيسير المطالب ص ۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹۸

و ثمة ابيات شعر له رحمه اللّه مخاطبا بها ولده عليا بهذه المناسبة، فلتراجع فى مصادرها.

أموال خديجة (رض)، و سيف على «عليه السلام»:

هنا سؤال مفاده:

إن من المعروف: أن الاسلام قد قام بسيف أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذى قال فيه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- كما سيأتى فى غزوة أحد و بدر:

لا فتى إلا علىلا سيف إلا ذو الفقار و بأموال خديجة رحمها اللّه تعالى، التى أنفقتها فى سبيل اللّه سبحانه فما معنى هذا الكلام و ما الذى يرمى إليه؟! فهل معنى ذلك: أن خديجة كانت ترشو الناس من أجل أن يدخلوا فى الاسلام؟

و هل يمكن العثور على مورد واحد من هذا القبيل فى التاريخ؟!

و لعلك تقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يتألف كثيرين على الاسلام، فيعطيهم الأموال ترغيبا لهم فى ذلك. و قضية غنائم حنين الآتية إن شاء اللّه أوضح دليل على ذلك، و لا يجهل أحد سهم المؤلفة قلوبهم فى الاسلام.

و الجواب: أن هذا الذى ذكر ليس معناه: أنهم كانوا يأخذون الرشوة على الاسلام، و إنما يريد الاسلام لهؤلاء أن يعيشوا فى الاجواء الاسلامية، و يتفاعلوا معها، و ينظروا لها نظرة سليمة، و من دون وجود أية حواجز نفسية، أو سياسية، أو اجتماعية فكان هذا المال المعطى لهم يساعد على التغلب على تلك الحواجز الوهمية فى اكثرها، و يجعلهم يعيشون فى الاجواء و المناخات الاسلامية، و يتعرفون على خصائص

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۱۹۹

الاسلام و أهدافه. و لتحصل لهم من ثم القناعات الوجدانية و الفكرية بأحقية الاسلام، و سمو أهدافه.

كما أن من هؤلاء من يرى: أن هذا الدين قد حرمه من المال و الثروة و الامتيازات التى يحبها، فلماذا لا يدبر فى الخفاء ما يزيح هذا الكابوس الخانق، و المضر بمصالحه؟ فاذا أعطى المال، و أفهم أن الاسلام ليس عدوا للمال: «قل من حرم زينة اللّه التى أخرج لعباده، و الطيبات من الرزق» «۱» فإنه يمكن اقناعه حينئذ بأن هدف الاسلام ليس إلا التركيز على انسانية الانسان، و اعتبارها المقياس الحقيقى له، لا المال، و لا القوة و لا الجمال، و لا الجاه، و لا غير ذلك. و أنه يهدف إلى تنظيم حياة هذا الانسان فى هذا الخط، ليكون سعيدا فى الدنيا و الآخرة على حد سواء.

و اما اموال خديجة؛ فلم تكن تعطى كرشوة على الاسلام، و لا كانت تنفق على المؤلفة قلوبهم. و انما كانت تسدّ رمق ذلك المسلم، الذى يعانى اعظم المشاق و الآلام، فى سبيل اسلامه و عقيدته، هذا المسلم الذى لم تتورع قريش عن محاربته بكل ما تملكه من اسلحة لا انسانية و لا اخلاقية، حتى بالفقر و الجوع، فكانت تلك الاموال تسد رمق من يتعرض للاخطار الكبيرة، و تخدم الاسلام عن هذا الطريق. و هذا معنى قولهم: ان الإسلام قام باموال خديجة.

و ملاحظة لا بد منها، و هى ان اموال خديجة التى أنفقت فى المقاطعة، كانت فى غالبها من النوع الذى يمكن الانتفاع به فى سدّ رمق الجائع. و كسوة العارى، و اما ما سواه؛ فلربما لم يتعرض لذلك؛ بسبب عدم القدرة على البيع و الشراء فى غالب الأحيان.

(۱) الأعراف الآية/ ۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۰

و نشير اخيرا، الى أن مكة مهما عظمت الثروة فيها، فانها لا تخرج عن كونها محدودة الامكانات، تبعا لموقعها، و حجمها؛ لأنها لم تكن مدينة كبيرة جدا، بل كانت بلدا كبيرا بالنسبة الى القرية، و لذا جاء التعبير عنها فى القرآن ب «ام القرى» و ثروة فى بلد كهذا تبقى دائما محدودة، تبعا لمحدوديته، و قدراته، و امكاناته.

حكيم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمين:

قد تقدم انهم يذكرون حكيم بن حزام فى جملة من كان يرسل الطعام سرا الى المسلمين فى شعب أبى طالب روى ذلك ابن اسحاق و غيره. «۱».

و لكننا بدورنا نشك فى ذلك، فإن حكيم بن حزام كان من القوم الذين انتدبتهم قريش لقتل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليلة الغار، و باتوا على باب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يرصدونه بانتظار ساعة الصفر «۲» و قد ردّ اللّه كيدهم الى نحورهم.

أضف إلى ذلك: أنه كان يحتكر جميع الطعام الذى كان يأتى إلى المدينة على عهد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۳». و كان من المؤلفة قلوبهم «۴».

و من كانت له نفسية كهذه، فانه يصعب عليه جود كهذا، خصوصا

(۱) راجع: سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۳۷۹ و غير ذلك من كتب السيرة.

(۲) البحار ج ۱۹ ص ۳۱ و مجمع البيان ج ۴ ص ۵۳۷.

(۳) دعائم الاسلام ج ۲ ص ۳۵ و التوحيد للصدوق ص ۳۸۹ و الوسائل ج ۱۲ ص ۳۱۶ و الكافى ج ۵ ص ۱۶۵ و التهذيب للطوسى ج ۷ ص ۱۶۰ و من لا يحضره الفقيه ج ۳ ص ۲۶۶ ط جماعة المدرسين و الإستبصار ج ۳ ص ۱۵.

(۴) نسب قريش ص ۲۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۱

إذا كان معه تعريض نفسه لأخطار العداء مع قريش. إلا أن يكون يمارس ذلك بروحه الاحتكارية التجارية؛ فيبيع المسلمين الطعام باغلى الاثمان.

فيعرض نفسه لهذه الاخطار حبا بالمال.

و يكون حبه للمال، و تفانيه فى سبيله هو الذى يسهّل عليه كل عسير، و يذلّل له ركوب كل صعب و خطير.

اضف الى ذلك: أنه سوف يأتى حين الكلام على اسلام ابى طالب حين الكلام على ردّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هدية ملاعب الاسنة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، قد ردّ هديته و هدية غيره، لأنها هدية من مشرك.

فلا يعقل: أن يقبلها الآن، و يردّها بعد ذلك. و إلا لاعترضوا عليه بقبوله لها قبل الآن.

إلا ان يدّعى: ان ابن حزام إنما كان يعطى الأطفال و النساء، و غيرهم من بنى هاشم المحصورين فى الشعب، و هؤلاء كانوا يقبلون ذلك منه، و إن كان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن يقبل.

فتبقى ملاحظة: انه قد يكون انما ياتيهم بالطعام ليبيعهم إياه بأغلى الاثمان لا دافع لها.

و من ذلك كله يظهر أيضا: أنه لا يمكن الإطمئنان، و لا قبول قولهم: إن أبا العاص بن الربيع كان يفعل مثل ذلك آنئذ.

و نحن لا نستبعد: أن يكون للزبيريين يد فى تسجيل هذه الفضيلة لحكيم بن حزام، لا سيما و أنه كان ممن تلكّأ عن بيعة أمير المؤمنين «عليه السلام»، و كان عثمانيا متصلبا «۱». و قد أشرنا إلى ذلك حين الكلام حول

---

(۱) قاموس الرجال ج ۳ ص ۳۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۲

ولادة أمير المؤمنين «عليه السلام» فى الكعبة، و حين الكلام عن افتعال الاكاذيب فى موضوع الوحى و كيفياته.

انشقاق القمر:

و فى السنة الثامنة من البعثة، حينما كان المسلمون محصورين فى شعب أبى طالب، كانت قضية انشقاق القمر «۱».

و قد جاء فى الروايات الكثيرة: أن قريشا سألوا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يريهم آية، فدعا اللّه فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم؛ فقالوا: هذا سحر مستمر، فأنزل اللّه تعالى: اقتربت الساعة و انشق القمر، و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر «۲».

و فى رواية: أنهم قالوا: انتظروا ما يأتيكم به السّفّار؛ فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلّهم، فجاء السفار، فسألوهم، فقالوا: نعم رأيناه، فأنزل اللّه: اقتربت الساعة و انشق القمر «۳».

و نقل عن السيد الشريف فى شرح المواقف، و عن ابن السبكى فى شرح المختصر: أن الحديث متواتر لا يمترى فى تواتره عند أهل السنة «۴».

و أما عند غيرهم، فيقول العلامة البحاثة السيد الطباطبائى ايده اللّه: «ورد انشقاق القمر لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كثيرا، و قد تسلّمه

---

(۱) تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۶۲ و ۶۴.

(۲) سورة القمر/ ۱ و ۲.

(۳) الدر المنثور ج ۶ ص ۱۳۳ عن ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن مردويه، و أبى نعيم، و البيهقى فى دلائلهما، و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۲۲.

(۴) تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۶۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۳

محدثوهم، و العلماء من غير توقف «۱»»

و لكن على أية حال .. لا يمكن أن تعتبر هذه المسألة من ضروريات الدين، كما اشار اليه بعض الاعلام «۲».

شبهة، و حلها:

يقول العلامة الطباطبائى: «و اعترض عليها: بأن صدور المعجزة منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» باقتراح من الناس، ينافى قوله تعالى: وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ، وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها، وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً «۳».

فمفاد هذه الآية، إما أنا لا نرسل بالآيات إلى هذه الأمة اصلا، لأن الأمم السابقة كذبوا بها، و هؤلاء يماثلونهم فى طباعهم؛ فيكذبون بها، و لا فائدة فى الارسال مع عدم ترتب الأثر عليه. أو المفاد؛ أنا لا نرسل بها، لأنا أرسلنا إلى أوليهم فكذبوا بها؛ فعذبوا بها؛ و

اهلكوا. و لو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها، و عذبوا عذاب الاستئصال، لكنا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب. و على أى حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمة، كما كانت ترسل إلى الامم الدارجة.

نعم، هذا فى الآيات المرسلة باقتراح الناس، دون الآيات التى تؤيّد بها الرسالة، كالقرآن المؤيد لرسالة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و كآيتى العصا، و اليد لموسى «عليه السلام»، و آية احياء الموتى و غيرها لعيسى «عليه السلام»، و كذا الآيات النازلة لطفا منه سبحانه،

---

(۱) تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۶۱ و راجع باب المعجزات السماوية فى البحار، ج ۱۷ ص ۳۴۸- ۳۵۹.

(۲) راجع: همه بايد بدانند (فارسى) ص ۷۵.

(۳) الاسراء/ ۵۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۴

كالخوارق الصادرة عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لا عن اقتراح منهم الخ.

ثم أجاب أيده اللّه بما ملخصه: أن تكذيبهم بآية انشقاق القمر كان يستدعى العذاب، لأنها آية اقتراحية منهم، و ما كان اللّه ليهلك جميع من أرسل نبيّه إليهم، و هم أهل الارض جميعا إلا بعد إتمام الحجة عليهم، و لم تتم الحجة بعد على جميع الناس ثم كذبوه، ثم طلبوا الآية. بل تمت الحجة على بعض الأفراد من الذين كانوا يعيشون فى مكة، لأن هذه الآية كانت قبل الهجرة بخمس سنين هذا بالإضافة إلى أنه ما كان اللّه ليهلك جميع أهل مكة و من حولها، لأن فيهم جمعا كبيرا من المسلمين، قال تعالى: وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ، لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً «۱».

و لم يتزيل المشركون عن المسلمين، و لا امتازوا عنهم.

كما أنه إذا كان الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بينهم فانه لا يعذبهم. قال تعالى: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ «۲» و ما كان اللّه لينجى المؤمنين، و يهلك الكفار بعد ان آمن جمع كثير منهم فيما بين سنة ثمان من البعثة، و ثمان من الهجرة، ثم اسلم عامتهم يوم الفتح. و الاسلام يكتفى فيه بظاهره.

و أيضا، فان عامة أهل مكة و من حولها لم يكونوا أهل جحود و عناد، و إنما كان ذلك فى عظمائهم و صناديدهم، الذين كانوا يستهزؤن به «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و يعذبون المؤمنين.

---

(۱) الفتح/ ۲۵.

(۲) الأنفال/ ۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۵

و الآيات التى تبين أنهم لكونهم يصدون على المسجد الحرام، و لكونهم يستفزونه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من الارض ليخرجوه منها.

سوف ينشأ عنه أنهم لا يلبثون خلافه إلا قليلا، و ليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون «۱»- هذه الآيات- قد تحقق مضمونها بما أصابهم يوم بدر من القتل الذريع.

فقوله تعالى: وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ الخ .. إنما يفيد الامساك عن إرسال الآيات ما دام النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فيهم، و اما إرسالها و تأخير العذاب إلى حين خروجه من بينهم فلا دلالة فيه عليه.

و قوله تعالى وَ قالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً- إلى أن قال-: قُلْ: سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا «۲». لا يدل على نفى تأييد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالآيات المعجزة، و انكار نزولها من الاساس. و إلا فان جميع الانبياء كانوا بشرا. و معنى الآية: أنه من حيث هو بشر فانه لا يقدر على ذلك. و انما الأمر إلى اللّه تعالى فهو الذى يأتى بالآيات فى الحقيقة «۳».

و يقول البعض: إن آية: وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً لعلها ناظرة إلى أن دعوة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليست معتمدة على الآيات، التى هى من قبيل ناقة ثمود، و آيات موسى «عليه السلام»، بل هى تعتمد بالدرجة الاولى على الاقناع، و اقامة الحجة العقلية كدعوة ابراهيم، و ذلك لا ينافى صدور بعض الآيات فى الموارد التى لا تنفع فيها الحجج العقلية، و البراهين القطعية.

---

(۱) راجع الاسراء/ ۷۶ و الانفال/ ۳۵.

(۲) الاسراء/ ۹۳.

(۳) راجع فيما تقدم: تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۶۰- ۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۶

انشقاق القمر، الحدث الكبير

و أوردوا على انشقاق القمر، بأنه لو انشق- كما يقال- لرآه جميع الناس، و لضبطه أهل الارصاد فى الغرب و الشرق، لكونه من اعجب الآيات السماوية، و الدواعى متوفرة على استماعه و نقله.

و أجيب:

أولا: إن من الممكن أن يغفل عنه، فلا دليل على كون كل حادث أرضى أو سماوى معلوما للناس، محفوظا عندهم، يرثه خلف عن سلف «۱».

و أوضح ذلك بعض الأعلام بما حاصله:

إنه لا بد من ملاحظة الأمور التالية

۱- إن هذا الانشقاق قد حصل فى نصف الكرة الأرضية، حيث يوجد الليل دون النصف الآخر، حيث يوجد النهار.

۲- و فى هذا النصف لا يلتفت أكثر الناس إلى ما يحصل فى الاجرام السماوية إذا كان ذلك بعد نصف الليل، حيث الكل نائمون، فإنهم جميعا لا يتلفتون إلى ذلك.

۳- و لربما يكون فى بعض المناطق سحاب يمنع من رؤية القمر.

۴- و الحوادث السماوية إنما تلفت النظر لو كانت مصحوبة بصوت كالرعد، أو بأثر غير عادى كقلة نور الشمس فى الكسوف، إذا كان لمدة طويلة نسبيا.

۵- هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير بالسماء و مراقبة ما يحدث لاجرامها.

---

(۱) تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۶۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۷

۶- و لم يكن ثمة وسائل إعلام تنقل الخبر من أقصى الأرض إلى أقصاها بسرعة مذهلة؛ لتتوجه الانظار إلى ما يحدث.

۷- و التاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جدا، فكم كان فى تلك المئات و الآلاف من السنين الخالية من كوارث و زلازل، و سيول عظيمة أهلكت طوائف و أمما، و ليس لها مع ذلك فى التاريخ أثر يذكر. بل إن زرادشت و قد ظهر فى دولة عظيمة، و له أثر كبير

على الشعوب على مدى التاريخ، لا يعرف حتى أين ولد و مات و دفن، بل و يشك البعض فى كونه شخصية حقيقية، أو وهمية.

و بعد ما تقدم: يتضح أنه لا يجب أن يعرف الناس بانشقاق القمر، و لا أن يضبطه التاريخ بشكل واضح «۱» كما هو معلوم.

و ثانيا: لم يكن فى المنطقة العربية و غيرها مرصد للأوضاع السماوية، و إنما كانت المراصد موجودة فى المشرق و المغرب لدى الروم و اليونان، و غيرهما. و لم يثبت وجود مرصد فى هذا الوقت.

على أن بلاد الغرب، الذين كانوا معتنين بهذا الشأن بينها و بين مكة من اختلاف الأفق ما يوجب فصلا زمانيا معتدّا به. و قد كان القمر على ما فى بعض الروايات بدرا قد انشق حين طلوعه، و دام مدة يسيرة، ثم التأم، فيقع طلوعه فى بلاد المغرب و هو ملتئم ثانيا «۲».

امكان الانشقاق و الالتيام علميا:

و يبقى هنا سؤال. و هو أنه هل يمكن علميا الانشقاق فى الاجرام السماوية؟، و إذا أمكن الانشقاق، فانما يمكن ببطلان التجاذب بين الشقتين حينئذ؛ فيستحيل الالتيام بعد الانشقاق.

---

(۱) همه بايد بدانند (فارسى) ص ۹۴ للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازى.

(۲) تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۶۴/ ۶۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۸

و أجيب عنه: بان خرق العادة بقدرة اللّه سبحانه ليس محالا- كما أن العلماء يقولون: إنه قد حدثت انشقاقات كثيرة فى الأجرام السماوية؛ بسبب عوامل خاصة، و من الأمثلة على ذلك:

۱- ان ثمة حوالى خمسة آلاف من القطع الكبيرة و الصغيرة التى تدور حول الشمس و يعتقد العلماء انها بقايا احدى السيارات التى كانت بين مدارى المريخ، و المشترى، ثم انفجرت لاسباب مجهولة و تحولت إلى قطع متفاوتة الاحجام فى مدارات حول الشمس.

۲- و يقولون: إن الشهب هى أحجار صغيرة تسير بسرعة مذهلة فى مدار حول الشمس. و ربما تتقاطع مع الارض أحيانا، فتجذبها الارض، فتصطدم بالجو الارضى فتشتعل ثم تتلاشى. و يقول العلماء: انها بقايا نجوم انفجرت و تشققت بهذا النحو.

۳- و المنظومة الشمسية أيضا يقال- حسب نظرية لا- بلاس-: إنها كانت فى الاصل قطعة واحدة، ثم انفجرت، لسبب غير معلوم فصارت على هذا النحو.

فلماذا لا ينشق القمر بسبب قاهر و هو القدرة الالهية، حيث إن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد دعا اللّه فاستجاب له.؟ و لم يدّع أحد أنه ينشق بلا سبب أصلا.

و أما عودته إلى الالتيام بعد ذلك. فقد قال العلماء: إن كل جرم كبير له جاذبية. و لذلك نجد أن الشمس كثيرا ما تجذب بعض القطعات التى تدور حولها.

فتتحول تلك القطع بفعل الصدمة و الاحتكاك إلى لهب متلاش.

اذن، فما دام كل من شقى القمر قريبا إلى الآخر، و بعد رفع تأثير القوة المانعة من تأثير الجاذبية، فلماذا لا يشد كل من النصفين النصف الآخر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۰۹

إلى نفسه، ليعودا كما كانا، و أى محذور عقلى فى ذلك «۱».

و قد أوجز العلامة الطباطبائى الاجابة عن سؤال امتناع الالتيام لعدم الجاذبية، فقال: إن الاستحالة العقلية ممنوعة، و الاستحالة العادية، بمعنى اختراق العادة، لو منعت عن الالتيام بعد الانشقاق، لمنعت أولا عن الانشقاق بعد الالتيام و لم تمنع. و أصل الكلام مبنى على

خرق العادة «۲».

دلالة الآية القرآنية على ذلك:

و يحتمل البعض: أن يكون قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ناظرا إلى المستقبل، و أنه من أشراط الساعة، كتكوير الشمس، و انكدار النجوم.

و أجيب عنه بما حاصله:

أولا- إن ظاهر قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ هو أن جماعة من مخالفى النبى لا يؤمنون بالآيات و كلما جاءتهم آية يزيد عنادهم و استكبارهم، و يعتبرونها من السحر. مما يدل على أنه قد جرى له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» معهم فى قصة انشقاق القمر مثل ذلك.

ثانيا: إن جملة «انشق» فعل ماض، و لا يراد الاستقبال من الفعل الماضى إلا بقرينة، و هى غير موجودة. بل الموجود خلافه؛ فقد قال الرازى: «المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، و دلت الاخبار الصحاح عليه» «۳»- و إن كان الطبرسى و ابن شهرآشوب يستثنيان:

---

(۱) كتاب: همه بايد بدانند ص ۸۴- ۹۰.

(۲) تفسير الميزان ج ۱۹- ۶۵.

(۳) التفسير الكبير للرازى ج ۲۹ ص ۲۸.

عطاء، و الحسن و البلخى «۱». ثم قال: الطبرسى: و هذا لا يصح، لأن المسلمين أجمعوا على ذلك، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه «۲».

و ان قيل: إن اقتران جملة: اقتربت الساعة: بجملة: و انشق القمر، يوحى بأن زمانهما واحد.

فالجواب هو: ان كثيرا من الآيات تؤكد على أن الساعة قد قرب وقتها، فلم الغفلة؟، قال تعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ، وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ «۳». و ينقل عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» انه قال: «بعثت انا و الساعة كهاتين» «۴» و أشار الى اصبعيه. «و الظاهر: أن ذلك بملاحظة مجموع عمر الدنيا الطويل جدا، حتى ليصح أن يقال: إن هذا الفاصل الزمانى بين بعثته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و قيام الساعة ليس بشيء».

و بعد هذا .. فان مفاد الآية يكون: ان الساعة قد اقتربت، و هذه الآية المعجزة قد ظهرت للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و لكن هؤلاء المشركين المستكبرين لا يؤمنون، و لا يصدقون. بل يقولون: سحر مستمر «۵».

و لكن بعض المحققين يقول: إن قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً الخ .. جملة شرطية، لا دلالة فيها على وقوع ذلك. و جملة انْشَقَّ الْقَمَرُ مساقها مساق قوله تعالى: أتى أمر اللّه؛ فلا تستعجلوه، فانها جملة

---

(۱) مجمع البيان ج ۹ ص ۱۸۶ و مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۱۲۲.

(۲) مجمع البيان ج ۹ ص ۱۸۶.

(۳) الأنبياء/ ۱.

(۴) نقله فى مفتاح كنوز السنة ص ۲۲۷ عن البخارى، و مسلم، و ابن ماجة و الطيالسى، و أحمد، و الترمذى و الدارمى، فراجع.

(۵) راجع فى كل ما ذكرناه فى دلالة الآية كتاب: همه بايد بدانند (فارسى) ص ۷۶- ۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۱

فعلية ماضوية. و لكن الأمر لم يأت بعد بقرينة قوله: فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ.

و كذا الحال فى قوله تعالى: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ بملاحظة قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا إلخ. و المراد بيان حالهم لو وقع لهم أمر كهذا. و أما الاجماع الذى أدعاه الطبرسى؛ فلا حجية فيه، إذ من المحتمل أن يكون منشؤه الفهم الخاطىء للآية. انتهى كلامه.

و نقول نحن: إن هذا الكلام له وجه، لو لم يكن لدينا أخبار صحيحة تدل على وقوع انشقاق القمر.

الاساطير:

هذا، و قد لعبت الأهواء و الاساطير فى قضية شق القمر، حتى لقد شاع على ألسنة الناس: أن أحد شقى القمر قد مرّ من كمّ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». فيقول العلامة ناصر مكارم: إن هذا الكلام ليس له فى كتب الحديث و التفسير عين و لا أثر، سواء عند السنة، أو عند الشيعة.

و ثمة تفاصيل و خصوصيات تذكر فى بعض الروايات لا نرى فى تحقيق الحق فيها كبير نفع، و لا جليل أثر؛ و لذا فنحن نعرض عنها إلى ما هو أهم، و نفعه أعم.

نقض الصحيفة:

و بعد ثلاث سنوات تقريبا من حصر المسلمين فى شعب أبى طالب، أخبر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عمه أبا طالب بأن الإرضة قد اكلت كل ما فى صحيفتهم من ظلم و قطيعة رحم و لم يبق فيها إلا ما كان اسما للّه (و فى نص آخر: انها قد اكلت كل اسم للّه تعالى فيها، و لم تبق إلا كل ظلم و شر، و قطيعة رحم. «۱»).

---

(۱) و لربما يقال: إن استمرار قريش على عدائه «صلى اللّه عليه و آله»، إلى حين نقض

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۲

فخرج أبو طالب من شعبه، و معه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع أخرجهم.

و قالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئتكم بخير، ابعثوا إلى صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا و بينكم صلح فيها.

فبعثوا، فأتوا بها. فلما وضعت و عليها أختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئا؟

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخى حدثنى و لم يكذبنى قط: أن اللّه قد بعث على هذه الصحيفة الإرضة، فأكلت كل قطيعة و إثم، و تركت كل اسم هو للّه؛ فان كان صادقا أقلعتم عن ظلمنا، و إن يكن كاذبا ندفعه اليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ففتحت، ثم أخرجت، فإذا هى كما قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: فكبر المسلمون، و امتقعت وجوه المشركين.

فقال أبو طالب: أتبين لكم: أينا أولى بالسحر و الكهانة؟.

فأسلم يومئذ عالم من الناس.

و لكن المشركين لم يقنعوا بذلك، بل استمروا على العمل بمضمون

الصحيفة، يدل على أن الأرضة إنما محت اسم اللّه تعالى. و ابقت قطيعة الرحم و سائر المواد التى اتفقوا عليها. و قد استبعد ذلك بأن أكل الارضة لأسم اللّه بعيد. فلعلهم التزموا بمضمونها و ان كانت قد محيت، أو أنهم أعادوا كتابتها.

و لربما يرد على ذلك بأن الارضة إنما محت اسم اللّه عنها تنزيها له عن أن يكون فى صحيفة ظالمة كهذه و هذا إعجاز مطلوب و راجح من أجل اظهار الحق، و ليس فى ذلك إهانة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۳

الصحيفة، حتى قام جماعة منهم بالعمل على نقضها، و يذكرون منهم:

هشام بن عمرو بن ربيعة، و زهير بن أمية بن المغيرة، و المطعم بن عدى، و أبا البخترى بن هشام، و زمعة بن الاسود، و كلهم له رحم ببنى هاشم و المطلب. و تكلموا فى نقضها؛ فعارضهم أبو جهل فلم يلتفتوا الى معارضته، و مزقت الصحيفة، و بطل مفعولها.

و خرج الهاشميون حينئذ من شعب أبى طالب رضوان اللّه تعالى عليه «۱».

حنكة أبى طالب، و ايمانه:

إن المطالع لأحداث ما قبل الهجرة النبوية الشريفة ليجد عشرات الشواهد الدالة على حنكة أبى طالب «عليه السلام».

و خير شاهد نسوقه الآن على ذلك، هو ما ذكرناه آنفا، حيث راينا يطلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، و يمزج ذلك بالتعريض بامكان أن يكون ثمة صلح فى ما بينهم و بينه. و ما ذلك إلا من أجل أن لا تفتح الصحيفة إلا علنا، يراها كل أحد، و أيضا، حتى يهيئهم للمفاجأة الكبرى، و يمهد السبيل أمام طرح الخيار المنطقى عليهم، ليسهل عليهم تقبله، ثم الالتزام به.

و لا سيما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعدا بما يريد، و يضعهم أمام شرف الكلمة، و على محك قواعد النبل و احترام الذات، حسب المعايير التى كانوا يتعاملون على أساسها .. و قد نجح فى ذلك إلى حد بعيد،

(۱) راجع فيما تقدم: السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۴۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۱۶ و دلائل النبوة ط دار الكتب ج ۲ ص ۳۱۲ و الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۸۸ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۳۷ و ۱۳۸ ط دار المعرفة و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۳۱ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۵ و ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۴

حتى ليصيح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ثم تبرز لنا من النصوص المتقدمة حقيقة أخرى، لها أهميتها و انعكاساتها، و هى تدل مدى ثقة أبى طالب بصدق النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و بسداد أمره، و واقعية ما جاء به. حتى لقد كان يتألم جدا من اتهام ابن أخيه بالسحر و الكهانة، و يعتبر ذلك افتراآ ظاهرا، و يغتنم الفرصة السانحة للتعبير عن خطل رأيهم، و سفه أحلامهم، فيقول لهم: «اتبين لكم: أينا أولى بالسحر و الكهانة؟».

و كانت النتيجة: أن اسلم بسبب هذه المعجزة يومئذ عالم من الناس.

القبلية و آثارها:

و قد لا حظنا فيما سبق: أن القبلية قد ساعدت إلى حد ما فى منع الكثير من الأحداث التى تؤثر مستقبليا على الدعوة و نجاحها. و ليكن ما قام به هؤلاء الذين عملوا على نقض الصحيفة هو أحد الشواهد على ذلك.

و لكن الذى يلفت نظرنا هو أننا لا نرى أبا لهب فيمن قام فى ذلك أو ساعد عليه.

كما أننا لا نجد اثرا لابن عم خديجة حكيم بن حزام، الذى تدّعى الروايات!! أنه كان يرسل الطعام لهم و هم محصورون فى الشعب.
و أيضا لا نجد مكانا لابى العاص بن الربيع الأموى (!!)، الذى سوف يأتى حين الكلام على أسطورة تزويج على ببنت أبى جهل أنهم يدّعون (!!): ان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أثنى على صهره!! تعريضا بعلى الذى لم يكن يستحق إلا التقريع و التعريض (!!).
على الذى كان يخاطر بنفسه، و يأتى لهم بالطعام من مكة، و لو وجدوه لقتلوه، كما تقدم.
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۵

ما بعد نقض الصحيفة:

و استمر الرسول الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يعمل على نشر دينه، و أداء رسالته، و استمرت قريش تضع فى طريقه العراقيل، و تحاول أن تمنع الناس من الاجتماع به، و الاستماع اليه، بكل الوسائل التى تقع تحت اختيارها.
و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يتحمل و يصبر. لا يكل و لا يمل. و لم تفلح قريش فى ذلك، و لا وصلت إلى نتيجة.
و الأحداث التى فى هذا السبيل كثيرة، لو أردنا استقصاءها لطال بنا المقام. و لا محيص لنا عن تجاوزها إلى غيرها، و إن كان يعز ذلك علينا.

وفد من الحبشة:

و قدم على النبى الأعظم الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أول وفد من خارج مكة، و بالذات، من الحبشة، و من النصارى، و قيل: من نجران. و كان يتألف- على قول ابن اسحاق و غيره- من عشرين رجلا و قيل غير ذلك. و كان على رأس الوفد جعفر بن أبى طالب رحمه اللّه «۱».
فوجدوا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى المسجد؛ فكلموه، و سألوه، و رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة، و بعد دعوة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لهم إلى الاسلام آمنوا و صدقوا.
فلما قاموا، اعترضهم أبو جهل، و عنفهم على اسلامهم، و تركهم دينهم؛ فقالوا: سلام عليكم، لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، و لكم ما انتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا؛ فأنزل اللّه تعالى: «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ

---

(۱) كذا قال البوطى فى فقه السيرة ص ۱۲۶ و مجمع البيان ج ۷ ص ۲۵۸ و يفهم منه أنهم قدموا مع جعفر حين قدومه نهائيا عام خيبر.
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۶
قَبْلِهِ، هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، إلى قوله تعالى: إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَ قالُوا: لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ «۱»».
و كانت هذه- بطبيعة الحال- ضربة قاسية لقريش و كبريائها، و خططها و اهدافها. و خصوصا إذا كان ذلك الوفد قد جاء من الحبشة، و بالأخص بقيادة جعفر «عليه السلام»؛ فان ذلك يعنى: أن الدعوة قد بدأت تأخذ طريقها إلى القلوب فى مناطق لا تخضع لقريش، و سلطانها، و نفوذها.
كما أنه إنذار لها بلزوم التحرك بسرعة قبل أن يفوت الاوان، و لكن كيف؟ و أنى؟. و هذا أبو طالب، و معه الهاشميون و المطلبيون يمنعون محمدا و يحوطونه. فلا بد إذن من الانتظار.

من مواقف أبى طالب:

و كان أبو طالب شيخ الأبطح «عليه السلام» هو الذى حامى و ناصر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و حدب عليه منذ طفولته، و حتى الآن:

فقد نصره بيده و لسانه، و واجه المصاعب الكبيرة، و المشاق العظيمة، فى سبيل الدفع عنه، و الذود عن دينه و رسالته، و اعطائها الفرصة للتوسع و الانتشار، ما وجدت الى ذلك سبيلا.

و هو أيضا الذى كان يقدمه على اولاده جميعا، و قد ارجعه بنفسه من بصرى الى مكة عندما حذره بحيرا من اليهود عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

نعم، و هو الذى رضى بعداء قريش له، و بمعاناة الجوع و الفقر،

---

(۱) الآية فى سورة القصص من آية ۵۲ حتى آية ۵۵، و راجع الحديث فى سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۳۲، و تفسير ابن كثير، و القرطبى، و النيشابورى فى تفسير الآيات، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۷

و النبذ الاجتماعى، و رأى الاطفال يتضاغون جوعا، حتى اقتاتوا ورق الشجر، بل لقد عبّر صراحة: عن انه على استعداد لان يخوض حربا طاحنة، تأكل الاخضر و اليابس، و لا يسلم محمدا لهم، و لا يمنعه من الدعوة الى اللّه، بل هو لا يطلب منه ذلك على الأقل.

و هو الذى يقف ذلك الموقف العظيم من جبابرة قريش و فراعنتها، حينما جاءه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- و قد القت عليه قريش سلا ناقة- فأخذ رحمه اللّه السيف، و امر حمزة بان ياخذ السلا، و توجه الى القوم، فلما رأوه مقبلا عرفوا الشرّ فى وجهه، ثم أمر حمزة ان يلطّخ سبالهم، واحدا واحدا، ففعل. «۱»

و فى نص آخر: انه نادى قومه، و امرهم بان يأخذوا سلاحهم؛ فلما رآه المشركون ارادوا التفرق؛ فقال لهم: «و رب البنية، لا يقوم منكم احد الا جللته بالسيف، ثم وجأ أنف من فعل بالنبى ذلك حتى ادماها- و فاعل ذلك هو ابن الزبعرى- و امرّ بالفرث و الدم على لحاهم. «۲»

و فى الشعب كان يحرس النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بنفسه و ينقله من مكان إلى آخر. و يجعل ولده عليا «عليه السلام» فى موضع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حتى اذا كان امر اصيب ولده دونه و قد خاطب رحمه اللّه فى هذه المناسبة عليا «عليه السلام» بأبيات معبرة،

---

(۱) الكافى نشر مكتبة الصدوق ج ۱ ص ۴۴۹ و منية الراغب ص ۷۵ و راجع السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۹۱ و ۲۹۲ و السيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج ۱ ص ۲۰۲ و ۲۰۸ و ۲۳۱ و البحار ج ۱۸ ص ۲۰۹.

(۲) راجع: الغدير ج ۷ ص ۳۸۸ و ۳۵۹ و ج ۸ ص ۳- ۴ و ابو طالب مؤمن قريش ص ۷۳ كلاهما عن العديد من المصدر و ثمرات الأوراق ص ۲۸۵/ ۲۸۶ و نزهة المجالس ج ۲ ص ۱۲۲ و الجامع لاحكام القرآن ج ۶ ص ۴۰۵، ۴۰۶ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۴/ ۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۸

و أجابه على «عليه السلام» بمثلها «۱» فلتراجع.

و كان يدفع قريشا عنه باللين تارة، و بالشدة اخرى. و ينظم الشعر السياسى، ليثير العواطف، و يدفع النوازل، و يهيىء الاجواء لاعلاء كلمة اللّه، و نشر دينه، و حماية اتباعه.

و قد افتقد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مرة «فلم يجده؛ فجمع الهاشميين، و سلحهم، و اراد ان يجعل كل واحد منهم الى جانب

عظيم من عظماء قريش ليفتك به، لو ثبت ان محمدا اصابه شر.» «۲»

كل ذلك فى سبيل الدفع عن الرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و نصر دينه، و اعلاء كلمته، و رفعة شأنه.

و واضح: ان الالمام بكل مواقف ابى طالب، و تضحياته الجسام يحتاج الى وقت طويل، و جهد مستقل و نحن نكتفى بهذه الاشارة، و نعترف اننا لم نقض حقه كما ينبغى (و ذلك من اجل ان نوفّر الفرصة لبحوث أخرى فى السيرة النبوية الشريفة.

مع تضحيات أبى طالب رضوان اللّه عليه:

مما تقدم يظهر ان أبا طالب، شيخ الأبطح، كان على استعداد لأن:

۱- يتخلى حتى عن مكانته فى قومه، إلى بديل آخر هو فى الاتجاه

---

(۱) المناقب لابن شهراشوب ج ۱ ص ۶۴/ ۶۵ و أسنى المطالب ص ۲۱ و لم يصرح بإسم (على) و كذا فى السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۴۲ و راجع البداية و النهاية ج ۳ ص ۸۴ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۴۴ و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۲ ص ۳۱۲ و تاريخ الاسلام ج ۲ ص ۱۴۰/ ۱۴۱ و الغدير ج ۷ ص ۳۶۳ و ۳۵۷ و ۳۵۸ و ج ۸ ص ۳ و ۴ و ابو طالب مؤمن قريش ص ۱۹۴.

(۲) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۶. ابو طالب مؤمن قريش ص ۱۷۱ و منية الراغب ص ۷۵/ ۷۶ و الغدير ج ۲ ص ۴۹ و ۳۵۰ و ۳۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۱۹

المضاد تماما، و هو العداء لهم، و سائر أهل بلده، بل و الدنيا بأسرها، بل هو يتحمل النفى و النبذ الاجتماعى له، و لكل من يلوذ به، و لا يستسلم للضغوط المتنوعة التى يتعرض لها، و لا تلين قناته، و لا تصدع صفاته.

۲- يرضى بتحمل الجوع و الفقر و المحاصرة الاقتصادية، بل هو يبذل أمواله و كل ما لديه فى سبيل هذا الدين.

۳- يوطن نفسه على خوض حرب طاحنة، ربما تنتهى بابادة الهاشميين و أعدائهم، إذا لزم الأمر.

۴- يضحى حتى بولده الأصغر سنا على عليه السلام و يتحمل آثار غربة ولده الآخر جعفر، المهاجر إلى الحبشة.

۵- يجاهد بيده و لسانه، و يستخدم كل مالديه من امكانات مادية و معنوية، و لا يبالى بكافة الصعاب و المشاق، و هو يدافع عن هذا الدين، و يحوطه بالرعاية و العناية، ما وجد إلى ذلك سبيلا.

سؤال و جوابه:

و يرد سؤال، هو: لماذا لا يكون ذلك كله بدافع عاطفى، و نابعا عن حمية النسب و القبيلة؟! أو على حدّ تعبير البعض: بدافع من «حبه الطبيعى» «۱»؟.

و جوابه:

۱- ما يأتى من ادلة قاطعة على ايمان ابى طالب عليه الصلاة و السلام و لا سيما اشعاره و تصريحاته الدالة على ذلك هذا بالإضافة إلى ما ورد عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و عن الأئمة من ولده فى حقه.

۲- يؤيد ذلك انه إذا كان محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ابن

---

(۱) تفسير ابن كثير ج ۳ ص ۳۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۰

اخيه؛ فان عليا ولده، فلو كانت العاطفة النسبية هى الدافع، فلماذا يضحى بولده دون ابن أخيه، طائعا مختارا، بعد تفكير و تأمل و تدبر لعواقب ذلك؟ و لماذا يرضى بأن يكون الاغتيال- لو تم- موجها له دونه؟! أم يعقل أن يكون حبه الطبيعى لابن أخيه أكثر منه لولده،

و فلذة كبده؟!.

۳- أما الحمية القبلية، و الرابطة النسبية، فلو كانت هى السبب فى موقفه ذاك، فلماذا لم تدفع أبا لهب لعنه اللّه لان يقف موقف ابى طالب «عليه السلام»؛ فيدفع عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و يضحى فى سبيله؛ حتى بولده، و بمكانته، و بكل ما يملك؟!.

بل لقد رأيناه من اشد الناس على النبى، و اكثرهم جرأة عليه، و ايذاء له.

و أما ساير بنى هاشم فانهم و إن دخلوا الشعب مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلا أن تضحياتهم فى سبيل النبى لم تبلغ عشر معشار تضحيات أبى طالب، كما انهم انما وقفوا هذا الموقف تحت تأثير نفوذ ابى طالب، و إصراره ..

و هكذا يتضح: ان حمية الدين اقوى من حمية النسب، و لذلك نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آبائهم و اولادهم فى سبيل دينهم. و قد استأذن عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بقتل ابيه «۱» و فى صفين أيضا لم يرجع الأخ عن اخيه حتى أذن له امير المؤمنين (ع) بتركه، «۲» الى غير ذلك من الشواهد الكثيرة.

۴- ثم إنه لو كان أبو طالب يفعل ذلك من اجل الدنيا؛ فقد كان

---

(۱) تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۸۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۴ و الدر المنثور ج ۶ ص ۲۴ عن عبد بن حميد، و ابن المنذر و الاصابة ج ۲ ص ۳۳۶.

(۲) صفين للمنقرى ص ۲۷۱/ ۲۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۱

يجب ان يضحى بابن اخيه دون ولده، و يضحى به دون عشيرته؛ لانه يحصل على الدنيا من هذا الطريق؛ كما قتل المأمون أخاه، و سمّمت ام الهادى ولدها، لا أن يضحى بكل شىء دونه، ثم تكون النتيجة هى: أن يدمّره و يدمر نفسه معه، فان هذا لا يصح فى منطق المصالح الدنيوية باية صورة على الاطلاق.

۵- و أيضا، فان الحمية القبلية- لو كانت- فانما تؤثر اثرها فى حدود مصالح القبيلة، و الحفاظ على شؤونها، و مستقبلها اما اذا كانت هذه الحمية سببا فى تدمير القبيلة و القضاء عليها، و تعطيل مصالحها، و تعريض مستقبلها للاخطار الجسام؛ فان هذه الحمية لا يمكن ان يفسح لها المجال، و لا ان يظهر لها اثر لدى عقلاء الرجال.

و هكذا يتضح: اننا لا يمكن ان نفسر مواقف ابى طالب (ع) تلك، الّا على انها بدافع عقيدى و ايمانى راسخ، يدفع الانسان للبذل و العطاء، لكل ما يملك فى سبيل دينه و عقيدته.

فصلوات اللّه و سلامه عليك يا ابا طالب، يا ابا الرجال، و يا رائد قوافل التضحية و الفداء، فى سبيل الحق و الدين، و رحمة اللّه و بركاته.

عام الحزن:

و فى السنة العاشرة من البعثة كانت وفاة الرجل العظيم، ابى طالب عليه الصلاة و السلام.

ففقد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بفقده نصيرا قويا، و عزيزا وفيا، كان هو الحامى له، و الدافع عنه، و عن دينه، و رسالته، كما اشرنا اليه.

ثم توفيت بعده بمدة و جيزة- قيل: بثلاثة أيام، و قيل بعده بحوالى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۲

شهر «۱» خديجة أم المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليها، أفضل أزواج النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أحسنهن سيرة، و

أخلاقا مع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و قد كانت بعض نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» (و هى عائشة) تغار منها غيرة شديدة، كما سنرى، رغم أنها لم تجتمع معها فى بيت الزوجية، لأن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد تزوجها بعد وفاة خديجة بزمان. «۲»

و نستطيع أن نعرف: كم كان لأبى طالب «عليه السلام»، و لخديجة صلوات اللّه و سلامه عليهما من خدمات جلى فى سبيل هذا الدين من تسمية النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عام وفاتهما ب:

«عام الحزن». «۳»

الحب فى اللّه و البغض فى اللّه:

و من الواضح: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن ينطلق فى حبه لهما، و حزنه عليهما من مصلحته الشخصية، أو من عاطفة رحمية، و إنما هو يحب فى اللّه تعالى، و فى اللّه فقط. و يقدّر أى إنسان، و يحزن لفقده، و يرتبط به روحيا و عاطفيا، بمقدار ارتباط ذلك الانسان باللّه، و قربه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۴۶ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۳۲ البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۲۷ و التنبيه و الاشراف ص ۲۰۰.

(۲) البداية و النهاية لابن كثير ج ۳ ص ۱۲۷- ۱۲۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۳۳- ۱۳۵ صحيح البخارى ج ۲ ص ۲۰۲ و كتاب عائشة للعسكرى ص ۴۶ فما بعدها. و قد ذكرنا بعض المصادر لذلك فى ما يأتى فى فصل: حتى بيعة العقبة، حين الكلام حول جمال عائشة و حظوتها.

(۳) سيرة مغلطاى ص ۲۶ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۱ و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۵۶ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۳۹ ط دار المعرفة و اسنى المطالب ص ۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۳

منه، و تفانيه فى سبيله، و فى سبيل دينه و رسالته.

أى أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يتأثر على ابى طالب و خديجة؛ لأن هذه زوجته و ذاك عمه. و إلا فقد كان أبو لهب عمه أيضا.

و إنما لما لمسه فيهما من قوة إيمان، و صلابة فى الدين، و تضحيات و تفان فى سبيل اللّه، و العقيدة. و فى سبيل المستضعفين فى الارض و لما خسرته الامة فيهما، من جهاد و اخلاص قلّ نظيره فى تلك الظروف الصعبة و المصيرية.

و قد المح النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الى ذلك حينما جعل موت ابى طالب و خديجة مصيبة للأمة بأسرها، كما هو صريح قوله فى هذه المناسبة:

«.. اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان، لا أدرى بأيهما أنا أشدّ جزعا» «۱».

نعم، و ذلك هو الأصل الاسلامى الأصيل، الذى قرره اللّه تعالى بقوله: «لا تجد قوما يؤمنون باللّه و اليوم الآخر، يوادّون من حادّ اللّه و رسوله، و لو كانوا آباءهم أو ابناءهم، أو إخوانهم أو عشيرتهم الخ «۲»» و هل ثمة محادّة للّه و لرسوله أعظم من الشرك، الذى عبر اللّه عنه بقوله:

«إن الشرك لظلم عظيم» و «إن اللّه لا يغفر أن يشرك به، و يغفر ما دون ذلك»؟!

و الآيات و الروايات التى تؤكد على الحب فى اللّه و البغض فى اللّه كثيرة تفوق حد الحصر فى عجالة كهذه.

و على هذا الأساس قال اللّه تعالى لنوح عن ولده: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۳۵ ط صادر.

(۲) المجادلة الآية ۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۴

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ. «۱»

و قال تعالى حكاية لقول ابراهيم (ع): فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى «۲»

و على هذا الأساس أيضا كان سلمان الفارسى من أهل البيت.

قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: سلمان منا أهل البيت «۳»

و قال أبو فراس:

كانت مودة سلمان لهم رحماو لم تكن بين نوح و ابنه رحم

(۱) سورة هود الآية ۴۶.

(۲) سورة ابراهيم الآية ۳۶.

(۳) مصادر هذا الحديث مذكورة فى كتابنا سلمان الفارسى فى مواجهة التحدى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۵

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۷

إيمان أبى طالب «ره»:

و لا بدّ لنا هنا من الحديث بايجاز عن موضوع ما زال بين أخذ وردّ بين المسلمين. ألا و هو ايمان أبى طالب رحمه اللّه فمن مؤيد، و من منكر

فأما أهل البيت و شيعتهم، فانهم مجمعون على اسلامه «رحمه اللّه»، «۱» بل فى بعض الاحاديث: أنه من الاوصياء «۲». و أن نوره يطغى فى يوم القيامة على كل نور، ما عدا نور النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و الأئمة، و فاطمة «عليها السلام» «۳»

و نحن و إن كنا لم نستطع أن نجزم بصحة هذه الأحاديث، إلا أن إيمانه باللّه، و تصديقه برسالته «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و انقياده

(۱) روضة الواعظين ص ۱۳۸، و أوائل المقالات ص ۱۳ و الطرائف لابن طاووس ص ۲۹۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۱۶۵، و البحار ج ۳۵ ص ۱۳۸ و الغدير ج ۷ ص ۳۸۴ عنهم، و عن: التبيان ج ۲ ص ۳۹۸، و كتاب الحجة لابن معد ص ۱۳، و مجمع البيان ج ۲ ص ۲۸۷.

(۲) الغدير ص ۳۸۹ ج ۷.

(۳) الغدير ج ۷ ص ۳۸۷ عن مصادر كثيرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۸

للأوامر و الزواجر الالهية، كالنار على المنار، و كالشمس فى رابعة النهار.

و الأحاديث الدالة على ايمانه، و الواردة عن أهل بيت العصمة كثيرة، و قد جمعها العلماء فى كتب مفردة «۱».

و واضح: أن أهل البيت أدرى بما فيه، من كل أحد. يقول ابن الأثير: «و ما أسلم من اعمام النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» غير حمزة و العباس، و أبى طالب عند أهل البيت» «۲».

و عدا عن ذلك، فان الأدلة الدالة على إيمانه كثيرة، و قد ألف فى اثبات ايمانه الكثير من الكتب من السنة و الشيعة على حد سواء. و قد انهاها بعضهم إلى ثلاثين كتابا، و منها كتاب: أبو طالب مؤمن قريش للاستاذ عبد اللّه الخنيزى، الذى كاد ان يدفع حياته ثمنا لهذا الكتاب؛ حيث حاول الوهابيون فى السعودية تنفيذ حكم الاعدام فيه، بسبب كتابه هذا؛ فتداركه اللّه برحمته، و تخلص من شرّهم.

هذا عدا عن البحوث المستفيضة المبثوثة فى ثنايا الكتب و الموسوعات، و نخص بالذكر هنا ما جاء فى الغدير للعلامة الامينى قده ج ۷ و ۸.

و قد نقل العلامة الامينى عن جماعة من أهل السنة: أنهم ذهبوا الى ذلك أيضا، و كتبوا الكتب و البحوث فى اثبات ذلك، كالبرزنجى فى أسنى المطالب ص ۶- ۱۰ و الاجهورى، و الاسكافى، و أبى القاسم البلخى، و ابن وحشى فى شرحه لكتاب: شهاب الاخبار، و التلمسانى فى حاشية الشفاء، و الشعرانى، و سبط ابن الجوزى، و القرطبى، و السبكى، و أبى طاهر، و السيوطى، و غيرهم.

---

(۱) و كان من الكتب الأخيرة كتاب: منية الراغب فى ايمان ابى طالب للشيخ الطبسى.

(۲) البحار ج ۳ ص ۱۳۹ و الغدير ج ۷ ص ۳۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۲۹

بل لقد حكم عدد منهم- كابن وحشى و الاجهورى، و التلمسانى بأن من أبغض أبا طالب فقد كفر، أو من يذكره بمكروه فهو كافر «۱».

بعض الادلة على ايمان أبى طالب:

و قد استدل من قال بإسلامه بعدة أدلة، مثل:

أ- ما تقدم مما روى عن الائمة «عليهم السلام»، و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مما يدل على ايمانه، و هم أعرف بأمر كهذا من كل أحد.

ب- ما تقدم من مناصرته للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و تحمله تلك المشاق و الصعاب العظيمة، و تضحيته بمكانته فى قومه، و حتى بولده، و توطينه نفسه على خوض حرب طاحنة تأكل الاخضر و اليابس. و لو كان كافرا؛ فلماذا يتحمل كل ذلك؟! و لماذا لم نسمع عنه و لو كلمة عتاب أو تذمر مما جرّه عليه محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؟!.

و احتمال: أنه كان يطمع بمقام أعظم.

غير وجيه، فانه كان حينئذ قد بلغ من الكبر عتيا، حيث إنه قد توفى عن بضع و ثمانين سنة، و هو يرى: موقف قومه منه، و من النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كيف هو، و لا يأمل أن يعيش إلى حيث يبلغ مثل ذلك المقام، كما أنه لا يجد الفرصة كبيرة لنيل ابن أخيه لذلك المقام بعده.

ج- و قد استدل سبط ابن الجوزى على ايمانه بأنه- كما نقل- لو كان أبو علىّ كافرا لكان شنع عليه معاوية و حزبه، و الزبيريون و

أعوانهم، و سائر أعدائه «عليه السلام»، مع أنه «عليه السلام» كان يذمهم و يزرى عليهم بكفر الآباء و الامهات، و رذالة النسب «۲».

---

(۱) راجع: الغدير ج ۷ ص ۳۸۲ و ۳۸۳ و غير ذلك.

(۲) راجع: أبو طالب مؤمن قريش ۲۷۲/ ۲۷۳ ط سنة ۱۳۹۸ ه. عن تذكرة الخواص.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۰

د- تصريحاته و أقواله الكثيرة جدا؛ فانها كلها ناطقة بايمانه و اسلامه. و يكفى أن نذكر نموذجا من أشعاره التى عبر عنها ابن أبى الحديد المعتزلى بقوله: إن كل هذه الاشعار قد جاءت مجيىء التواتر، من حيث مجموعها «۱».

و نحن نذكر هنا اثنى عشر شاهدا من شعره، على عدد الائمة المعصومين من ولده عليه و عليهم السلام، تبركا و تيمنا، و الشواهد هى:

۱- ألم تعلموا: أنا وجدنا محمدانبيا كموسى خط فى أول الكتب

۲- نبى أتاه الوحى من عند ربهو من قال: لا، يقرع بها سنّ نادم

۳- يا شاهد اللّه على فاشهدإنى على دين النبى أحمد

۴- أنت الرسول رسول اللّه نعلمهعليك نزّل من ذى العزة الكتب

۵- أنت النبى محمدقرم أغر مسود

۶- أو تؤمنوا بكتاب منزل عجبعلى نبى كموسى أو كذى النون

۷- و ظلم نبى جاء يدعو إلى الهدىو أمر أتى من عند ذى العرش قيم

۸- لقد أكرم اللّه النبى محمدافأكرم خلق اللّه فى الناس أحمد

۹- و خير بنى هاشم أحمدرسول الإله على فترة «۲»

۱۰- و اللّه لا أخذل النبى و لايخذله من بنى ذو حسب ۱۱- و قال رحمه اللّه يخاطب ملك الحبشة، و يدعوه الى الإسلام.

أتعلم ملك الحبش أن محمدانبيا كموسى و المسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذى أتيا بهفكل بأمر اللّه يهدى و يعصم

و انكم تتلونه فى كتابكمبصدق حديث لا حديث الترجم

---

(۱) شرح النهج ج ۱۴ ص ۷۸ و البحار ج ۳۵ ص ۱۶۵.

(۲) و قيل: ان قائل هذا البيت هو طالب بن أبى طالب. راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۷۸. إلا ان يقال إنه قاله على سبيل التمثّل بشعر أبيه «رحمه اللّه».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۱ فلا- تجعلوا للّه ندا فأسلموافان طريق الحق ليس بمظلم ۱۲- و قال مخاطبا ولده حمزة رحمه اللّه:

فصبرا أبا يعلى على دين أحمدو كن مظهراً للدين وفقت صابرا

و حط من أتى بالحق من عند ربهبصدق و عزم لا تكن حمز كافرا

فقد سرنى أن قلت: انك مؤمنفكن لرسول اللّه فى اللّه ناصرا

و باد قريشا فى الذى قد أتيتهجهارا، و قل: ما كان أحمد ساحرا و أشعار ابى طالب الناطقة بايمانه كثيرة، و قد اقتصرنا منها على هذا القدر؛ لنفسح المجال لذكر لمحة عن سائر ما قيل، و يقال فى هذا الموضوع.

ه- قال المعتزلى: «قلت: كان صديقنا على بن يحيى البطريق «رحمه اللّه» يقول: لو لا خاصة النبوة و سرها لما كان مثل أبى طالب، و

هو شيخ قريش، و رئيسها، و ذو شرفها، يمدح ابن أخيه محمدا و هو شاب قد ربى فى حجره. و هو يتيمه و مكفوله، و جار مجرى أولاده بمثل قوله:

و تلقوا ربيع الابطحين محمداعلى ربوة فى رأس عنقاء عيطل

و تأوى اليه هاشم إن هاشماعرانين كعب آخر بعد أول و مثل قوله:

و أبيض يستسقى الغمام بوجههثمال اليتامى عصمة للارامل

يطيف به الهلاك من آل هاشمفهم عنده فى نعمة و فواضل فان هذا الاسلوب من الشعر لا يمدح به التابع و الذنابى من الناس، و إنما هو من مديح الملوك و العظماء. فإذا تصورت: أنه شعر أبى طالب، ذاك الشيخ المبجل العظيم فى محمد «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و هو

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۲

شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه فى حجره غلاما، و على عاتقه طفلا، و بين يديه شابا. يأكل من زاده، و يأوى إلى داره، علمت موضع خاصية النبوة و سرّها، و أن أمره كان عظيما «۱».

كما أن قصيدته اللامية تلك التى يقول فيها: و ابيض يستسقى الخ.

و هى طويلة، و كان بنو هاشم يعلمونها أطفالهم «۲» فيها الكثير مما يدل على إيمانه العميق الصادق، و قد ذكرها ابن هشام و ابن كثير، و غيرهم.

و- لقد رأينا أبا طالب الذى يدعو ملك الحبشة إلى الاسلام، هو الذى دعا ولده جعفرا و أمره بأن يصل جناح ابن عمه فى الصلاة. «۳» و هو ايضا الذى دعا زوجته فاطمة بنت أسد إلى الاسلام «۴» و أمر حمزة بالثبات على هذا الدين، و أظهر سروره باسلامه، و كذلك الحال بالنسبة لولده أمير المؤمنين «عليه السلام». إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لكلامه و مواقفه فى المناسبات المختلفة.

ز- و قد صرح ابو طالب فى وصيته بأنه كان قد اتخذ سبيل التقية فى شأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و ان ما جاء به الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد قبله الجنان و انكره اللسان؛ مخافة الشنآن. و اوصى قريشا بقبول دعوة الرسول و متابعته على امره، ففى ذلك

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۳ و ماذا فى التاريخ ج ۳ ص ۱۹۶/ ۱۹۷ عنه.

(۲) مقاتل الطالبيين ص ۳۹۶.

(۳) راجع: الاوائل لابى هلال العسكرى ج ۱ ص ۱۵۴، و روضة الواعظين ص ۱۴۰ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۶۹ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۹ و أسنى المطالب ص ۱۷ و الإصابة ج ۴ ص ۱۱۶ و أسد الغابة ج ۱ ص ۲۸۷ و الغدير ج ۷ ص ۳۵۷.

(۴) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۳

الرشاد و السعادة «۱».

ح- ثم هناك ترحم النبى (ص) عليه، و استغفاره له باستمرار، و جزعه عليه عند موته «۲» و واضح: أنه لا يصح الترحم إلا على المسلم، و لأجل ذلك قال «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لسفانة بنت حاتم الطائى:

لو كان أبوك مسلما لترحّمنا عليه «۳».

ط- و كيف يحكمون لزيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، و لولده سعيد بن زيد، و لورقة بن نوفل، و قس بن ساعدة.

و لابى سفيان الذى ما زال كهفا للمنافقين، و الذى ستأتى لمحة عن تصريحاته و مواقفه فى أواخر غزوة أحد كيف يحكمون لهؤلاء

بالاسلام.

بل يروون عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أنه قال عن أمية بن أبى الصلت: انه كاد أن يسلم فى شعره «۴».

و يقول الشافعى عن صفوان بن أمية: «و كان كأنه لا يشك فى اسلامه» لأنه حين سمع يوم حنين قائلا يقول: غلبت هوازن، و قتل محمد، قال له: «بفيك الحجر، فو اللّه، لرب قريش أحب الى من رب هوازن.»

نعم، كيف يحكمون لكل هؤلاء بالاسلام، و هم لم يدركوا الاسلام، أو أدركوه و لم يسلموا، أو اظهروا الاسلام، و أبطنوا الكفر.

---

(۱) الروض الأنف ج ۲ ص ۱۷۱ و ثمرات الاوراق ص ۹۴ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۰/ ۳۰۱ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۵۲ و البحار ج ۳۵ ص ۱۰۷ و الغدير ج ۷ ص ۳۶۶ عن مصادر أخرى.

(۲) تذكرة الخواص ص ۸.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۲۰۵.

(۴) صحيح مسلم ج ۷ ص ۴۸- ۴۹، و الاغانى ط ساسى ج ۳ ص ۱۹۰. و التراتيب الادارية ج ۱ ص ۲۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۴

ثم يحكمون بالكفر على ابى طالب الذى ما فتىء يؤكد و يصرح عشرات المرات، فى أقواله و فى افعاله، و يعلن بالشهادة للّه بالوحدانية، و لنبيه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالنبوة و الرسالة؟!.

و ان حال ابى طالب مع الأمويين و أشياعهم مثل حال النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مع المشركين الذين حكى القرآن عنهم بقوله: وَ قالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً. أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً، أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ، وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ الخ .. «۱».

و الأمويون و أشياعهم يقولون: لن نقرّ بإيمان هذا الرجل و لو تضافرت على ذلك كل الأدلة و الشواهد، و حتى لو نص اللّه و رسوله عليه، فبئس الخلف من الأمويين و اشياعهم لبئس السلف من طواغيت الجاهلية و عتاتها.

ى- و بعد كل ما تقدم نقول:

إن اسلام أى شخص أو عدمه، إنما يستفاد من أمور اربعة:

۱- من مواقفه العملية، و مواقف ابى طالب، قد بلغت الغاية التى ما بعدها غاية فى الوضوح و الدلالة على اخلاصه و تفانيه فى الدفاع عن هذا الدين.

۲- من اقراراته اللسانية بالشهادتين، و يكفى أن نشير إلى ذلك القدر الكثير منها فى شعره فى المناسبات المختلفة.

۳- و إما من موقف ممثل الاسلام و رائد الحق النبى الاعظم «صلى

---

(۱) الإسراء: ۹۰- ۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۵

اللّه عليه و آله و سلم» منه. و الموقف الرضى أيضا ثابت منه «عليه السلام» تجاه أبى طالب على اكمل وجه.

۴- من إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، و عن حس، كاهل بيته، و من يعيشون معه. و قد قلنا: انهم مجمعون على ذلك.

بل إن نفس القائلين بكفره لما لم يستطيعوا إنكار مواقفه العملية، و لا الطعن بتصريحاته اللسانية، حاولوا: أن يشبهوا على العامة بكلام مبهم، لا معنى له؛ فقالوا: «إنه لم يكن منقادا «۱»»!!.

كل ذلك رجما بالغيب، و افتراء على الحق و الحقيقة، من أجل تصحيح ما رووه عن المغيرة بن شعبة و امثاله من أعداء آل أبى طالب كما سنشير إليه حين الكلام على الأدلة الواهية إن شاء اللّه تعالى.

و من أجل أن نوفى أبا طالب بعض حقه، نذكر بعض ما يدل على إيمانه- من مصادر غير الشيعة عموما- و نترك سائره، و هو يعد بالعشرات، لأن المقام لا يتسع لأكثر من أمثلة قليلة معدودة، و هى.

۱- قال العباس: يا رسول اللّه، ما ترجو لأبى طالب؟ قال: كل الخير أرجوه من ربى «۲».

۲- جاء ابو بكر بأبيه أبى قحافة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يقوده، و هو شيخ أعمى، يوم فتح مكة. فقال رسول اللّه: ألا تركت الشيخ فى بيته حتى نأتيه؟! قال: أردت أن يؤجره اللّه. لأنا كنت باسلام أبى طالب أشد فرحا منى باسلام أبى، التمس بذلك قرة عينك الخ «۳».

---

(۱) راجع: سيرة دحلان ج ۱ ص ۴۴- ۴۷، و الاصابة ج ۴ ص ۱۱۶- ۱۱۹.

(۲) الاذكياء ص ۱۲۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۸، و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۷۹، و البحار ج ۳۵ ص ۱۵۱ و ۱۰۹.

(۳) مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۴ عن الطبرانى و البزار، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۳۴۴ عن المجمع، و الاصابة ج ۴ ص ۱۱۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۶

و العلامة الامينى فى الغدير، لا يوافق على أن يكون الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد قال لأبى بكر ذلك، و قد بحث ذلك بحثا جيدا، و نحن نوافقه فى ذلك أيضا. و ربما تكون هذه العبارة زيادة من بعض المتزلفين، كما عودونا فى امثال هذه المناسبات.

۳- قال المعتزلى: «روى باسأنيد كثيرة، بعضها عن العباس بن عبد المطلب، و بعضها عن أبى بكر بن أبى قحافة: أن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه «۱»».

و تقدم فى شعره تصريحات كثيرة بذلك أيضا.

۴- و لقد ترحم عليه و دعا له النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و استغفر له، حتى فى المدينة حينما استسقى لاهلها فجاءهم الغيث فذكر أبا طالب، و استغفر له على المنبر «۲» و لما مات ابو طالب تبع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» جنازته مع انهم يروون النهى عن المشى فى جنازة المشرك. كما أنهم يروون أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أمر عليا بأن يغسّله و يكفنه و يواريه «۳»، و انما لم يأمره بالصلاة عليه لأن صلاة

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۷۱، و راجع: الغدير ج ۷ ص ۳۶۹ عن البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۲۳، و سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۸۷ و الاصابة ج ۴ ص ۱۱۶، و عيون الاثر ج ۱ ص ۱۳۱، و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۷۱ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۳۷۲ و السيرة النبوية لدحلان بهامشها ج ۱ ص ۸۹، و اسنى المطالب ص ۲۰ و دلائل النبوة للبيهقى و تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۲۰ و كشف الغمة للشعرانى ج ۲ ص ۱۴۴.

(۲) راجع: عيون الانباء ص ۷۰۵.

(۳) راجع: فى كل ذلك تذكرة الخواص ص ۸ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۸۱، و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۴۷ و المصنف ج ۶ ص ۳۸، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۸۷، و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۳۵، و طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۷۸ و تاريخ بغداد للخطيب ج ۳ ص ۱۲۶، و ج ۱۳ ص ۱۹۶ و تاريخ ابن كثير ج ۳ ص ۱۲۵، و الطرائف لابن طاووس ص ۳۰۵ عن الحنبلى فى نهاية الطلب و البحار

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۷

الجنازة لم تكن فرضت بعد. و لاجل ذلك قالوا: إن خديجة لم يصل عليها النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حينما توفيت، مع انها سيدة نساء العالمين.

۵- لقد رثاه ولده على «عليه السلام» حينما توفى بقوله:

أبا طالب عصمة المستجيرو غيث المحول و نور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظفصلى عليك ولى النعم

و لقّاك ربك رضوانهفقد كنت للطهر من خير عم «۱» ۶- و كتب أمير المؤمنين «عليه السلام» رسالة مطولة لمعاوية جاء فيها: «ليس أمية كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبى طالب، و لا المهاجر كالطليق، و لا الصريح كاللصيق» «۲».

فإذا كان أبو طالب كافرا و أبو سفيان مسلما، فكيف يفضل الكافر على المسلم ثم لا يردّ عليه ذلك معاوية بن أبى سفيان؟.

و لكن الحقيقة هى عكس ذلك تماما؛ فان أبا سفيان هو الذى

ج ۳۵ ص ۱۵۱ و التعظيم و المنة ص ۷ و لسان الميزان ج ۱ ص ۴۱. و الاصابة ج ۴ ص ۱۱۶، و الغدير ج ۷ ص ۳۷۲ و ۳۷۴/ ۳۷۵ عمن ذكر، و عن: شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ۱۳۶، و اعلام النبوة للماوردى ص ۷۷، و بدايع الصنايع ج ۱ ص ۲۸۳، و عمدة القارى ج ۳ ص ۴۳۵، و اسنى المطالب ص ۱۵ و ۲۱ و ۳۵ و طلبة الطالب ص ۴۳. و دلائل النبوة للبيهقى و البرزنجى، و ابن خزيمة، و ابى داود، و ابن عساكر.

(۱) تذكرة الخواص ص ۹.

(۲) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ۴۷۱ و الفتوح لابن أعثم ج ۳ ص ۲۶۰، و نهج البلاغة الذى بهامشه شرح الشيخ محمد عبده ج ۳ ص ۱۸ الكتاب رقم ۱۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۵ ص ۱۱۷ و الامامة و السياسة ج ۱ ص ۱۱۸، و الغدير ج ۳ ص ۲۵۴ عنهم، و عن: ربيع الابرار للزمخشرى باب ۶۶، و عن مروج الذهب ج ۲ ص ۶۲. و راجع أيضا: الفتوح لابن اعثم ج ۳ ص ۲۶۰ و مناقب الخوارزمى الحنفى ص ۱۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۸

قال: «إنه لا يدرى ما جنة و لا نار» كما سيأتى فى أواخر غزوة أحد.

و يلاحظ هنا أيضا: أن أمير المؤمنين يشير فى كلامه الآنف الذكر إلى عدم صفاء نسب معاوية، و لهذا البحث مجال آخر.

۷- و حمل محمد بن الحنفية يوم الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبى طالب، فلما عرفت الذى أراد كففت عنه. «۱»

۸- و ورد عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أيضا قوله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى، و أمى و عمى أبى طالب، و أخ لى كان فى الجاهلية «۲».

۹- و عنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: إن اللّه عز و جل قال له على لسان جبرئيل: حرمت النار على صلب أنزلك، و بطن حملك، و حجر كفلك. أما الصلب فعبد اللّه، و أما البطن فآمنة، و أما الحجر فعمه، يعنى أبا طالب، و فاطمة بنت أسد. و بمعناه غيره مع اختلاف يسير «۳».

۱۰- و سئل الإمام السجاد «عليه السلام» عن إيمان أبى طالب، فقال: واعجبا، إن اللّه نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر؛ و قد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الاسلام، و لم تزل تحت أبى

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۵ ص ۶۷ ط ليدن.

(۲) ذخائر العقبى ص ۷ عن تمام الرازى فى فوائده، و الدرج المنيفة للسيوطى ص ۸ و مسالك الحنفا ص ۱۴ عن ابى نعيم و غيره و ذكر أن الحاكم صححه، و تفسير القمى ج ۱ ص ۳۸۰ و تفسير البرهان ج ۲ ص ۳۵۸ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۳۵ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۳۲.

(۳) أصول الكافى ج ۱ ص ۳۷۱ و البحار ج ۳۵ ص ۱۰۹ و التعظيم و المنة للسيوطى ص ۲۷ و راجع: روضة الواعظين ص ۱۳۹ و شرح النهج ج ۱۴ ص ۶۷ و الغدير ج ۷ ص ۳۷۸ عنهم، و عن: كتاب الحجة لابن معد ص ۸، و تفسير أبى الفتوح ج ۴ ص ۲۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۳۹

طالب حتى مات «۱».

و نزول آية النهى عن الامساك بعصم الكوافر فى المدينة، لا يضر و لا يوجب بطلان هذه الرواية، لا مكان أن يكون النهى عن ذلك بالقول على لسانه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبل نزول القرآن. و عدم خضوع بعض المسلمين لذلك حينئذ ربما كان لظروف معينة فرضت عليهم ذلك.

۱۱- و أخيرا، فقد كتب بعضهم يسأل الإمام على بن موسى الرضا «عليه السلام» عن اسلام أبى طالب، فانه قد شك فى ذلك، فكتب «عليه السلام» إليه: وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى، وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ «۲» الآية. و بعدها: إنك إن لم تقر بإيمان أبى طالب كان مصيرك إلى النار «۳».

۱۱- و سيأتى فى غزوة بدر: ان الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم») لم يقبل من شهيد بدر عبيدة بن الحارث أن يعرّض بعمه أبى طالب، و لو بمثل أن يقول: إنى أولى بما قال منه:

كذبتم و بيت اللّه يبزى محمدو لمّا نطاعن دونه و نناضل

و نسلمه حتى نصرّع دونهو نذهل عن أبنائنا و الحلائل فإذا كان النبى يغضب و لو لمثل هذا التعريض، فهل تراه سوف يكون مسرورا بمن يحكم على عمه بالشرك، و يجعله فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه؟ إلى آخر ما هنالك؟!.

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۸، و الغدير ج ۷ ص ۳۸۱ و ۳۸۹ عنه و عن:

كتاب الحجة ص ۲۴، و الدرجات الرفيعة، و ضياء العالمين، و ادعى تواتر هذا الحديث عندنا.

(۲) النساء الاية/ ۱۱۵.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۸ و الغدير ج ۷ ص ۳۸۱ و ۳۹۴ عن الكراجكى ص ۸۰، و كتاب الحجة لابن معد ص ۱۶، و الدرجات الرفيعة و البحار و ضياء العالمين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۰

و حسبنا ما ذكرناه من الامثلة الناطقة باسلام أبى طالب، و من أراد التوسع فعليه بالكتب المعدة لذلك.

الأدلة الواهية.

اشارة

و قد استدل القائلون بكفر أبى طالب- و العياذ باللّه- بروايات و أدلة واهية، و نحن نشير هنا إلى عمدة ما اعتمدوا عليه فى ذلك، و هى:

۱- حديث ابن الضحاح:

عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و قد ذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة، فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه. و حسب نص آخر: ان العباس قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ما أغنيت عن عمك، فواللّه، كان يحوطك و يغضب لك، قال: هو فى ضحضاح من نار، و لو لا أنا لكان فى الدرك الاسفل من النار «۱».

و نقول:

أ- لقد ناقش كل من الامينى و الخنيزى «۲» جميع أسانيد هذه الرواية، و بينا و هنها و ضعفها، و تناقض نصوصها العجيب. و نحن نحيل القارىء الذى يرغب فى التوسع إلى ما ذكره هذان العالمان حول هذا

---

(۱) صحيح البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۲ ص ۲۰۹، و ج ۴ ص ۵۴، و المصنف ج ۶ ص ۴۱، و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۲۹ و ۳۰.

و صحيح مسلم، كتاب الايمان، و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۷۹، و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۰۶ و ۲۰۷، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۲۵، الغدير ج ۸ ص ۲۳ عن بعضهم، و عن عيون الاثر ج ۱ ص ۱۳۲، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۶.

(۲) راجع: الغدير ج ۸ ص ۲۳/ ۲۴ و أبو طالب مؤمن قريش.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۱

الموضوع.

ب- إنه إذا كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد نفع أبا طالب، و أخرجه من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؛ فلماذا لا يتمم معروفه، و يخرجه من هذا الضحضاح أيضا؟!.

و ايضا هل تكون الشفاعة فى الدنيا؟!.

ج- لقد رووا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» طلب منه حين وفاته: أن يقول كلمة لا إله إلا اللّه، محمد رسول اللّه؛ ليستحل له بها الشفاعة يوم القيامة، فلم يعطه إياها. فهذا يدل على أنه قد أناط «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مطلق الشفاعة بكلمة لا إله إلا اللّه «۱». فلماذا استحل هذه الشفاعة، مع أنه لم يعطه الكلمة التى توجب حليتها؟!.

ثم أ و ليس يروون: أن الشفاعة لا تحل لمشرك؟ فلماذا حلّت لهذا المشرك بالذات، بحيث أخرجته من الدرك الاسفل إلى الضحضاح؟ «۲».

د- قال المعتزلى، نقلا عن الامامية و الزيدية: «قالوا: و أما حديث الضحضاح؛ فانما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، و هو المغيرة بن شعبة، و بغضه لبنى هاشم، و على الخصوص لعلى «عليه السلام» مشهور معلوم، و قصته و فسقه غير خاف» «۳».

و لكننا نجدهم يروونه عن غير المغيرة أيضا، كما فى البخارى

---

(۱) الترغيب و الترهيب ج ۴ ص ۴۳۳ عن أحمد بسندين صحيحين، و عن البزار، و الطبرى باسانيد أحدها جيد و ابن حبان فى صحيحه و راجع: الغدير ج ۲/ ۲۵.

(۲) مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۳۳۶، و تلخيصه للذهبى و صححاه و المواهب اللدنية ج ۱ ص ۷۱ و الغدير ج ۸ ص ۲۴ عنهما و عن كنز العمال ج ۷ ص ۱۲۸، و شرح المواهب للزرقانى ج ۱ ص ۲۹۱ و كشف الغمة للشعرانى ج ۲ ص ۱۲۴، و تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۲۰.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۷۰ و البحار ج ۳۵ ص ۱۱۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۲

و غيره، فلعل رواية غير المغيرة قد حدثت فى وقت متأخر، فان من غير المعقول أن يورد الشيعة على غيرهم بذلك إن لم يكن له واقع .. و قد سكت المعتزلى على ردّهم هذا، و كأنه يحتمل ما احتملناه و لو وسعه الرد لفعل.

ه- و سئل الإمام الباقر «عليه السلام» عما يقوله الناس: إن أبا طالب فى ضحضاح من نار؛ فقال: لو وضع إيمان أبى طالب فى كفة ميزان، و ايمان هذا الخلق فى كفة أخرى لرجح ايمانه. ثم قال: ألم تعلموا: أن أمير المؤمنين عليا «عليه السلام» كان يأمر أن يحج عن عبد اللّه، و ابنه، و أبى طالب فى حياته، ثم اوصى فى وصيته بالحج عنهم «۱».

و- سئل على «عليه السلام» فى رحبة الكوفة عن كون ابيه معذبا فى النار أو لا، فقال للسائل: مه، فضّ اللّه فاك، و الذى بعث محمدا بالحق نبيا، لو شفع ابى فى كل مذنب على وجه الارض لشفعه اللّه فيهم.

أبى معذب فى النار، و ابنه قسيم الجنة و النار؟ «۲»

ز- يلاحظ: وجود التناقض فى روايات الضحضاح، فواحدة تقول: لعله تنفعه شفاعتى؛ فيجعل فى ضحضاح يوم القيامة. و اخرى تجزم بأنه قد جعل فى الضحضاح بالفعل. فراجع

۲- إرث عقيل لابى طالب:

و استدلوا: بأن ولده عقيل هو الذى ورثه، و لم يرثه على و جعفر،

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۸، و الدرجات الرفيعة ص ۴۹، و البحار ج ۳۵ ص ۱۱۲ و الغدير ج ۸ ص ۳۸۰- ۳۹۰ عنهما و عن كتاب الحجة للسيد ص ۱۸ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق، و الفتونى فى ضياء العالمين.

(۲) البحار ج ۳۵ ص ۱۱۰ و كنز الفوائد ص ۸۰ ط حجرية.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۳

لأنه كان مشركا و هما مسلمان. فهما من ملتين مختلفتين، و اهل ملتين لا يتوارثان «۱».

و لكن ذلك لا يصح أيضا.

فأولا: من أين ثبت لهؤلاء: أن عليا و جعفرا لم يرثاه.

و ثانيا: إن قوله أهل ملتين لا يتوارثان.

نقول بموجبه؛ لأن التوارث تفاعل، و لا تفاعل عندنا فى ميراثهما، و اللفظ يستدعى الطرفين، كالتضارب، فانه لا يكون إلا من اثنين، فان الصحيح هو مذهب أهل البيت من أن المسلم يرث الكافر، و لا يرث الكافر المسلم «۲».

و ثالثا: لقد روى عن عمر قوله: «أهل الشرك نرثهم و لا يرثونا «۳»» و قد حكم كثير من العلماء بأن ميراث المرتد للمسلمين لا يصح؛ و قالوا:

نرثهم و لا يرثونا «۴».

و رابعا: إنهم يقولون: ان الميراث فى وقت موت أبى طالب لم يكن قد فرض بعد، و إنما كان الامر بالوصية؛ فلعل أبا طالب قد أوصى لعقيل محبة له «۵».

۳- و هم ينهون عنه، و ينأون عنه:

لقد ذكروا: أن آية: و هم ينهون عنه، و ينأون عنه، قد نزلت فى أبى

---

(۱) المصنف ج ۶ ص ۱۵، و ج ۱۰ ص ۳۴۴، و فى هامشه أى هامش السادس عن البخارى ج ۳ ص ۲۹۳، و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۷۹.

(۲) راجع شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۹.

(۳) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۳۳۹ و ج ۶ ص ۱۰۶.

(۴) المصنف لعبد الرزاق ج ۶ ص ۱۰۶ (۱۰۷ و ۱۰۵ و ج ۱۰ ص ۳۳۸ حتى ص ۳۴۱.

(۵) راجع: أسنى المطالب ص ۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۴

طالب، الذى كان ينهى الناس عن أذى الرسول، و ينأى عن أن يدخل فى الاسلام «۱».

و نقول:

أ- لقد تحدث الأستاذ الخنيزى حول أسانيد هذه الرواية بما فيه الكفاية «۲» فليراجعه من أراد.

ب- إن هذه الآية لا تنطبق على أبى طالب بأى وجه؛ حيث إن اللّه تعالى يقول قبلها: وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها، حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ الخ .. «۳».

فضمائر الجمع، ككلمة: (هم)، و فاعل (ينهون) و (ينأون) كلها ترجع إلى من ذكرهم اللّه فى تلك الآية. و هم المشركون، الذين إن يروا كل آية لا- يؤمنوا بها، و يجادلون الرسول فى هذه الآيات، و يصفونها من عنادهم بأنها ليست سوى اساطير الأولين. و لا يقف عنادهم عند هذا و حسب، بل يتجاوزه إلى أنهم: ينهون الناس عن الاستماع إلى النبى، كما أنهم هم أنفسهم يبتعدون عنه.

و هذه الصفات كلها لا تنطبق على أبى طالب، الذى لم نجد منه إلا التشجيع على اتباع النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و النصرة له باليد و اللسان. بل يطلب من غيره أن يدخل فى هذا الدين. و أن يتمسك به

---

(۱) الاصابة ج ۴ ص ۱۱۵، و تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۱۲۷، و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۷۸، و بهجة المحافل ج ۱ ص ۱۱۶ و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۲۶ و الغدير ج ۸ ص ۳ عنهم و عن: تفسير الخازن ج ۲ ص ۱۱، و تفسير ابن جزى ج ۲ ص ۶، و عن الطبرى و الكشاف. و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۲ ص ۳۴۰ و ۳۴۱.

(۲) أبو طالب مؤمن قريش ص ۳۰۵/ ۳۰۶.

(۳) الانعام/ ۲۵- ۲۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۵

و يصبر عليه، كما كان الحال بالنسبة لزوجته، و لحمزة، و جعفر، و على، و ملك الحبشة حسبما تقدم.

كما أن المفسرين قد فهموا من الآية عمومها لجميع الكفار، و أن معناها: ينهون عن استماع القرآن، و اتباع الرسول، و يتباعدون عنه.

و هذا هو المروى عن ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و أبى معاذ، و الضحاك، و ابن الحنفية، و السدى، و مجاهد، و الجبائى، و ابن جبير «۱».

ج- و يقول الأمينى: إن تلك الرواية تقول: إن آية الانعام: وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ إلخ .. قد نزلت حين وفاة أبى طالب «عليه السلام»، و تقول رواية أخرى: إن آية: إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ الخ .. قد نزلت حين وفاته أيضا، مع أن هذه الآية قد وردت فى سورة القصص التى نزلت قبل الانعام،- التى نزلت جملة واحدة- «۲» بخمس سور. و هذا يدل على أن سورة الأنعام قد نزلت بعد وفاة أبى طالب بمدة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۳ ۲۴۵ ۳ - و هم ينهون عنه، و ينأون عنه: ..... ص : ۲۴۳

إذن، فما معنى قولهم: إنها نزلت حين وفاته «عليه السلام»؟!.

د- انهم يقولون: ان سورة الانعام قد نزلت دفعة واحدة و كانت أسماء بنت يزيد ممسكة بزمام ناقته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۳» و ذلك

---

(۱) راجع: مجمع البيان ج ۷ ص ۳۵، و ۳۶، و تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۱۲۷ و الغدير ج ۸ ص ۳، و الدر المنثور ج ۳ ص ۸ و ۹ كلهم- كلا- أو بعضا عن القرطبى، و الطبرى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن أبى شيبة و ابن مردويه و عبد بن حميد، و القرطبى ج ۶ ص ۴۰۶.

(۲) الدر المنثور ج ۲ ص ۳، و فتح القدير ج ۳ ص ۹۱/ ۹۲، و تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۱۲۲ و الغدير ج ۸ ص ۵ عنهم و عن تفسير القرطبى ج ۶ ص ۳۸۲/ ۳۸۳ كلهم عن: ابى عبيد، و ابن المنذر، و الطبرانى، و ابن مردويه، و النحاس.

(۳) الدر المنثور ج ۳ ص ۲ عن الطبرانى، و ابن مردويه. و قد ذكر فى ص ۲ و ۳ نزولها جملة واحدة فى مكة أو باستثناء آية أو آيتين ليست الآية المذكورة واحدة منها فراجع ما رواه عن عشرات الحفاظ مثل البيهقى فى شعب الايمان، و الخطيب فى تاريخه، و ابى الشيخ، و ابن المنذر، و النحاس فى ناسخة، و عبد الرزاق، و الفريابى،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۶

انما كان بعد بيعة العقبة، التى كانت بعد وفاة ابى طالب بمدة طويلة.

۴- آية النهى عن الاستغفار للمشرك:

روى البخارى و مسلم، و غيرهما: عن ابن المسيب، عن ابيه، رواية تتلخص فى أن النبى طلب من أبى طالب حين وفاته أن يقول كلمة لا إله إلا اللّه ليحاج بها له عند اللّه. فقال له أبو جهل، و عبد اللّه بن أمية:

أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول يعرضها عليه، و يقولان له ذلك، حتى قال أبو طالب آخر كلمة: على ملة عبد المطلب، و أبى أن يقول: لا إله إلا اللّه.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: و اللّه لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل اللّه: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ، وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى، مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ. «۱» و انزل اللّه فى ابى طالب: إِنَّكَ لا- تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ «۲».

و لا نريد أن نناقش فى أسانيد هذه الرواية «۳»، المقطوعة، و لا نريد أن نفيض فى الدلائل و الشواهد على أن ابن المسيب فضلا عن غيره متهم

و عبد بن حميد، و إسحاق بن راهويه، و الكلبى، و أبى عبيد، و الطبرانى و ابن الضريس، و ابن مردويه، و السلفى فى الطيورات، و الاسماعيلى، و الحاكم و صححه، و راجع: الاتقان ج ۱ ص ۳۷ و راجع السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۶۰.

(۱) التوبة/ ۱۱۳.

(۲) القصص/ ۵۶ و الرواية فى البخارى ط سنة ۱۳۰۹ ج ۳ ص ۱۱۱، و غير ذلك.

(۳) راجع فى ذلك: أبو طالب مؤمن قريش ۳۱۳- ۳۴۰ و انساب الاشراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۲۵ و ۲۶. و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية ج ۲ ص ۳۴۲ و ۳۴۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۷

على على «عليه السلام»، كما نص عليه البعض «۱». و لكننا نشير إلى ما يلى:

أولا: إن آية النهى عن الاستغفار للمشرك قد وردت فى سورة التوبة، و لا ريب فى كونها من أواخر ما نزل عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى المدينة، بل لقد ادّعى البعض أنها آخر ما نزل «۲». و لا يعقل أن تكون هذه الآية قد بقيت أكثر من عشر سنوات منفردة، و القرآن ينزل، حتى نزلت سورة التوبة، فأضيفت إليها، لأن الآيات التى كانت تلحق بالسور انما تلحق بما نزل سابقا عليها، و كان ذلك فى الأكثر فى السور الطوال، التى كانت تنزل أجزاء متتابعة دون سائر السور التى كانت تنزل دفعة واحدة.

فكيف بقى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يستغفر لابى طالب طيلة هذه المدة، و يترحم عليه؟! مع أن ذلك من اظهر مصاديق المودّة للكافر، و قد نهى اللّه عن مودتهم فى آيات كثيرة، نزلت قبل سورة التوبة كما فى قوله تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ، أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ «۳».

و قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ «۴».

---

(۱) الغارات للثقفى ج ۲ ص ۵۶۹.

(۲) الغدير ج ۸ ص ۱۰ و أبو طالب مؤمن قريش ص ۳۴۱ عن: البخارى، و الكشاف، و البيضاوى، و تفسير ابن كثير و الإتقان، و ابن أبى شيبة و النسائى و ابن الضريس، و ابن المنذر، و النحاس، و أبى الشيخ، و ابن مردويه.

(۳) المجادلة/ ۲۲، و قد نزلت قبل التوبة بسبع سور كما فى الاتقان ج ۱ ص ۱۱ و فى تفسير ابن كثير ج ۴ ص ۳۲۹، و فتح القدير ج ۵ ص ۱۸۶ و الغدير ج ۸ ص ۱۰ عنهم و عن تفسير الآلوسى ج ۲۸/ ۳۷ و اخرجه ابن أبى حاتم، و الطبرانى و الحاكم و البيهقى و ابو نعيم: أنها نزلت فى بدر أو فى أحد.

(۴) النساء/ ۱۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۴۸

و قوله تعالى: الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ «۱».

و قوله تعالى: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ «۲» إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

ثانيا: قال تعالى: فى سورة المنافقين، التى نزلت فى غزوة بنى المصطلق، سنة ست على ما هو المشهور، و نزلت قبل سورة التوبة على كل حال: سَواءٌ عَلَيْهِمْ، أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ.

فإذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يعرف ان اللّه لن يغفر لهم، سواء استغفر لهم ام لا، فلماذا يتعب نفسه فى امر لا نتيجة له؟؛ فان ذلك امر لا يقرّه العقلاء، و لا يقدمون عليه.

ثالثا: إننا نجد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر و لا لفاسق عندى نعمة «۳»».

كما أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد ردّ هدية حكيم بن حزام؛ لأنه كان مشركا، قال عبيد اللّه: حسبت انه قال: إنا لا نقبل من المشركين شيئا، و لكن ان شئت اخذناها بالثمن «۴».

و ردّ أيضا هدية عامر بن الطفيل، لأنه لم يكن قد اسلم بعد. ورد

---

(۱) النساء/ ۱۳۹.

(۲) سورة آل عمران الآية ۲۸.

(۳) راجع ابو طالب مؤمن قريش للخنيزى.

(۴) مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۴۸۴ و تلخیصه للذهبی بهامش نفس الصفحة، و صححاه حیاة الصحابة ج ۲ ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و ۲۶۰ عن کنز العمال و عن مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۷۸ و کنز العمال ج ۶ ص ۵۷ و ۵۹ عن احمد و الطبرانی، و الحاکم و سعید بن منصور. و التراتیب الاداریة ج ۲ ص ۸۶ و یلاحظ هنا: انه «صلی اللّه علیه و آله» حین الهجرة لا یقبل ناقة أبی بکر إلا بالثمن.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۳،ص:۲۴۹

أیضا هدیة ملاعب الأسنة، و قال: لا أقبل هدیة مشرک «۱».

عن عیاض المجاشعی: انه اهدی إلی النبی هدیة فأبی قبولها، و قال: انی نهیت عن زبد المشرکین «۲».

و لم یکن ذلک منه «صلی اللّه علیه و آله و سلم» إلا لأنه یوجب احتراما و مودة من النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» له.

إلا ان الکشی ذکر روایة تقول: «ان رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله و سلم» لم یرد هدیة علی یهودی و لا نصرانی» «۳».

و هذا إن صح یشیر إلی الفرق بین هدیة الکتابی و هدیة المشرک فکان (ص) یرد هدیة الثانی دون الأول و ذلک یدل علی عدم صحة قوله لهم: إنه (ص) فی هدنة الحدیبیة استهدی أبا سفیان أدما «۴».

و قد یکون ذلک لأجل الفرق بین المشرک و الکتابی- لو صحت هذه الروایة- فکان «صلی اللّه علیه و آله و سلم» یقبل هدیة الثانی دون الأول.

و بعد ما تقدم، فإننا نعرف عدم صحة قولهم ان النبی قد استهدی من أبی سفیان أدما، و ذلک أیام هدنة الحدیبیة.

---

(۱) کنز العمال ج ۳ ص ۱۷۷ طبعة اولی عن ابن عساکر ط ثانیة ج ۶ ص ۵۷ عن الطبرانی و المصنف لعبد الرزاق ج ۱ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ و فی الهامش عن مغازی ابن عقبة و مجمع البیان المجلد الاول ص ۵۳۵.

(۲) کنز العمال ج ۶ ص ۵۷ و ۵۹ عن ابی داود و الترمذی و صححه و احمد و الطیالسی و البیهقی، و راجع ما عن عمران بن حصین فی الکنز نفس الجلد و الصفحة و المصنف لعبد الرزاق ج ۱۰ ص ۴۴۷ و فی الهامش عن ابی داود و احمد و عن الترمذی ج ۲ ص ۳۸۹. و راجع الوسائل ج ۱۲ ص ۲۱۶ عن الکافی و المعجم الصغیر ج ۱ ص ۹.

(۳) رجال الکشی ط جامعه طهران ص ۶۱۰ و البحار ج ۵۰ ص ۱۰۷ و الوسائل ج ۱۲ ص ۲۱۷.

(۴) راجع التراتیب الاداریة ج ۱ ص ۱۹۸ عن الاستیعاب.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۳،ص:۲۵۰

و رابعا: لقد روی بسند صحیح- کما یقول الأمینی- عن علی: أنه سمع رجلا یستغفر لأبویه، و هما مشرکان؛ فذکر علی «علیه السلام» ذلک للنبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» فنزلت الآیة المذکورة «۱».

و فی أخری: ان المسلمین قالوا: ألا نستغفر لآبائنا؟ فنزلت «۲».

و فی روایة: انها نزلت حینما استأذن «صلی اللّه علیه و آله و سلم» اللّه فی الاستغفار لأمه فلم یأذن له، و نزلت الآیة، فسأله أن یزور قبرها، فأذن له «۳».

و إن کنا نعتقد: أن الروایة الأخیرة بعیدة عن الصحة لاعتقادنا بأن أم النبی «صلی اللّه علیه و آله و سلم» کانت مؤمنة موحدة، کما أسلفناه فی بحث ایمان آبائه «صلی اللّه علیه و آله و سلم». و لکنها علی أی حال مناقضة لما تقدم فلعل الرواة طبقوها علی هذا المورد، اجتهادا عمدیا او سهویا منهم، و الصحیح هو النص المتقدم عن علی «علیه السلام». و إلا

---

(۱) الغدیر ج ۸ ص ۱۲، و غیره عن: الطیالسی، و ابن أبی شیبة، و أحمد، و الترمذی، و النسائی، و أبی یعلی، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم، و ابی الشیخ، و ابن مردویه، و الحاکم و صححه، و البیهقی فی شعب الایمان، و الضیاء فی المختارة، و

الاتقان، و اسباب النزول، و تفسير ابن كثير، و الكشاف، و اعيان الشيعة، و اسنى المطالب ص ۱۸، لدحلان و ابو طالب مؤمن قريش، و شيخ الابطح و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۳۰/ ۱۳۱.

(۲) مجمع البيان ج ۵ ص ۷۶ عن الحسن، و تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۳۹۳، و ابو طالب مؤمن قريش ص ۳۴۸، عنهما و عن الاعيان ج ۳۹ ص ۱۵۸ و ۱۵۹ عن ابن عباس و الحسن، و الكشاف ج ۲ ص ۲۴۶.

(۳) تفسير الطبرى ج ۱۱ ص ۳۱، و الدر المنثور ج ۳ ص ۲۸۳، و ارشاد السارى ج ۷ ص ۲۸۲ و ۱۵۸ عن مسلم فى صحيحه، و تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۳۹۴ و أحمد فى مسنده، و أبو داود فى سننه، و النسائى، و ابن ماجة، و الحاكم، و البيهقى، و ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و ابن مردويه و الكشاف ج ۲ ص ۴۹. و ابو طالب مؤمن قريش ص ۳۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۱

فلماذا نسى النبى الاستغفار لامه إلى آخر أيام حياته؟ هذا عدا عما تقدم.

و خامسا: إن آية لا تهدى من أحببت، يقال: إنها نزلت يوم احد، حينما كسرت رباعيته، و شج وجهه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فقال:

اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون، فانزل اللّه: إنك لا تهدى من أحببت إلخ «۱».

و قيل: إنها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل، الذى كان الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يرغب فى اسلامه، بل لقد ادّعى الاجماع على ذلك «۲».

سادسا: إذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يحب إيمان أبى طالب فاللّه يحب ذلك أيضا، لأن الرسول لا يحب إلا ما أحب اللّه.

و قولهم: كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يكره إيمان وحشى، ثم آمن، لا يصح؛ لأن هذا من نوع التضاد بين الرسول و المرسل، لو لم يتوافقا، و إذا توافقا، فكيف يمكن أن يكره اللّه و رسوله إيمان أحد «۳».

و سابعا: ان قوله تعالى: لا- تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ لا- يمنع من ايمان ابى طالب، فإن اللّه قد شاء الهداية لأبى طالب ايضا كما دلّت عليه النصوص.

و الآية انما تريد تعليم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: ان محبته لهداية شخص غير كافية. بل لا بد معها من مشيئة اللّه سبحانه.

و أخيرا، فان عبد المطلب لم يكن كافرا و لا مشركا حسبما قدمنا،

---

(۱) راجع التراتيب الإدارية ج ۱ ص ۱۹۸ عن الإستيعاب.

أبو طالب مؤمن قريش ص ۳۶۸ عن أعيان الشيعة ج ۳۹ ص ۲۵۹ و الحجة ص ۳۹. و لربما يأتى بعض مصادر ذلك فى وقعة أحد.

(۲) أبو طالب مؤمن قريش ص ۳۶۹ عن شيخ الابطح ص ۶۹.

(۳) راجع هامش أنساب الأشراف ج ۲ ص ۲۸ عن الدكتور زرزور فى مقدمته على تفسير الحاكم الجشمى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۲

بل كان مؤمنا على دين الحنيفية. و قد صرح المسعودى فى بعض كتبه بانه قد مات مسلما «۱». فقول ابى طالب: بل على ملة عبد المطلب لا- يدل على كفره؛ فلو كان قد قال ذلك حقا. فلا بد أن يكون قد قال ذلك تعمية على قريش، لمصالح يراها لا بد من ملاحظتها فى تلك الفترة.

الوجبة الأخيرة:

كـان مـا تقـدم هو عمـدة ما اسـتدل به القائلون بكفر ابى طالب، و العياذ باللّه، و قـد رأينا: أنه لا يسـتطيع أن يثبت أمام النقـد الواعى و الـدقيق. و قـد بقيت بعض الروايـات، الـتى يمكن الاسـتدلال بهـا على ذلـك. و ليس فيهـا أيضـا مـا ينفع أو يجـدى و نحن نشـير إليها باختصار شديد؛ فنقول: إنهم قد رووا أيضا:

۱- أن الرسول قـال لاـبى بكر حول مـا ينجى من الوسوسـة: «ينجيكم من ذلـك: أن تقولوا مثل الـذى أمرت به عمى عنـد الموت؛ فلم يفعل، يعنى شهادة أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه «۲»».

و فى رواية عن عمر: إن كلمة التقوى التى ألاص عليها نبى اللّه عمه أبا طالب عند الموت: شهادة إلخ «۳».

و نقول:

أ- ان من الواضـح: ان الـذين يسألونه عما ينجى من الوسوسـة كانوا يقولون تلك الكلمة، و يشـهدون الشـهادتين، و لكنهم كانوا- مع ذلك-

---

(۱) الروض الانف ج ۲ ص ۱۷۰/ ۱۷۱.

(۲) حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۴۰/ ۵۴۱ و كنز العمـال ج ۱ ص ۲۵۹- ۲۶۰- ۲۶۱ عن أبى يعلى و البوصـيرى فى زوائده، و عن طبقات ابن سعد ج ۲ ص ۳۱۲.

(۳) مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۵، و كنز العمـال ج ۱ ص ۲۶۲ و ۶۳ عن أبى يعلى، و ابن خزيمـة، و ابن حبـان و البيهقى و غيرهم كثير جدا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۳

مبتلين بالوسوسة فكيف يأمرهم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بقولها للنجاة من ذلك؟!.

إلا ان يكون المراد: كثرة التلفظ بها و تكرارها.

و لكن ربما يقال: إن ارادة هذا المعنى بعيد عن مساق الرواية.

ب- إن نفس هـذه الروايـة مرويـة بسـند صـحيح، و تفيـد: أن الخلاـف كـان بين سـعد و عثمـان، و أن الـذى حكم بينهما هو عمر بن الخطاب، و ذكر: دعوة ذى النون: «لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين».

و لم يذكر أبا طالب «۱».

۲- لما مـدّ أبو قحافـة يده ليسـلم بكى أبو بكر، فقال له (ص): ما يبكيك؟ قال: لأن تكون يد عمك مكان يده، و يسـلم، و يقر اللّه به عينك أحب إلى من أن يكون «۲».

و نقول:

أ- قد تقدمت هذه الرواية بنحو يدل على ايمان أبى طالب عن عدد من المصادر، فلا نعيد.

ب- قد جاء أنه لما اسـلم أبو قحافة لم يعلم أبو بكر باسـلامه، حتى بشـره النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سلم» بذلك «۳» فكيف يكون أبو بكر قد قال ذلك حين مدّ يده؟!.

---

(۱) مجمع الزوائد ج ۷ ص ۶۸ عن أحمد و رجاله رجال الصحيح، باستثناء ابراهيم بن محمد بن سعد و هو ثقة، و حياة الصحابة عنه و عن الترمذى و عن الكنز ج ۱ ص ۲۹۸ عن أبى يعلى و الطبرانى- و صحح.

(۲) الاصابة ج ۴ ص ۱۱۶ و الحاكم و صـححه على شـرط الشـيخين، و عن عمر بن شـبة و ابى يعلى، و أبى بشر سمّويه فى فوائده، و نصب الراية ج ۶ ص ۲۸۱/ ۲۸۲ عن عـدد من المصادر فى هامشه، و المصـنف ج ۶ ص ۳۹، و فى هامشه عن ابن أبى شـيبة ج ۴ ص

۱۴۲ و ۹۵ و أبى داود ۴۵۸ و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۳۱.

(۳) المحاسن و المساوىء ج ۱ ص ۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۴

۳- لما توفى ابو طالب، جاء على إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و قال له: إن عمك الشيخ الضال قد توفى.

و فى رواية أن عليا رفض ما أمره به النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من تغسيله، و دفنه، فأمر أن يتولى ذلك غيره «۱».

و نقول:

أ- قد روى أحمد فى مسنده هذه الرواية، و فيها: إن عمك الشيخ قد توفى، من دون ذكر كلمة «الضال» «۲».

ب- و لو لم يكن مؤمنا فلماذا يأمر بتغسيله؟.

ثم كيف يأمر عليا بتغسيله و لا يأمر عقيلا، أو طالبا اللذين كانا مشركين؟. إلا أن يقال: إنهما لم يكونا على استعداد لإطاعته.

ج- كيف يتناسب هذا مع كونه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد حزن، و ترحم عليه، و دعا له، و عارض جنازته، و مشى فيها، مع أنهم يروون: أنه لا يجوز المشى فى جنازة المشرك؟! «۳».

د- هل صحيح: أن عليا «عليه السلام» رفض تنفيذ ما أمره به النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حتى احتاج لأن يأمر بأن يتولى ذلك غيره؟ فهل كان على يملك نفسية متمردة كهذه النفسية؟ حاشاه!

ه- ماذا يصنع هؤلاء بما ورد عن كثير من المصادر من أن عليا عليه السلام هو نفسه قد تولى تغسيله و دفنه، و اغتسل

---

(۱) المصنف ج ۶ ص ۳۹ و راجع كنز العمال ج ۱۷ ص ۳۲ و ۳۳ و نصب الراية ج ۲ ص ۲۸۱ و ۲۸۲ و فى هامشه عن عدد من المصادر.

(۲) مسند الامام أحمد ج ۱ ص ۱۲۹/ ۱۳۰ و انساب الأشراف بتحقيق المحمودى ج ۲ ص ۲۴ و فيه أنه أمره هو فواراه.

(۳) قد تقدمت بعض مصادر ذلك فى أوائل هذا البحث، و عن عدم جواز المشى فى جنازة المشرك، راجع كتب الحديث كسنن البيهقى و غيره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۵

بعد تغسيله إياه غسل المس الواجب من مس كل ميت مسلم «۱».

خطابيات و أرجاز المدينى:

و بعد ما تقدم، إذا كان أبو طالب مسلما مصدقا؛ فلا يصغى لأرجاز و خطابيات أمثال المدينى، غير الموافقة للعقل و الدين. و لا يفيدهم تملقهم البارد، و لا تظاهرهم بالصلاح، حتى ليقول المدينى: «وددت أن ابا طالب كان اسلم، فسرّ به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أنى كافر «۲»»!!.

سرّية إيمان أبى طالب:

إننا إذا تتبعنا سير الدعوة، و مواقف أبى طالب فاننا نجد: أنه كان بادىء ذى بدء يكتم إيمانه، تماما كمؤمن آل فرعون، و الظاهر أنه قد استمر يظهر ذلك تارة، و يخفيه أخرى إلى أن حصر الهاشميون فى الشعب، فصار يكثر من اظهار ذلك.

و قد ورد عن الامام الصادق «عليه السلام» قوله: «إن مثل أبى طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الايمان و اظهروا الشرك، فآتاهم اللّه اجرهم مرتين «۳»».

و عن الشعبى، يرفعه عن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: كان و اللّه أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف مؤمنا مسلما يكتم إيمانه؛

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۱.

(۲) عيون الاخبار ج ۱ ص ۲۶۳ لابن قتيبة.

(۳) أمالى الصدوق ص ۵۵۱، و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۷۰، و أصول الكافى ج ۱ ص ۳۷۳، و روضة الواعظين ص ۱۳۹، و البحار ج ۳۵ ص ۱۱۱ و الغدير ج ۷ ص ۳۸۰- ۳۹۰ عنهم و عن: الحجة لابن معد ص ۱۷ و ۱۱۵ و تفسير أبى الفتوح ج ۴ ص ۲۱۲، و الدرجات الرفيعة، و ضياء العالمين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۶

مخافة على بنى هاشم أن تنابذها قريش. و كذا عن ابن عباس «۱».

و قد تقدم: أن محمد بن الحنفية حمل فى حرب الجمل على رجل من اهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين ابى طالب، فلما عرفت الذى اراد كففت عنه «۲».

و ثمة أحاديث أخرى عديدة بهذا المعنى لا مجال لذكرها «۳».

و لكن لا بد أن نذكر رواية أخرى، و لعلها هى الأقرب الى واقع الأمر، و هى ما ذكره الشريف النسابة العلوى، المعروف بالموضح، باسناده: أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاة على الموتى، فما صلى النبى عليه، و لا على خديجة، و إنما اجتازت جنازة أبى طالب، و على و جعفر «۴»، و حمزة جلوس، فقاموا، و شيعوا جنازته، و استغفروا له.

فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا و أقاربنا المشركين أيضا- ظنا منهم أن أبا طالب مات مشركا؛ لأنه كان يكتم إيمانه فنفى اللّه عن أبى طالب الشرك، و نزّه نبيه، و الثلاثة المذكورين «رحمهم اللّه» عن الخطأ فى قوله: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ، وَ لَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى.

فمن قال بكفر أبى طالب، فقد حكم على النبى بالخطأ و اللّه تعالى قد نزهه عنه فى أقواله و افعاله الخ «۵».

---

(۱) الغدير ج ۷ ص ۳۸۸ عن كتاب الحجة ص ۲۴ و ۹۴ و ۱۱۵. و راجع أمالى الصدوق ص ۵۵۰.

(۲) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۵ ص ۶۷.

(۳) راجع الغدير ج ۷ ص ۳۳۸- ۳۹۰ عن: الفصول المختارة ص ۸۰ و اكمال الدين ص ۱۰۳، و كتاب الحجة لابن معد عن أبى الفرج الاصفهانى.

(۴) لقد كان جعفر بالحبشة، فإما أن يكون قد جاء فى زيارة قصيرة ثم رجع. و إما أن يكون الراوى قد ذكره من عند نفسه سهوا أو عمدا.

(۵) الغدير ج ۷ ص ۳۹۹ عن كتاب الحجة لابن معد ص ۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۷

ضرورة سرية إيمان شيخ الابطح:

و نستطيع أن نقول: إن سرية إيمان أبى طالب كانت ضرورة لا بد منها؛ لأن الدعوة كانت بحاجة إلى شخصية إجتماعية قوية تدعمها، و تحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفا فى النزاع. فتتكلم من مركز القوة لتتمكن الدعوة من الحركة، مع عدم مواجهة ضغط كبير يشل حركتها، و يحد من فاعليتها.

قال ابن كثير و غيره: «إذ لو كان اسلم أبو طالب (و نحن نقول:

أسلم، و لكنه كتم إيمانه و اسلامه)؛ لما كان له عند مشركى قريش و جاهة، و لا كلمة، و لا كانوا يهابونه و يحترمونه، و لا جترؤا عليه، و لمدوا أيديهم و السنتهم بالسوء إليه» «۱».

لماذا الإفتراء على أبى طالب:

و أخيرا .. فلعل ذنب أبى طالب الوحيد، هو أنه كان أبا لأمير المؤمنين على «عليه السلام»، فالمستهدف بهذه النسبة الشنيعة فى الحقيقة هو ولده، الشوكة الجارحة فى أعين الأمويين، و الزبيريين، و كل أعداء الاسلام. فهم يريدون النيل من على فى كل أمر يرتبط به حتى وصلت النوبة إلى أخيه جعفر، و ابيه أبى طالب «رحمه اللّه»، ثم إلى كل شيعته و محبيه، بل إننا لا نكاد نرى فضيلة ثبتت له بسند صحيح عند مختلف الفرق الاسلامية الا و لها نظير فى الخلفاء الثلاثة، و لكن بسند ضعيف عندهم على الأكثر، و للّه الحمد و له الحجة البالغة.

و يقينا لو كان أبو سفيان أو أى شخص آخر، من آباء مخالفى على «عليه السلام» قد عمل معشار ما عمله أبو طالب، لرأيت من الثناء العاطر عليه، و التبجيل و التقدير، و الأحاديث فى فضله، و ماله من

---

(۱) البداية و النهاية ج ۳ ص ۴۱، و راجع السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۸

الكرامات و الشفاعات، إن دنيا، و إن آخرة، ما يفوق حدّ الحصر، و يزيد و يتضاعف باستمرار فى كل مصر، و عصر.

و الغريب فى الأمر: أن أبا سفيان، أبا معاوية الذى يقول لعثمان حينما صارت إليه الخلافة: قد صارت إليك بعد تيم و عدى فأدرها كالكرة، و اجعل اوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك و لا أدرى ما جنة و لا نار «۱» إن أبا سفيان هذا مؤمن تقى عادل، معصوم، و أبو طالب- أو فقل:

أبو على- كافر مشرك، و فى ضحضاح من نار، يبلغ كعبه، و يغلى منه دماغه!! ما عشت أراك الدهر عجبا!!.

أبو لهب و نصرة النبى (ص):

و نشير أخيرا هنا إلى أنهم يذكرون: أنه بعد أن توفى أبو طالب أعلن أبو لهب استعداده لنصرة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». فاحتالت قريش فأخبرته أنه يقول: إن اباك عبد المطلب فى النار، فسأله عن ذلك، فأخبره بما طابق ما أخبروه به؛ فتخلى عن نصرته، و انقلب ليكون عدوا له ما عاش «۲».

و نحن لا نشك فى كذب هذه القضية.

فأولا: كيف لم يعلم أبو لهب طيلة عشر سنين من عدائه للنبى، و محاربته له: أن هذا هو رأيه و رأى الاسلام فى كل من يموت مشركا باللّه تعالى؟! و على أى شىء كان يحاربه طيلة هذه المدة إذن؟!.

و ثانيا: لماذا عاداه فى حياة أبى طالب، ثم عاد إلى حمايته و نصرته بعد وفاته؟!. و لماذا لم يفعل أبو طالب كما فعل أبو لهب؟، أو لماذا لم

---

(۱) النزاع و التخاصم ص ۲۰.

(۲) راجع على سبيل المثال: البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۳۴ عن ابن الجوزى و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۵۹

يفعل أبو لهب مثل فعل أبى طالب!

و ثالثا: قد اسلفنا أن عبد المطلب لم يكن مشركا، بل كان على دين الحنيفية مؤمنا صادق الإيمان.

سر افتعال الرواية:

و لعل سر افتعال هذه الرواية هنا هو إظهار: أن حماية أبى طالب لم تكن إلا بدافع العصبية و الحمية القبلية، أو الحب الطبيعى.

و لكن أين كانت حمية و عصبية أبى لهب قبل هذا الوقت، و أين كان حبه الطبيعى لابن أخيه؟ و لا- سيما حينما حصرت قريش الهاشميين فى الشعب، و كادوا يهلكون جوعا؟!.

و أين ذهبت حميته بعد ذلك؟ و هو الذى كان يتتبع محمدا «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من مكان إلى مكان يؤذيه، و يصد الناس عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

و قد قدمنا بعض الكلام فى ذلك، حين الكلام على تضحيات أبى طالب، فلا نعيد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۶۱

الباب الرابع: من وفاة أبى طالب حتى الهجرة الى الحبشة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۶۳

الفصل الأول: الهجرة الى الطائف

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۶۵

لا بد من تحرك جديد:

لقد فقد النبى الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بوفاة أبى طالب نصيرا قويا، دافع عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و عن دعوته الالهية، بيده و لسانه، و شعره، و ولده، و عشيرته، و كل مواهبه و طاقاته، وضحى من أجله بمركزه و ماله و علاقاته الاجتماعية، كما قدمنا- فاعتقدت قريش انه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» سيضعف عزمه عن مواصلة جهوده، بعد أن مات ناصره. فنالته بعد وفاة شيخ الابطح بأنواع الاذى، مما عجزت عنه فى حياة عمه العظيم، و وجدت الفرصة للتنفيس عن حقدها، و صب جام غضبها على ذلك الذى ترى فيه سببا لكل مشاكلها و متاعبها.

و رأى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن الدعوة الاسلامية تتعرض لضغوط قوية تمنع من انتشارها، و من دخول الآخرين فيها، ما داموا لا- يرون فى ذلك الدخول إلا العذاب و النكال، و إلا الذل و المهانة. بل يمكن أن يتعرض ما حصل عليه، و جاهد من أجله و فى سبيله لأخطار ربما لا يكون فى وسعه مواجهتها و تجاوزها بنجاح تام.

و من هنا فقد كان لا بد من تحرك جديد، يعطى للدعوة دفعة جديدة، و يجعلها أكثر حيوية، و أكثر قدرة على مواجهة الاخطار المحتملة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۶۶

و اذا كان بقاؤه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة- إن لم يكن فيه خطر على الدعوة- معناه جمودها، و تحجميها، و شل حركتها، فان من الطبيعى أن يبحث عن مكان آخر تتوفر فيه له حرية الحركة، و الدعوة إلى اللّه، بعيدا عن أذايا قريش و مكائدها. و يتوفر فيه متنفس لهؤلاء المسلمين الذين تنالهم قريش بمختلف أنواع العذاب و التنكيل، قبل ان يتطرق اليأس الى نفوسهم، و ينهاروا امام تلك الضغوط التى يتعرضون لها باستمرار.

فكان كل ذلك و سواه دافعا إلى الهجرة الى الطائف.

الهجرة الى الطائف فى كلمات المؤرخين:

فبعد ان أذن اللّه له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالخروج من مكة إذ قد مات ناصره؛ خرج إلى الطائف، و معه على «عليه السلام» «۱»- أو زيد بن حارثة او هما معا «۲» على اختلاف النقل- و ذلك لليال بقين من شوال سنة عشر.

فأقام فى الطائف عشرة أيام، و قيل: شهرا، لا يدع من أشرافهم أحدا إلا جاءه، و كلمه، فلم يجيبوه، و خافوا على أحداثهم؛ فطلبوا منه أن يخرج عنهم، و أغروا به سفهاءهم؛ فجلسوا له فى الطريق صفين، يرمونه بالحجارة، و على «عليه السلام» يدافع عنه، حتى شج فى رأسه، او ان الذى شج فى رأسه هو زيد بن حارثة.

و يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» التجأ الى بستان لعتبة و شيبة ابنى ربيعة، و جلس فى أحد جوانبه، فتحركت عاطفة ابنى ربيعة،

---

(۱) سيرة المصطفى ص ۲۲۱/ ۲۲۲ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱۴ ص ۹۷ عن الشيعة.

(۲) شرح النهج للمتعزلى ج ۴ ص ۱۲۷ عن المدائنى و سيرة المصطفى ص ۲۲۱/ ۲۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۶۷

و هما يريان ما به من الجهد، فأرسلا اليه غلامهما عداسا و هو نصرانى من أهل نينوى- بعنب، فوضعه بين يديه، فمد إليه يده، و قال: بسم اللّه الرحمن الرحيم، فتعجب عداس من ان يكون بهذا البلد أحد يذكر اللّه، و جرت بينهما مكالمة انتهت باسلام عداس. فقال احدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

ثم انصرف «صلى اللّه عليه و آله و سلم» راجعا الى مكة، فاستعد اعداؤه للقائه بأنواع من الاذى لم يعرفها من قبل.

و لكنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان مصمما على مواجهة كل الاحتمالات؛ حيث قال لرفيقه على، او زيد: إن اللّه جاعل لما ترى فرجا و مخرجا، و ان اللّه ناصر دينه، و مظهر نبيه.

فطلب من الأخنس بن شريق ان يجيره ليتمكن من دخول مكة، فرفض على اعتبار انه حليف، و الحليف لا يجير على الصميم «۱».

ثم طلب من سهيل بن عمرو أن يجيره، فرفض أيضا، لأنه من بنى عامر فلا يجير على بنى كعب، فدخل مكة بجوار المطعم بن عدى، الذى تجهز و من معه بالسلاح لحمايته؛ فأمضت قريش جواره.

و يقول البعض: إنه رد عليه جواره من أول يوم وصوله. و قال آخرون: بل استمر فى جواره مدة.

هكذا باختصار يروى المؤرخون قضية الهجرة الى الطائف، ثم العودة منها.

هجرات أخرى له «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

اشارة

و يقولون أيضا: إنه بعد وفاة عمه خرج إلى بنى صعصعة، و معه

---

(۱) قد تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على هجرة أبى بكر، ثم دخوله مكة بجوار ابن الدغنة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۶۸

على؛ فلم يجيبوه، و غاب عن مكة عشرة أيام.

و هاجر أيضا مع على و أبى بكر الى بنى شيبان، و غاب ثلاثة عشر يوما، فلم يجد عندهم نصرة «۱».

و لا بد لنا هنا من وقفات لبيان بعض الامور التى ترتبط بما تقدم، و نراها هامة، الى حدما، و هى التالية:

۱- ما ذكر عن عداس:

إننا نشك فيما ذكر من دور عداس، و أكله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» العنب المهدى اليه، و ذلك لما يلى:

أولا: ما تقدم فى الفصل السابق من أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن يقبل هدية مشرك، و لا يرضى بأن يكون له أى فضل او نعمة عليه، يستحق بها المكافأة. فكيف قبل هدية ابنى ربيعة المشركين، و رضى بأن يكون لهما فضل عليه؟! إلا أن يقال: إنما قبل هدية عداس، و لعله لم يكن يعلم أن ابنى ربيعة هما اللذان أرسلاه.

و ثانيا: إن هذه الرواية تنص على أن عداسا قد أسلم. مع ان البعض ينص على أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد عاد من الطائف محزونا، لم يستجب له رجل و لا امرأة «۲».

إلا أن يقال: إن المراد: أنه لم يستجب له أحد من الأحرار، او لم يستجب له أحد من أهل نفس البلد. و عداس من أهل نينوى.

ثالثا: كان قد مضى على دعوة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الناس الى الاسلام حوالى عشر سنوات، و كانت شهرة دعوته قد تجاوزت مكة الى غيرها من الاقطار و الامصار. و أصبح ذكره و ذكر ما جاء به على

---

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۴ ص ۱۲۶.

(۲) راجع: طبقات ابن سعد ج ۱ القسم الأول ص ۱۴۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۶۹

كل شفة و لسان.

كما أنه قد مضى على وجود النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى الطائف نفسها عشرة أيام، أو شهر و هو يدعو الناس الى اللّه، لا يفتر و لا يمل فكيف إذن يتعجب عداس من ذكر اللّه فى ذلك البلد؟!.

فهل من المعقول: أن يكون عداس لم يسمع بذكره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و لا بدعوته هذه المدة كلها، سواء مدة وجوده فى الطائف، أو مدة دعوته الى اللّه فى المنطقة؟!.

و قد قدمنا بعض الكلام عن عداس فى مناقشتنا لروايات بدء الوحى فلا نعيد.

۲- دخوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مكة بجوار:

و تقدم: أن الأخنس بن شريق، و سهيل بن عمرو لم يقبلا أن يجيرا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليدخل مكة. و احتج الاخنس بانه حليف، و الحليف لا يجير على الصميم. فدخل «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بجوار المطعم بن عدى، و نحن نشك فى ذلك

أيضا.

فأولا: قد قدمنا: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن يقبل ان يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها. و هذه يد و لا شك.

و ثانيا: كيف لم يعلم النبى الذى بلغ من العمر حوالى خمسين عاما، و يعيش بين العرب، كيف لم يعلم طيلة هذه المدة: أنه ليس للحليف أن يجير على الصميم عندهم؟!!

و ان بنى عامر لا تجير على بنى كعب؟!

و ثالثا: أليس هذا يعتبر ركونا للظالمين، و لغير أهل دينه، و اللّه تعالى يقول: وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ. و يقول: وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا، فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ «۱»؟

---

(۱) سورة هود الآية ۱۱۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۰

إلا ان يجاب عن هذا بالنفى، فإن هذا المقدار من الركون ليس بمقصود فى الآية.

و رابعا: إننا نجد عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة، رغبة منه فى مواساة أصحابه؛ فهل يعقل أن يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أقل من ابن مظعون فى ذلك؟! و لا يستطيع الصبر على تحمل المشاق و الاذى الذى استعدت قريش لتناله به؟ إن ذلك لعجيب حقا!!.

ثم لماذا لم يخف من الاذى حين رد على المطعم جواره، لا سيما إذا كان قد رده عليه من أول يوم؟!.

و أما أنه كان يخشى على نفسه القتل، فلذلك طلب الجوار؛ فجوابه أنه كان يعلم: أن قريشا لا تستطيع ذلك. و أنها تعرف: أنه فى غير صالحها فى تلك الظروف، و بالأخص إذا كان ذلك علنا.

ثم أين كان عنه الهاشميون فى تلك الساعة؟ و لماذا لا يحمون كبيرهم و سيدهم حتى يحتاج الى جوار الآخرين؟!

و أين كان عنه أسد اللّه و أسد رسوله، الذى فعل بأبى جهل ما فعل كما تقدمت الإشارة إليه؟!.

۳- إسلام نفر من الجن:

و يذكر هنا: أنه و هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» منصرف من الطائف الى مكة، التقى ببعض الجن، فقرأ عليهم القرآن فآمنوا به، و رجعوا الى قومهم، مبشرين و منذرين، فقص اللّه خبرهم فى سورة الجن، فقال: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ، فَقالُوا: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ.

و لكن الظاهر: أن قضية الجن قد كانت فى أوائل البعثة؛ حيث إن الرواية تذكر: أنه لما بعث النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حيل بين

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۱

الجن و بين استراق السمع فى السماء، و أرسلت عليهم الشهب، ففهموا:

أن ذلك إنما هو لحدث جرى فى الارض فعادوا اليها، و بحثوا عن الأمر، فوجدوا أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد بعث، فاستمعوا القرآن و آمنوا، فنزلت الآية «۱».

و فى رواية أخرى: أن ابليس أرسل جنوده ليكشفوا له الأمر، فعادوا إليه بنبأ بعثته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۲».

و إلى ما ذكرناه من كون ذلك فى أوائل البعثة ذهب ابن كثير أيضا «۳».

و يدل على ذلك أيضا: أن عددا من الروايات تذكر: أن إبن مسعود كان معه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليلة الجن «۴». و إبن

مسعود من المهاجرين الى الحبشة، فلا بد أن تكون القضية قد حدثت قبل هجرته اليها، أى قبل الخامسة من البعثة.

۴- الطائف و علاقاتها بمن حولها:

إن أهل الطائف كانوا مرتبطين إقتصاديا بأهل مكة، و من حولهم، لأنهم كانوا يصدرون الفاكهة التى هى عمدة محاصيلهم إلى مكة و غيرها

---

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۲۷۰/ ۲۷۵، عن: البخارى، و مسلم، و عبد بن حميد، و أحمد، و الترمذى و النسائى، و الحاكم، و إبن المنذر، و الطبرانى، و ابن مردويه، و أبى نعيم، و البيهقى معا فى الدلائل و غير ذلك. و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۳- ۳۰۴ و يقال: إن آيات سورة الاحقاف قد نزلت حين رجوعه من الطائف بهذه المناسبة. و لكن يدفع ذلك ما فى الدر المنثور ج ۶ ص ۴۵ عن مسلم، و أحمد، و الترمذى، و عبد بن حميد و غيرهم.

(۲) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۴.

(۳) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۳ عن المواهب اللدنية.

(۴) تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۰۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۲

من الأطراف المحيطة بهم.

فهم يرون مصيرهم مرتبطا إقتصاديا و إجتماعيا بغيرهم، و هم بحاجة إلى التقرب و التزلف إلى ذلك الغير، و استجلاب محبتهم و رضاهم، حتى لا- يتعرضوا للضغط الاجتماعى، أو إلى حصار إقتصادى- كما جرى لبنى هاشم- من قبل من يحيط بهم، لا سيما من المكيين، حيث السوق الرئيس لمنتجاتهم.

ثم إنه قد كان لهم صنم يقال له اللات، و كان له سدنة. و يزوره العرب «۱» فكان لهم مركز دينى أيضا بين العرب، يهتمون جدا بالمحافظة عليه.

و من هذا و ذاك، نعرف السر فى انهم كانوا اشداء فى مواجهة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و حريصين على اخراجه من بينهم بسرعة.

و يشار هنا: إلى ان أهل الطائف الذين قتلوا عروة بن مسعود الداعى الى الإسلام قد تأخر اسلامهم الى أواخر حياة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فوفدوا عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى سنة تسع، سنة الوفود و لم يؤمنوا إلا بعد أن ادركوا: أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب. فلا يخرج لهم مال إلا نهب، و لا إنسان إلا أخذ؛ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا و أرسلوا .. الخ «۲».

---

(۱) الاصنام للكلبى ص ۱۶، و السيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج ۳ ص ۱۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۳۵.

(۲) راجع: الكامل فى التاريخ ج ۲/ ۲۸۳ و راجع أيضا: السيرة النبوية لدحلان ج ۳ ص ۹ مطبوع بهامش الحلبية و السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۱۸۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۳

۵- الإسلام دين الفطرة:

إننا نلاحظ، أن أهل الطائف قد خافوا على أحداثهم من دعوة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، رغم أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يقم بينهم سوى فترة قصيرة جدا. الأمر الذى يؤكد على ان الإسلام كان يجد سبيله بيسر و سهولة إلى العقول الصافية و النفوس البريئة و ينسجم مع الفطرة السليمة، التى لم تتلوث بعد بالمفاهيم المنحرفة، و لم تطغ عليها عوامل المصالح الشخصية، و العواطف القبلية، و غير ذلك.

و كيف لا يجد سبيله إليها بيسر، و هو الدين القائم على الدليل و البرهان العقلى، و المنسجم مع الفطرة، و هو دين الضمير و الوجدان الحى.

و من هنا، فإننا نلاحظ: أنهم لم يمكنهم الرد عليه و مناقشته، بل طلبوا منه أن يخرج من بينهم، و حاولوا ان يشوهوا صورته فى أذهان أولئك الذين استمعوا إليه،- و فى أذهان الصغار الذين اغروهم به «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و الذين يمكن ان تؤثر فيهم دعوته- بما استعملوه ضده من أساليب غير منطقية، و إنما تتميز بالاهانة و الأذى، ثم السخرية و الاستهزاء الجارح و المهين.

۶- هل كانت هذه سفرة فاشلة؟!.

و لربما يتساءل البعض: عن الفائدة لهذه الرحلة الفاشلة؟

و فى جوابه نقول: إن هذه الرحلة لم تكن فاشلة، كما ربما يتصور البعض.

فإن من الطبيعى أن تترك هذة الحادثة آثارا إيجابية من نوع ما فى أذهان من التقى بهم، و كلمهم، و ان تثمر فيما بعد ثمارها المطلوبة و المرجوة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۴

منها. حيث قد أثرت بشكل واضح فى تهيئة الجو لإيمان ثقيف فيما بعد ذلك عندما قويت شوكة الإسلام، و لم تعد تخشى الضغوط الإقتصادية و الإجتماعية عليها ممن حولها، و لا سيما من قريش بل أصبح الضغط من جانب المسلمين لأن القبائل كانت تفد الى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فتعلن عن إسلامها، و يكتب لها كتابا، و يشترط قطع العلاقات مع المشركين فأخافهم ذلك و أرعبهم.

و قد كانت قريش تشيع عن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أنه مجنون أو ساحر، او كاهن الخ، فها هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يتصل بالناس مباشرة، و يلمسون بأنفسهم حقيقة الأمر، و يتعرّفون عن قرب على شخصيته و خصائصه، بحيث تسقط كل الإشاعات الكاذبة و المغرضة؛ و ليصير الإيمان به و برسالته، و بنبوته أسهل و أيسر، و ليصبح اكثر قوة و عمقا و رسوخا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۵

الفصل الثانى: حتى بيعة العقبة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۷

المجاعة:

ثم هاجت الأزمة، و هى الجوع فى قريش، و أهل مكة، و كان ذلك بدعاء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الذى دعا عليهم- حتى أكلوا العلهز «۱»، و القد، و حتى أحرقوا العظام فأكلوها و اكلوا الكلاب الميتة، و الجيف، و نبشوا القبور، و أكلت المرأة طفلها .. و حتى كان الرجل يرى بينه و بين السماء كهيئة الدخان؛ فشغل ذلك الناس بأنفسهم و بمشاكلهم، فأتيحت الفرصة للنبى «صلى اللّه عليه

و آله و سلم»- و لو لفترة قصيرة- ليتحرك فى سبيل دينه و رسالته داعيا الى اللّه، و مجاهدا فى سبيله.

فلما دخلت سنة إحدى عشرة من البعثة، جاء أبو سفيان الى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فقال: يا محمد، جئت بصلة الرحم، و قومك قد هلكوا جوعا، فادع اللّه لهم، فدعا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لهم؛ فكشف عنهم يقول اللّه عز و جل: إِنَّا كاشِفُوا الْعَذابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عائِدُونَ «۲».

---

(۱) العلهز: دم يابس يدق به اوبار الابل فى المجاعات و يؤكل.

(۲) الدخان/ ۱۵. راجع: البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۵۷، و تفسير البرهان ج ۴ ص ۱۶۰ عن المناقب لابن شهرآشوب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۸

فإن الظاهر هو ان هذه الآية قد جاءت جوابا لقولهم: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. ثم تحدث عنهم تعالى بأسلوب الغائب مشيرا الى ما صدر منهم سابقا مما يدل على عدم وثوقه فى وعدهم، ثم عاد الى خطابهم بالآية الآنفة الذكر، متوعدا إياهم بالعذاب الأليم فى الآخرة فى صورة عودتهم الى العناد.

و نشير هنا: إلى ان رجوع أبى سفيان الى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليؤكد على أن المشركين كانوا يعرفون أن ما جاء به «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو الحق، و لكنهم حجدوا ذلك استكبارا و عتوا، و علوا، و حفاظا على الإمتيازات الظالمة التى جعلوها لأنفسهم.

و من الجهة الثانية، فإننا نجده «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يستجيب لطلب أبى سفيان، و لكن ليس فقط لاجل ما ذكره من لزوم صلة الرحم؛ لأن الاسلام هو الصلة الحقيقية بين أبناء البشر جميعا، و على أساسه تكون الأخوة بينهم. و إنما يستجيب له ليعطيه دليلا جديدا على أحقية ما جاء به، و ليقيم الحجة عليه، و على كل من يرى رأيه؛ ليهلك من هلك عن بينة، و يحيى من حى عن بينة. و ليمنح الفرصة للذين يعيشون بعيدا عن الأضواء، و ليس لهم مصالح دنيوية كبيرة، ليفكروا بموضوعية و تجرد؛ بعيدا عن الاجواء المصطنعة.

عرض الإسلام على القبائل:

لقد كان النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يغتنم الفرصة فى مواسم الحج؛ فيعرض على القبائل، قبيلة قبيلة، أن تعتنق الإسلام، و تعمل على نشره و تأييده، و حمايته و نصرته. بل كان لا يسمع بقادم الى مكة، له إسم و شرف، إلا تصدى له، و دعاه الى الإسلام.

و لكن عمه أبا لهب كان يتبعه أنى توجه، و يعقب على كلامه، و يطلب منهم ان لا يقبلوا منه و لا يطيعوه فى شىء. هذا بالإضافة الى اتهامه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۷۹

بالجنون، و السحر و الكهانة، و الشعر، و غير ذلك.

و كان الناس فى الغالب يسمعون من قريش! إما خشية من سلطانها و نفوذها، و إما حفاظا على مصالحهم الإقتصادية فى مكة، لا سيما فى مواسم الحج، و عكاظ.

كما أن تصدى أبى لهب عمّ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالذات لإفساد الأمر عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان أبعد تأثيرا فى ذلك، على اعتبار: أنه عمه، و أعرف الناس به.

و لقد افادت تحركات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هذه، حيث إنهم بعد ان ذهبت شوكة قريش، و خمد عنفوانها، و أصيب نفوذها بنكسة قوية بسبب ظهور دعوته و انتشار دينه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و توالى انتصاراته عليها، و لا سيما بعد فتح مكة. بدأت و فادات العرب تترى الى المدينة، بعد أن أمنوا غائلة عداء قريش، ليعلنوا عن ولائهم و مساندتهم، لأن دعايات قريش و

اشاعاتها الكاذبـة قد ذهب أثرها، و بطل مفعولها، لأنهم قد رأوا هذا النبى عن قرب، و عرفوا فيه رجاحة العقل، و اسـتقامة الطريقة، منذ اجتمعوا به فى تلك المواسم، و عرض دعوته عليهم.

و قـد صـرح المؤرخون بأن العرب كانوا ينتظرون بإسـلامهم قريشا و كانوا إمام الناس، و أهل الحرم، و صـريح ولـد إسـماعيل لا تنكر العرب ذلك.

فلما فتحت مكة و استسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول اللّه و لا عداوته، فدخلوا فى الدين أفواجا «۱».

بل إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حينما كان يعرض دعوته على القبائل كانوا يردون عليه. أقبح الردّ، و يقولون: اسرتك و عشيرتك أعلم

---

(۱) راجع الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۲۸۶/ ۲۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۰

بك حيث لم يتبعوك «۱».

و هـذا يـدل على ان الخوف من قريش لم يكن هو الـدافع الوحيد للامتناع عن الدخول فى الاسـلام لا سـيما و أن الكثيرين من العرب كانوا بعيدين عن مكة، و لا يخشون سطوتها.

و نقطـة أخرى لاـ بـد من الاشـارة اليها. و هى ان تحرك النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» و عرض دين اللّه على القبائل، و هجراته المتعـددة فى سبيله ليعتبر إدانـة للمنطق القائل: إن على صاحب الـدعوة: أن يجلس فى بيته، و لا يتحرك، و على الناس أن يقصـدوه و يسألوه عما يهمهم، و يحتاجون اليه.

بنو عامر بن صعصعة، و نصرة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»:

اشارة

و نشير هنا الى واقعة هامة، حدثت فى خلال عرض النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دعوته على القبائل، و هى:

ان رسول «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» قـد أتى بنى عامر بن صعصـعة، فـدعاهم الى اللّه، و عرض عليهم دعوته فقال لهم رجل منهم، إسمه:

«بيحرة بن فراس»: و اللّه، لو أنى أخـذت هـذا الفتى من قريش لأـكلت به العرب. ثم قـال له: أرأيت إن نحن بايعنـاك على امرك، ثم اظهرك اللّه على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟

قال: الامر للّه، يضعه حيث يشاء.

فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فاذا اظهرك اللّه كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك.

فأبوا عليه. فلما صدر الناس، رجع بنو عامر الى شيخ لهم؛ فسألهم عما كان فى موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بنى عبد

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۱

المطلب، يزعم أنه نبى، يدعونا الى أن نمنعه، و نقوم معه، و نخرج به الى بلادنا.

فوضع الشـيخ يـديه على رأسه، ثم قـال: يـا بنى عـامر، هل لها من تلاف؟ هل لـذناباها من مطلب؟ و الـذى نفس فلان بيـده، ما تقولها

إسماعيلى قط، و إنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم! «۱»

و مثل ذلك جرى له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مع قبيلة كندة، كما ذكره أبو نعيم فى دلائل النبوة «۲».

و نحن نسجل هنا ما يلى:

۱- ألامر للّه:

لقد نصت الرواية على ان الامر للّه يضعه حيث يشاء، و نستفيد من ذلك:

ألف: ان الرسول لم يعط هؤلاء وعدا بما طلبوه منه، من جعل الأمر لهم بعده، بل أجابهم بأن الأمر للّه، يضعه حيث يشاء أى انه لا يمكن ان يعد بما لا يعلم قدرته على الوفاء به، تماما على العكس من السياسيين الذين عرفناهم فى عصرنا الحاضر، و على مرّ العصور الذين لا يتورعون عن إغداق الوعود المعسولة على الناس، حتى اذا وصلوا الى غايتهم، و جلسوا على كرسى الزعامة فإنهم ينسون كل ما قالوه، و ما وعدوا به.

و لكن نبى الإسلام الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» رغم انه كان

---

(۱) راجع: سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۶۶، و الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۸۹- ۹۱، بهجة المحافل ج ۱ ص ۱۲۸، و حياة محمد لهيكل ص ۱۵۲ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۴۷، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳، و الروض الانف ج ۱ ص ۱۸۰، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۳۹، و ۱۴۰، و عن دلائل النبوة لابى نعيم ص ۱۰۰ و حياة الصحابة ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹.

(۲) راجع: البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۲

بأمس الحاجة الى من يمد له يد العون لا- سيما من قبيلة كبيرة تملك من العدد و العدة ما يمكنها من حمايته، و الرد عنه. إلا إنه يرفض ان يعد بما لا يملك الوفاء به، حتى و لو كان هذا الوعد يجر عليه الربح الكثير فعلا.

ب- إن جواب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لهم بقوله:

«الأمر للّه يضعه حيث يشاء» يؤيد ما يذهب إليه أهل البيت (ع) و شيعتهم الابرار رضوان اللّه تعالى عليهم، من ان خلافة النبوة ليست من المناصب التى يرجع البت فيها الى الناس. بل هى منصب الهى، و الأمر للّه فيها، يضعه حيث يشاء.

۲- سمو الهدف، و النظرة الضيقة:

و إن عرض هذه القبيلة مساعدتها على النبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم بهذا النحو، إنما يدل على أنها لا تريد فى مساعدتها له وجه اللّه سبحانه، و لا تنطلق فى موقفها ذاك من قاعدة إيمانية قوية، و قناعة عقائدية راسخة، و لا طمعا بثواب اللّه، و لا خوفا من عقابه.

و إنما تنطلق فى ذلك من نظرة ضيقة، مصلحية تجارية بالدرجة الأولى: و تريد من نصرها له أن تأكل به العرب، و تحصل على المجد و السلطان.

و من الواضح- بناء على هذا- أن نصرها له لسوف ينتهى، عندما تجد: أن مصلحتها قد انتهت، و حصلت على كل ما تريد، أو حينما ترى:

أن تجارتها الدنيوية قد خسرت، بل لربما تنقلب عليه إذا رأت فيه عائقا يمنعها من تحقيق أهدافها، أو الاحتفاظ بالامتيازات الظالمة

التى تفرضها لنفسها.

و هكـذا يتضـح: أن الاعتماد على من يفكر بعقليـة كهـذه، و يتعامل من منطلق كهذا ليس إلا اعتمادا على سـراب، إن لم يجر على من يعتمد عليه البلاء و العذاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۳

۳- الدين، و السياسة:

و قد لاحظ بعض المحققين هنا: أن هذا العربى، و هو من بنى عامر بن صعصعة، لما أخبروه بما يدعو إليه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم، و نقلوا إليه ما جرى لهم معه قـد أدرك: أن هـذا الـدين ليس مجرد ترهّب فى الصوامع، و صـلاة، و دعاء، و أوراد، و أذكار، بل هو دين يشـتمل على التـدبير و السـياسة، و الحكم، و لأجل هذا قال: «لو أنى أخذت هذا الفتى (يعنى محمدا بماله من الدعوة الشاملة) لأكلت به العرب».

و لقد سبقه إلى إدراك هذه الحقيقة شيخ الأنصار أسعد بن زرارة، لما قدم إلى مكة، و عرض عليه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ما يـدعو إليه، فرأى: أن فيه و فى دعوته ما يصـلح مجتمعه، و يعالج مشاكلهم المستعصـية بينهم و بين إخوانهم من الأوس، و على هذا كانت الهجرة «۱».

و قـد أدرك ذلـك أيضا نفس أولئك الـذين اشترطوا على النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم» أن يكون لهم الأمر من بعـده، فرفض صلى اللّه عليه و آله و سلم طلبهم. و سيأتى ذلك عن عامر بن الطفيل، فى غزوة بئر معونة.

فما أبعد ما بين فهم هؤلاء للإسـلام، و لدعوة القرآن، حتى إن هذا الفهم هو الذى مهّد لإسـلام الأنصار، ثم الهجرة. و كذلك لبيعتهم (بيعـة العقبـة الأولى و الثانيـة)، و اختيـار النقبـاء و الكفلاء على المبايعين، و بين ذلك الـذى يعتبر الـدين منفصـلا عن السـياسة، و أن السياسة أمر غريب عن الدين. فإن ذلك و لا شك من القاآت الاستعمار، و من الفكر المسيحى الغريب المستورد، كما هو ظاهر.

---

(۱) راجع: البحار ج ۱۹ ص ۹ و اعلام الورى ص ۵۷ عن القمى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۴

۴- نتائج عرضه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» دعوته على القبائل:

و يمكننا: أن نستفيد مما تقدم:

۱- ما تقـدمت الإشارة إليه، من أن مقابلة النبى الأعظم صـلى اللّه عليه و آله و سـلم للناس، و التحدث معهم مباشـرة كان من شأنه: أن يعطى الناس الانطباع الحقيقى عن شخصـية الرسول الأكرم «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم»، و حقيقة ما جاء به. و يدفع كل الدعايات و الإشاعـات الكاذبـة، و المغرضـة، التى كـانت تبثهـا قريش و أعوانهـا، ككونه سـاحرا، أو كاهنا، أو شاعرا، أو مجنونا، أو غير ذلك من ترّهات.

۲- إن ما جرى فى قضـية بنى عامر ليـدل دلالة واضـحة: على أن عرضه صـلى اللّه عليه و آله و سـلم دعوته على القبائل، قد أسـهم فى الدعايـة لهـذا الدين، و نشـر صـيته، فى مختلف الأنحاء، و الأرجاء، فقد كان من الطبيعى أن يتحدث الناس، إذا رجعوا إلى بلادهم بما رأوه و سمعوه فى سفرهم ذاك و لم يكن ثمة خبر أكثر إثارة لهم من خبر ظهور هذا الدين الجديد، و فى مكة بالذات.

زواج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بسودة و عائشة:

اشارة

و يقولون: إن النبى صلى اللّه عليه و آله قد تزوج بسودة بنت زمعة، و عقد على عائشة بنت أبى بكر و كان ذلك بعد عشر سنوات من البعثة.

و لا نجد لسودة دورا هاما فى التاريخ، و لا فى حياة النبى صلى اللّه عليه و آله، أو بعده و كل الاهتمامات مركّزة على عائشة، حتى لقد حكموا باستحباب العقد فى شوال، لأنه صلى اللّه عليه و آله قد تزوج عائشة فى شوال «۱»!! مع أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نفسه تزوج غيرها فى أشهر أخرى!!.

---

(۱) نزهة المجالس ج ۲ ص ۱۳۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۵

و على كل حال، فاننا لن نستطيع أن نلمّ فى هذه العجالة بجميع ما قيل، أو يقال حولها؛ فإن ذلك متعسر، بل متعذر و لذلك فنحن نكتفى بذكر أمرين لهما صلة بموضوع زواجه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بها.

و لربما يأتى إن شاء اللّه بحوث أخرى لجوانب أخرى مما يرتبط بها.

و هذان الأمران هما: سنّ عائشة و جمالها و حظوتها عند النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فنقول:

۱- سن عائشة:

و يقولون: إنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد عقد على عائشة، و هى بنت ست سنين، أو سبع. ثم انتقلت إلى بيته بعد هجرته إلى المدينة، و هى بنت تسع. و هذا هو المروى عنها «۱».

و نحن نقول: إن ذلك غير صحيح، و أن عمرها كان أزيد من ذلك بكثير، و نستند فى ذلك إلى ما يلى:

أولا: إن ابن إسحاق قد عدّ عائشة فى جملة من أسلم أول البعثة، قال: و هى يومئذ صغيرة. و أنها أسلمت بعد ثمانية عشر إنسانا فقط «۲». فلو جعلنا عمرها حين البعثة سبع سنين مثلا فإن عمرها حين العقد عليها كان ۱۷ سنة، و حين الهجرة ۲۰ سنة.

---

(۱) راجع فيما ذكرناه: طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۳۹، و الاصابة ج ۴ ص ۳۵۹، و تاريخ الطبرى ج ۲ ص ۴۱۳ و تهذيب التهذيب ج ۱۲، و أسد الغابة ج ۵ و غير ذلك و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۹ ص ۱۹۰ لكنه ناقض نفسه ص ۱۹۱ فقال: انها توفيت سنة ۵۷ ه. و عمرها ۶۴ سنة، و هذا يعنى أنها كان عمرها حين الهجرة سبع سنوات فقط.

(۲) راجع: سيرة ابن هشام ج ۱ ص ۲۷۱، و تهذيب الاسماء و اللغات ج ۲ ص ۳۵۱ و ۳۲۹ عن ابن ابى خيثمة فى تاريخه عن ابن اسحاق، و البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۴۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۶

ثانيا: و فى مقام رفع التنافى بين قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لفاطمة: أنها سيدة نساء العالمين، و بين ما نسب إليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من أنه لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، و آسية امرأة فرعون، و أن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام «۱».

يقول الطحاوى: «قد يحتمل أن يكون ما فى هذا الحديث قبل بلوغ فاطمة، و استحقاقها الرتبة التى ذكرها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لها. إلى أن قال: و أن كل فضل ذكر لغير فاطمة، مما قد يحتمل أن تكون فضلت به فاطمة، محتملا لأن يكون و هى حينئذ

صغيرة، ثم بلغت بعد ذلك الخ» «۲».

لقد قال الطحاوى هذا، بعد أن جزم قبل ذلك بقليل، بأن فاطمة صلوات اللّه و سلامه عليها كان عمرها حين توفيت خمسا و عشرين سنة «۳».

و هذا يعنى أنها قد ولدت قبل البعثة بسنتين، و الفرض: أن فاطمة كانت صغيرة حينما كانت عائشة بالغة مبلغ النساء.

و ثالثا: يذكر ابن قتيبة أن عائشة قد توفيت سنة ۵۸- و عند غيره سنة ۵۷ ه- و قد قاربت السبعين «۴» و لضم ذلك إلى ما يقوله البعض من أن خديجة قد توفيت قبل الهجرة بثلاث، أو بأربع، أو بخمس سنين ثم ما

---

(۱) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۳۷.

(۲) مشكل الآثار ج ۱ ص ۵۲.

(۳) مشكل الآثار ج ۱ ص ۴۷. و قد حمل بعض العلماء حديث فضل عائشة كفضل الثريد الخ. على المزاح منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» معها؛ لأن جوها لا ينسجم مع جو التفضيل كما فى قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: فاطمة سيدة نساء العالمين، و لم يكمل من النساء إلا مريم و آسية إلخ. و لا سيما بملاحظة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن من المهتمين بأمور الاطعمة، و اللذيذ منها ليأتى بها كمثال على تفضيل فى أمر حساس كهذا.

(۴) المعارف لابن قتيبة ص ۵۹ ط سنة ۱۳۹۰ ه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۷

روى عن عائشة من قولها: تزوجنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و أنا بنت تسع سنين «۱».

[و لعل هذه الرواية هى الأقرب بقرينة ما قدمناه، و لكثرة الخلط بين كلمتى «سبع» و «تسع» بسبب عدم نقط الكلمات فى السابق. بل أن هذا الرقم أيضا مشكوك فيه لما تقدم، و لأن المرأة تميل إلى تقليل مقدار عمرها عادة].

فكلام ابن قتيبة و الذى بعده يدل على أنها قد ولدت أما سنة البعثة أو قبلها. و هذا الثانى هو الأرجح لما قدمناه. فى المستند الأول و الثانى.

إذن، فيكون عمر عائشة حين عقد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عليها فى سنة عشر من البعثة أكثر من ست سنين بكثير، أى ما بين ثلاثة عشر إلى سبعة عشر سنة.

من طرائف الروايات الموضوعة:

و من الموضوعات الغريبة فى هذا المجال، ما جاء عن أبى هريرة:

من أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لما دخل المدينة، و استوطنها طلب التزويج؛ فقال لهم: أنكحونى. فأتاه جبرئيل بخرقة من الجنة فيها صورة لم ير الراؤون أحسن منها، و أبلغه أمر اللّه له: أن يتزوج على تلك الصورة.

فقال له النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أنا من أين لى مثل هذه الصورة يا جبرئيل؟

فقال له: إن اللّه يقول لك: تزوج بنت أبى بكر الصديق. فمضى رسول اللّه إلى منزل أبى بكر، فقرع الباب، ثم قال: يا أبا بكر، إن اللّه أمرنى أن أصاهرك، فعرض عليه بناته الثلاث فقال: إن اللّه أمرنى أن

---

(۱) راجع: حديث الإفك ص ۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۸

أتزوج هذه الجارية و هى عائشة، فتزوجها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» «۱». انتهى باختصار.

و عدا عما فى سند هذه الرواية، فاننا نقول:

أولا: لم نفهم كيف يتصرف النبى تصرفا لا يصدر عن العقلاء الذين يحترمون أنفسهم، فيطلب التزويج من الناس، و يقول لهم: أنكحونى!!. إلا أن يكون صبيا صغيرا، لا حياء عنده، و لا عقل لديه!! و الغريب فى الأمر: أنه لم يبادر أحد لإجابة طلبه هذا، بل عاملوه بالجفاء، و أهملوا تنفيذ طلبه، حتى جاء جبرئيل فتولى حلّ مشكلته.

و ثانيا: هل صحيح: أن عائشة كانت من الحسن بهذه المثابة: حتى إن صورتها لم ير الراؤون أحسن منها؟!! لعل فى ما سيأتى مقنعا و كفاية لمن أراد الرشد، و الحق، و الهداية.

و ثالثا: لقد تزوج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عائشة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، و لم يتزوجها فى المدينة، و إجماع المؤرخين على ذلك ظاهر للعيان.

و رابعا: لم نعرف البنات الثلاث اللواتى عرضهن أبو بكر على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فأسماء كانت تحت الزبير، و قدمت المدينة و هى حامل بولدها عبد اللّه و عائشة قد تزوجت النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة و أم كلثوم، قد ولدت بعد وفاة أبى بكر «۲». و لم يولد له غيرهن.

و أخيرا، فإن لقب (الصديق) قد جاء إلى أبى بكر بعد وفاة النبى

---

(۱) تاريخ بغداد للخطيب ج ۲ ص ۱۹۴، و ميزان الاعتدال للذهبى ج ۳ ص ۴۴، و قد كذبا (الخطيب و الذهبى) هذا الحديث الذى جميع رجال أسناده ثقات باستثناء محمد بن الحسن الدّعّاء الأصم. و راجع: الغدير ج ۵ ص ۳۲۱.

(۲) راجع: نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ۲۷۵- ۲۷۸ لتعرف من ولدهم أبو بكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۸۹

صلى اللّه عليه و آله من محبى الخليفة الأول، كما ربما نشير إليه حين الكلام على قضية الغار إن شاء اللّه تعالى.

۲- جمال عائشة و حظوتها:

و نسجل هنا: أن أكثر، إن لم يكن كل ما يقال عن جمال عائشة، و عن حظوتها، و حب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لها، إنما هو مروى عنها نفسها، أو عن ابن أختها عروة. و نحن نقطع بعدم صحة ذلك كله من الأساس.

فأولا: لماذا لم يرو ذلك كله إلا من طريق عائشة، أو عروة ابن أختها كما يظهر من تتبع الروايات؟!.

و ثانيا: إن ابن عباس يواجهها بعد حرب الجمل بحقيقة: أنها لم تكن أحسن نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» وجها، و لا بأكرمهن حسبا «۱». كما أن عمر إنما يصف زينبا بالحسن، دون عائشة؛ فإنه لم يشر إليها فى قليل و لا كثير؛ كما سيأتى.

و ثالثا: قال على فكرى: «و ما رواه ابن بكار: من أن الضحاك بن أبى سفيان الكلابى كان رجلا دميما قبيحا؛ فلما بايعه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قال: إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يريد عائشة، و ذلك قبل أن تنزل آية الحجاب)؛ أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها؟- و عائشة جالسة تسمع؛ فقالت: أهى أحسن أم أنت؟

فقال: بل أنا أحسن و أكرم.

فضحك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من سؤالها إياه (لأنه كان دميما قبيح الوجه) «۲»».

---

(۱) الفتوح لابن أعثم ج ۲ ص ۳۳۷ ط الهند.

(۲) السمير المهذب ج ۲ ص ۸- ۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۰

و رابعا: قال عباد بن العوام لسهيل بن ذكوان: صف لى عائشة.

قال: كانت أدماء.

و قال يحيى: قلنا لسهيل بن ذكوان: رأيت عائشة؟

قال: نعم.

قيل: صفها.

قال: كانت سوداء «۱»

إذن، فما يقال عنها، أنها كانت شقراء، ثم الاستشهاد على ذلك بقول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لها: «يا حميراء» .. يصبح موضع شك و ريب كبير.

و لعل قول النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لها ذلك قد جاء على سبيل التلطف و الرفق بها. أو لعله إشارة إلى قول العرب: شر النساء الحميراء المحياض «۲» فقال لها «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ذلك على سبيل المداعبة و التلطف و المزاح.

و خامسا: إن من يتتبع سيرة زوجات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يجد: أن عائشة هى التى كانت تحسد و تغار من كل زوجة و سرّيّة له «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و يدرك بما لا مجال معه للشك: أن أكثرهن- إن لم يكن كلهنّ- كنّ أكثر حظوة لدى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» منها. إن لم نقل أنهن أجمل و أضوء منها أيضا؛ فإن من الطبيعى أن نجد الدميم هو الذى يحسد على الجمال و يغار، أما الجميل فليس من الطبيعى أن يحسد الدميم، و أن يغار منه.

كما أنه ليس من الطبيعى أن يكون الميل لغير ذات الجمال أكثر منه للجميلة الوضيئة، و قد ذكر فى حديث الإفك على لسان أم المؤمنين عائشة

---

(۱) الضعفاء الكبير للعقيلى ج ۲ ص ۱۵۵.

(۲) ربيع الابرار ج ۴ ص ۲۸۰ و روض الاخيار ص ۱۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۱

قولها: «فو اللّه لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، و لها ضرائر إلا كثرن عليها».

و لو صدقنا: أنها كانت هى ذات الحظوة لدى الرسول، و أنه كان يحبها أكثر من غيرها، فلماذا هذه الغيرة، و هذا الحسد منها لهن؟ فإن الحسد لا بد و أن يكون على شىء يفقده الحاسد، و يتمنى زواله عن المحسود، و انتقاله إليه.

و إليك بعض موارد غيرة و حسد عائشة لضرائرها.

۳- حسد و غيرة عائشة:

۱- خديجة عليها السلام عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة كما غرت على خديجة، و ما بى أن أكون أدركتها. و لكن لكثرة ذكر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إياها، و إن كان ليذبح الشاة؛ فيتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن «۱».

و للحديث عبارات و أسانيد مختلفة لا مجال لها الآن.

و قد ذكر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» خديجة يوما، فغارت أم المؤمنين، فقالت: هل كانت إلا عجوزا أبدلك اللّه خيرا منها؟ و فى لفظ مسلم: «و ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر، أبدلك اللّه خيرا منها»؟ فغضب «صلى اللّه

عليه و آله و سلم»،

---

(۱) صحيح البخارى ج ۹ ص ۲۹۲، و ج ۵ ص ۴۸، و ح ۷ ص ۴۷، و ج ۸ ص ۱۰، و صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۳۴ و ۱۳۳، و أسد الغابة ج ۵ ص ۴۳۸، و المصنف ج ۷ ص ۴۹۳، و الإستيعاب هامش الإصابة ج ۴ ص ۲۸۶، و صفة الصفوة ج ۲ ص ۸، عن البخارى، و مسلم، و تاريخ الاسلام للذهبى ج ۲ ص ۱۵۳، و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۲

حتى اهتز مقدم شعره، ثم قال: لا و اللّه، ما أبدلنى اللّه خيرا منها الخ الرواية «۱».

و قال العسقلانى و القسطللانى: «و أن عائشة كانت تغار من نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لكن كانت تغار من خديجة أكثر» «۲».

و لعمرى، لقد كان هذا بعد الوفاة، فكيف لو كانت خديجة على قيد الحياة؟!- و إذا كانت غيرة أم المؤمنين قد بلغت الأموات، فما حالها مع الأحياء. و كيف كانت معاملتها لهن؟!.

۲- زينب بنت جحش.

لقد اعترفت عائشة فى حديث الأفك بأن زينب هى التى كانت تساميها من أزواج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و اعترفت عائشة أيضا: أنها قد أخذها ما قرب و ما بعد، حينما أراد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يتزوج زينب، لما كان يبلغهم من جمالها «۳».

و ما فعلته عائشة و حفصة مع زينب، فى قضية المغافير مشهور و مسطور، حتى ليقولون: إن هذا هو سبب نزول آية التحريم «۴»، و إن كنا

---

(۱) صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۳۴، لكنه لم يذكر جوابه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و أسد الغابة ج ۵ ص ۵۵۷/ ۵۵۸ و ۴۳۸ و الإصابة ج ۴ ص ۲۸۳، و الإستيعاب هامشها ج ۴ ص ۲۸۶/ ۲۸۷، و صفة الصفوة ج ۲ ص ۸، و مسند أحمد ج ۶ ص ۱۱۷، و ليراجع البخارى ج ۲ ص ۲۰۲ ط سنة ۱۳۰۹ ه. ق و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۲۸ و اسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ۹۶.

(۲) فتح البارى ج ۷ ص ۱۰۲، و إرشاد السارى ج ۶ ص ۱۶۶ و ج ۸ ص ۱۱۳.

(۳) الإصابة ج ۴ ص ۳۱۴، و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۷۲، و الدر المنثور ج ۵ ص ۲۰۲ عن ابن سعد، و الحاكم.

(۴) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۷۶، و حياة الصحابة ج ۲ ص ۷۶۱ عن البخارى و مسلم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۳

نعتقد أنها نزلت فى غير هذه القضية.

و اعترف عمر بن الخطاب بجمال زينب، عندما قال لابنته، ليس لك حظوة عائشة، و لا حسن زينب «۱».

فلو كانت عائشة موصوفة بالحسن لقدمها على زينب فى هذا الأمر.

أما بالنسبة للفقرة الأولى فنحن نشك فى صحتها، و نعتقد أنها سياسة من عمر تجاه أم المؤمنين، أو من تزيد «۲» الرواة لحاجة فى النفس، و ذلك لما تقدم و سيأتى.

و مهما يكن من أمر، فإن أم سلمة تذكر:

أن زينب كانت معجبة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و كان يستكثر منها «۳».

۳- أم سلمة رحمها اللّه تعالى:

كانت أم سلمة من أجمل الناس «۴».

و عن الإمام الباقر: أنها أجمل نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و يذكرون أن قصة المغافير من عائشة و حفصة كانت معها «۵». كما أن عائشة قد اعترفت بأن أم سلمة و زينب كانتا أحب نسائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إليه بعدها «۶».

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۳۷، ۱۳۸.

(۲) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۷۳، و تهذيب الاسماء و اللغات ج ۲ ص ۳۴۷.

(۳) المواهب اللدنية ج ۱ ص ۲۰۵ و تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۳۶۲.

(۴) راجع طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۲۲، و الدر المنثور ج ۶ ص ۲۳۹.

(۵) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۸۱.

(۶) الإصابة ج ۴ ص ۴۵۹، و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۴

تقول عائشة: «و لما تزوج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أم سلمة حزنت حزنا شديدا، لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؛ فرأيت و اللّه أضعاف ما وصفت الخ» «۱».

و قال ابن حجر: «كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، و العقل البالغ الخ» «۲».

۴- صفية بنت حيّى بن أخطب:

قالت أم سنان الأسلمية: «كانت من أضوأ ما يكون من النساء» «۳».

و لما قدمت المدينة جئن نساء الأنصار ينظرن إلى جمالها، و عائشة متنقبة معهن. فلما سألها رسول اللّه: كيف رأيت يا عائشة؟ قالت: رأيت يهودية.

فنهاها «صلى اللّه عليه و آله و سلم» عن قولها ذاك «۴».

و عندما وقعت فى السبى جعلوا يمدحونها، و يقولون: رأينا فى السبى امرأة ما رأينا ضربها «۵». و لما أرسلت صفية قصعة فيها طعام إلى النبى و هو فى بيت عائشة أخذتها رعدة حتى استقلها افكل، و ضربت القصعة، فرمت بها الخ «۶».

و قد أكد لها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أنها خير من

---

(۱) الإصابة ج ۴ ص ۴۵۹.

(۲) الإصابة ج ۴ ص ۳۴۷، و ص ۴۶۳ و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۸۷.

(۳) الإصابة ج ۴ ص ۳۴۷، و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۹۰.

(۴) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۸۸.

(۵) مسند أحمد ص ۲۷۷ ج ۶، و البخارى باب الغيرة، أواخر كتاب النكاح، لكنه لم يصرح باسم عائشة!!!

(۶) أسد الغابة ج ۵ ص ۴۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۵

حفصة و عائشة «۱».

۵- جويرية بنت الحارث:

تقول عائشة أنها كانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه؛ فأتت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» تستعينه فى كتابتها.

قالت عائشة: فو اللّه ما هى إلا أن رأيتها، فكرهتها، و قلت: يرى منها ما قد رأيت. فلما دخلت على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الخ «۲».

۶- ماريهٔ القبطية:

قالت عائشة: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على ماريهٔ، و ذلك أنها كانت جميلة جعدة، فأعجب بها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و كان أنزلها أول ما قدمت فى بيت لحارثة بن النعمان؛ فكانت جارتنا؛ فكان عامة الليل و النهار عندها، حتى فرغنا لها، فجزعت، فحوّلها إلى العالية، و كان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا «۳».

و عن أبى جعفر عليه السلام: أنه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد حجب ماريهٔ «و كانت ثقلت على نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و غرن عليها، و لا مثل عائشة» «۴».

و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يعجب بماريهٔ، «و كانت

---

(۱) الإصابة ج ۴ ص ۲۶۵، و الإستيعاب هامش الإصابة ج ۴ ص ۲۵۹، و صفة الصفوة ج ۲ ص ۵۰.

(۲) الإصابة ج ۴ ص ۴۰۵، و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۵۳، و لتراجع: البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۰۳/ ۳۰۴ و وفاء الوفاء للسمهودى ج ۳ ص ۸۲۶.

(۳) طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۸۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۰۹.

(۴) طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۸۶. و الإصابة ج ۴ ص ۴۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۶

ماريهٔ بيضاء جعدة، جميلة» «۱». و كانت حسنة الدين «۲».

و تنافست الأنصار فيمن يرضع ابراهيم، و أحبوا أن يفرغوا ماريهٔ للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، لما يعلمون من هواه فيها «۳».

و لعل مما زاد فى غيرة عائشة قضية ولادة ابراهيم منها، حتى تجرأت على نفى شبهه برسول اللّه، رغم تأكيد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لها على ذلك «۴» و حتى كان ما كان من نزول آية التحريم، كما عن السيوطى و غيره.

۷- سودة بنت زمعة:

كانت عائشة تقول: ما من الناس امرأة أحب إلى أن أكون فى مسلاخها من سودة بنت زمعة، إلا أنها امرأة فيها حسد «۵».

و ليراجع ما فعلته حفصة بسودة، و ضحكها هى و عائشة عليها «۶».

---

(۱) تهذيب الأسماء و اللغات ج ۲ ص ۳۵۵، و طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۸۶ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۰۳.

(۲) ذخائر العقبى ص ۵۴ و الاستيعاب هامش الإصابة ج ۱ ص ۴۲، و طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۵۳.

(۳) طبقات ابن سعد ج ۱ ص ۸۸ و الدر المنثور ج ۶ ص ۲۴۰ عن ابن مردويه و البداية و النهاية ج ۳ ص ۳۰۵ و قاموس الرجال ج ۱۱ ص ۳۰۵ عن البلاذرى. و راجع السيرة الحلبية ج ۳ ص ۳۰۹ و مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۳۹ و تلخيصه للذهبى بهامشه و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۸۷ ط صادر.

(۴) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۳۷، و البداية و النهاية ج ۸ ص ۷۰.

(۵) حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۶۰ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۳۱۶.

(۶) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۰۴ و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۴۱۵، ۴۱۶ دون تصريح باسم من خدعها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۷

۸- أسماء بنت النعمان:

كانت أجمل أهل زمانها و أشبّه. و قد حسدنها نساء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و خدعنها. و كانت الخديعة لها من عائشة و حفصة معا.

حتى قالت للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: أعوذ باللّه منك، فطلقها «۱».

۹- مليكة بنت كعب:

كانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحيين أن تنكحى قاتل أبيك، فاستعاذت من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: فطلقها «۲».

۱۰- أم شريك:

وهبت نفسها للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فقبلها «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فقالت عائشة: ما فى امرأة حين تهب نفسها لرجل خير. قالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها اللّه مؤمنة؛ فقال: و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى، فلما نزلت هذه الآية، قالت عائشة للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: إن اللّه ليسرع لك فى هواك «۳».

۱۱- شراف بنت خليفة:

خطب رسول اللّه امرأة من كلب؛ فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت، ثم رجعت. فقال لها رسول اللّه: ما رأيت؟ فقالت: ما رأيت طائلا.

---

(۱) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۰۶، و تاريخ الإسلام للذهبى ج ۲ ص ۴۱۶.

(۲) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۱۲.

(۳) طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۱۱۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۸

فقال رسول اللّه: لقد رأيت طائلا، لقد رأيت خالا بخدّها، اقشعرّت كل شعرة منك. فقالت: يا رسول اللّه، ما دونك سر «۱».

۱۲- حفصة بنت عمر:

بل أن عائشة كانت تغار حتى من رفيقتها حفصة، و يقال: إن قضية المغافير كانت لها معها «۲».

نهاية المطاف:

هذه كانت حالة عائشة مع زوجات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و أكثر هذه المشاكل كانت فيما يبدو بسبب غيرتها منهن، لجمالهن البارع، و حسنهن الرائع كما قدمنا، و لم نجد لأى من زوجات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» معشار ما وجدناه لعائشة من المشاكل و التجاوزات.- اللهم إلا رواية أو روايتان مرويتان عن عائشة نفسها!!! فهذا السيل العارم منها- خاصة- دون غيرها منهن، يكشف عن أن ثمة ما يبرز منها و هو أنها تحسّ بالنقص فى نفسها تجاههن من حيث الجمال على الأقل.

و هكذا، تسقط جميع الادعاآت و الروايات التى عن عروة و غيره و عنها، و التى تدعى حظوتها و مكانتها لدى النبى صلى اللّه عليه و آله. أو على الأقل تصير محل شك و ريب. و أما ما يقال فى حديث الإفك فإنه أيضا باطل و قد فصلنا القول فى ذلك فى كتاب مستقل طبع مؤخرا.

و ملاحظة أخيرة نسجلها هنا، و هى: أننا نجد عائشة تكثر من أحاديث تقبيل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و مباشرته لها، و هى

---

(۱) راجع: حياة الصحابة ج ۲ ص ۷۶۲ عن البخارى و مسلم و عن تفسير ابن كثير ج ۴ ص ۳۸۷ و عن جمع الفوائد ج ۱ ص ۲۲۹ و عن طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۸۵.

(۲) راجع: حياة الصحابة ج ۲ ص ۷۶۲ عن البخارى و مسلم و عن تفسير ابن كثير ج ۴ ص ۳۸۷ و عن جمع الفوائد ج ۱ ص ۲۲۹ و عن طبقات ابن سعد ج ۸ ص ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۲۹۹

حائض و اغتسالها و إياه من إناء واحد، و غير ذلك من الأحاديث التى تتخذ طابع الجنس، و الاغراء، و اللذة. و لا نجد من ذلك الشىء الكثير عند غيرها من نسائه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و لعل ذلك يرجع إلى أنه لم يكن ثمة ما يربطها برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بصورة قوية، حيث لم يكن لها ولد منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و ليس لديها من المستوى الفكرى و الثقافى و العملى ما يصلح أن يكون نقطة اشتراك و يجعل لها به ارتباطا خاصا و وثيقا و ليست اهتماماتها من جنس اهتماماته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و لا تطلعاتها تلتقى مع تطلعاته «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و ماذا بعد:

هذا و أننا لا نجد مبررا لتحمل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» من عائشة جرأتها. و تجاوزاتها المتكررة و إيذائها له فى أخيه على، و فى زوجاته، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يتخذ القرار النهائى بالنسبة إليها، لأن السياسة كانت تقضى عليه بتحمل كل هذه المشاق. و يدلنا على أن النبى كان يتعامل مع زوجاته من موقعه السياسى الحرج، لا من جو بيت الزوجية. قول عمر لحفصة- عندما تظاهرت على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مع عائشة، و اعتزلهن: «و اللّه، لقد علمت أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يحبك، و لو لا أنا لطلقك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»» «۱».

هذا، و لم يكن ثمة من يستطيع الجهر بالحقيقة، و إظهار الواقع.

لأن الجهاز الحاكم كله كان يمسك بركاب عائشة، و يعلى قدرها، و يرفع من شأنها؛ لأنه كان يستفيد منها أعظم الفوائد، و أسناها. و كان ثمة خطة

---

(۱) صحيح مسلم ج ۴ ص ۱۸۹. و لسوف يأتى مزيد توضيح لذلك فى البحث عن سبب تكثر زوجاته قبل واقعة احد فى هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰۰

مرسومة لإظهار عظيم منزلتها، و إغداق الأوسمة عليها، بثمن، أو بغير ثمن!!

و كانت هى تستغل موقعها كزوجة للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و كأم للمؤمنين إلى أقصى الدرجات، كما أنها كانت تستفيد من حاجة الهيئة الحاكمة إليها، و كل ذلك يفسر لنا السر فى أنها كانت توحى للناس بأنها أقرب زوجات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إليه، و آثرهن لديه؛ لجمالها، و لكونه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد تزوجها بكرا حسب دعواها. و كأن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان يهتم للبكارة و للجمال (مع نقاش لنا فى ذلك).

و لا ندرى ما هو السر فى تواضع أم المؤمنين إلى هذا الحد حتى إنها لم تر فى نفسها المؤهلات لأن تعتز بالدين، و بالمعانى الإنسانية النبيلة أو لعلها كانت ترى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا ينطلق فى حبه و بغضه من الدين و الأخلاق، و إنما من الشهوة، فصورته للمسلمين على أنه رجل شهوانى لا أكثر.

دخول الاسلام إلى المدينة:

اشارة

و ثمة خلاف بين المؤرخين فى من؟ و متى؟ و كيفية إسلام أول دفعة من أهل المدينة. و لكننا نستطيع أن نؤكد على أن الإسلام قد دخل المدينة على مراحل. فأسلم أولا: أسعد بن زرارة. و ذكوان بن عبد القيس، حينما كان المسلمون محصورين فى الشعب. ثم أسلم خمسة، أو ثمانية، أو ستة نفر بعد ذلك، ثم كانت بيعة العقبة الأولى، ثم كانت بيعة العقبة الثانية، و هذا هو ما يظهر من مغلطاى «۱» و غيره.

و لذلك فهم يقولون: إن أسعد بن زرارة، و ذكوان بن عبد القيس

---

(۱) راجع سيرة مغلطاى ص ۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰۱

الخزرجيين قدما مكة فى أحد المواسم، حينما كانت قريش تحاصر الهاشميين فى الشعب (شعب أبى طالب)، بهدف طلب الحلف من عتبة بن ربيعة على الأوس. فرفض عتبة ذلك، و قال: بعدت دارنا عن داركم، و لنا شغل لا نتفرغ لشىء. فسأله عن هذا الشغل؛ فأخبره بخروج النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فيهم، و أنه أفسد شبابهم، و فرق جماعتهم ثم حذره من الاتصال به، فإنه ساحر يسحره بكلامه. و أمره إذا أراد الطواف أن يضع القطن فى أذنيه، حتى لا يسمع ما يقوله النبى صلى اللّه عليه و آله، الذى كان آنئذ يجلس فى الحجر مع طائفة من بنى هاشم.

و كانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم.

و جاء أسعد للطواف، و رأى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» جالسا فى الحجر، فقال فى نفسه: ما أجد أجهل منى. أن يكون هذا الحديث فى مكة فلا أتعرّفه، حتى أرجع إلى قومى فأخبرهم؟، ثم آخذ القطن من أذنيه فرمى به، و جاء إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فسلم عليه، و كلمه؛ فعرض عليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ما جاء به فأسلم، و اسلم بعده ذكوان.

و فى رواية: أنه لما التقى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بأسعد بن زرارة و ذكوان، قال أسعد للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: يا رسول اللّه، بأبى أنت و أمى، أنا من أهل يثرب، من الخزرج، و بيننا و بين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها اللّه بك، و لا أجد أعز منك، و معى رجل من قومى، فإن دخل فى هذا الأمر رجوت أن يتمم اللّه لنا أمرنا فيك.

و اللّه يا رسول اللّه، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، و يبشروننا بمخرجك، و يخبروننا بصفتك، و أرجو أن يكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد اعلمنا اليهود ذلك؛ فالحمد للّه الذى ساقنى إليك، و اللّه ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، و قد آتانا اللّه بأفضل مما أتيت له.

ثم اقبل ذكوان، فقال له أسعد: هذا رسول اللّه الذى كانت اليهود

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰۲

تبشرنا به، و تخبرنا بصفته؛ فهلم فأسلم؛ فأسلم ذكوان الخ «۱».

ثم فى سنة إحدى عشرة من النبوة خرج النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فى الموسم، يعرض على القبائل دعوته، و يطلب منهم نصرته؛ فالتقى على العقبة برهط من الخزرج؛ فدعاهم إلى اللّه و الإسلام، و قرأ عليهم القرآن فآمنوا به، و كانوا ستة نفر، و هم: اسعد بن زرارة، و جابر بن عبد اللّه بن رئاب، و عوف بن الحارث و رافع بن مالك، و عقبة و قطبة ابنا عامر. و قيل: ثمانية نفر و قيل غير ذلك (و ثمة اختلاف فى أسمائهم، و ذكر أشخاص آخرون مكان بعض من قدمنا أسماءهم، و لا مجال لتحقيق ذلك).

و رجع أولئك النفر إلى قومهم فى المدينة، فذكروا لهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و دعوهم إلى الإسلام. ثم كانت

بيعة العقبة الأولى فى سنة اثنتى عشرة من البعثة أى قبل الهجرة بسنة «۲».

و لعل أسعد بن زرارة كان قد كتم إسلامه هو و ذكوان، حتى كان لقاء هؤلاء الستة أو الثمانية معه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبل الهجرة بسنة فأعلنوا ذلك

و نحن قبل أن نمضى فى الحديث نشير إلى ما يلى:

۱- اخبارات أهل الكتاب:

يفهم مما تقدم: إن أهل المدينة كانوا يسمعون من اليهود خبر ظهور النبى عن قريب، و أن ذلك قد جعلهم مهيئين نفسيا لقبول الدين الذى جاء به هذا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۹ و اعلام الورى ص ۵۷ عن على بن ابراهيم.

(۲) البحار ج ۱۹ ص ۹ و اعلام الورى ص ۵۷ عن على بن ابراهيم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰۳

۲- المشاكل بين الأوس و الخزرج:

لقد كان ثمة حروب هائلة بين الأوس و الخزرج، كانت آخرها وقعة بعاث التى انتصرت فيها قبيلة الأوس، حينما كان الهاشميون و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» محصورين فى شعب أبى طالب. و كانت الحالة بين القبيلتين صعبة للغاية، حتى ليذكرون: أنهم ما كانوا يضعون السلاح لا- فى الليل و لا فى النهار «۱» مما يعنى أنهم يعانون من أقسى الحالات التى يمكن أن يواجهها من يملك إمكانات معيشية محدودة مثلهم.

و حتى لقد كان واضحا: أنهم كانوا يتطلعون بشوق إلى الخروج من هذه الحالة المأساة. و يأملون فى وصل الحبال المقطوعة فيما بينهم، كما عبر عنه أسعد بن زرارة، الذى كان يعمل من أجل عقد حلف مع عتبة بن ربيعة ضد الأوس.

فأهل المدينة إذن قد ذاقوا مرارة الانحراف و الظلم. و هم يريدون المنقذ الحقيقى لهم. و قد وجدوه فى نبى الإسلام الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم، الذى جاءهم بتعاليم الشريعة السهلة السمحاء. و لذلك فقد قالوا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «نرجع إلى قومنا، و نخبرهم بالذى كلمتنا به، فما أرغبنا فيك. إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم، لا نعلم حيا من العرب بينهم من العداوة ما بينهم. و سنرجع إليهم بالذى سمعنا منك، لعل اللّه يقبل بقلوبهم، و يصلح بك ذات بينهم، و يؤلف بين قلوبهم» «۲».

۳- تعاليم الشريعة السمحاء:

إن تعاليم الإسلام لهى التعاليم الموافقة للفطرة السليمة، و بلا تعقيد

---

(۱) البحار ج ۱۹ ص ۸ و ۹ و ۱۰ و اعلام الورى ص ۵۵.

(۲) الثقات لابن حبان ج ۱ ص ۹۰/ ۹۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰۴

أو إبهام فيها، فهى بسيطة و سهلة، لا يحتاج إدراك حقانيتها إلى تفكير عميق، أو إجهاد فى فهم مراميها، و التكهن بنتائجها.

و لـذلك نجد أهل المدينة يدركون بسرعة قدرة هذه الدعوة على حل مشاكلهم، فيسارعون إلى قبولها، بمجرد سـماعهم لأهدافها، و مبادئها.

و من الواضـح: أن أهـل المدينـة كانوا لا يعانون من ظروف أهل مكـة، الـذين يحاربون الإسـلام؛ لأنهم رأوا فيه خطرا على مصالحهم الشخصية، و امتيازاتهم الظالمة التى فرضوها لأنفسهم، و أهوائهم و انحرافاتهم، كما أوضحناه فى غير موضع.

إن أهـل المدينـة بالإضافـة إلى إخبـارات اليهود لهم، قـد رأوا منـذ اللحظات الأولى فى الإسـلام و تعاليمه المنقـذ لهم، و المخرج من الظلمات إلى النور، و من الموت إلى الحياة، و رأوا فيه الموافقـة للفطرة و العقل السـليم. سواء على صـعيد العقائـد أو التشـريع، أو على صعيـد اتخاذ القرار الاجتماعى و السياسـى، فقد سألوا النبى صـلى اللّه عليه و آله و سـلم عما يدعو إليه، فقال: إلى شـهادة أن لا إله إلا اللّه، و أنى رسول اللّه، و أدعوكم إلى:

«أن لا تشـركوا به شـيئا، و بالوالدين إحسانا، و لا تقتلوا أولادكم من املاق، نحن نرزقكم و إياهم، و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و مـا بطن، و لاـ تقتلوا النفس التى حرم اللّه إلاـ بـالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن، حتى يبلغ أشـده، و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط، لا نكلف نفسا إلا وسـعها، و إذا قلتم فاعدلوا، و لو كان ذا قربى، و بعهد اللّه أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون» «۱».

و لأجل ذلك اعتقدوا بهذه الدعوة، و حاربوا قريشا و العرب من أجلها

---

(۱) الانعام/ ۱۵۱- ۱۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰۵

و فى سبيلها.

۴- المدنيون و المكيون:

إن الوثنية التى كان أهل المدينة يدينون بها لم تستطع أن تحل مشاكلهم الداخلية، على اختلافها، و لا حتى أن تخفف من حدتها. كما أنها لم تكن تجلب لهم امتيازات اجتماعية، و لا اقتصادية و لا غيرها.

و لـذلك فقـد ضـعفت و وهنت، و زاد فى ضـعفها و وهنهـا مخالفتهـا للفطرة السـليمة، و العقـل القويم. ثم جاءت اخبارات اليهود لهم بقرب ظهور نبى يخبر عن اللّه لتزيد من ذلك الضعف و الوهن إلى حد بعيد.

و هـذا تماما على عكس الحال فى مشـركى مكة؛ فإنهم كانوا يسـتفيدون من وثنيتهم اجتماعيا و اقتصاديا. و جعلوا من أنفسـهم محورا تلتقى عليه سائر الفئات و القبائل فى المنطقة، و كرّسوا لأنفسـهم الكثير من الامتيازات الظالمة.- و لم يكونوا على اسـتعداد للتخلى عن هـذه الامتيـازات من أجـل خدمـة الحق و الإنسـان، بل كانوا يضـحون بالإنسان و الحق فى سبيل امتيازاتهم، و انحرافاتهم، و مصالحهم تلك.

هـذا، و لا بـد من ملاحظة ما قدمناه حين الكلام على العوامل التى ساعدت على انتصار الإسـلام و انتشاره، لنجد: أن شخصـية الرسول العظيمـة، و أخلاقه الكريمـة، و كونه من أرفع بيت فى قريش و العرب- و يضـيف البعض: رابطة القربى، التى كانت تربطه ببنى النجار الخزرجيين، عن طريق آمنة بنت وهب «۱» كل ذلك و سواه مما تقدم قد أسـهم فى إقبال أهل المدينة على الإسلام، و تقبل دعوته، و التضحية فى سبيله.

---

(۱) و لكنه تعليل لا شاهد له، مادام ان مجرد وجود رابطة كذلك لا توجب ما ذكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰۷

الفصل الثالث: بيعة العقبة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۰۹

بيعة العقبة الأولى:

يقول المؤرخون: إنه حينما عاد أولئك النفر المدنيون الذين أسلموا الى المدينة ذكروا لأهلها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و دعوهم الى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الإنصار، إلا و فيها ذكر من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

حتى إذا كان العام المقبل أى فى السنة الثانية عشرة من البعثة، وافى الموسم اثنا عشر رجلا اثنان منهم اوسيان، و الباقون من الخزرج، فالتقوا مع الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى العقبة، و بايعوه على بيعة النساء، أى البيعة التى لا تشتمل على حرب، أى: «على أن لا يشركوا باللّه شيئا، و لا يسرقون، و لا يزنون، و لا يقتلون أولادهم، و لا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم و أرجلهم، و لا يعصونه فى معروف، فان وفوا فلهم الجنة و ان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم الى اللّه عز و جل، ان شاء عذب، و ان شاء غفر». الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۳ ۳۰۹ بيعة العقبة الأولى: ..... ص : ۳۰۹

و لما رجعوا الى المدينة أرسل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، و يعلمهم الإسلام، و يفقههم فى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۰

الدين، فكان يسمى المقرى. و ألحقه با بن أم مكتوم «۱» كما قيل. و أقام مصعب أول صلاة جمعة فى المدينة!!.

و قد نجح مصعب، و من معه ممن أسلم فى الدعوة الى اللّه تعالى، و اسلم سعد بن معاذ، الذى كان السبب فى إسلام قومه بنى عمير بن عبد الاشهل، حيث إنه حين اسلم على يد مصعب رجع الى قومه، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعرفون أمرى فيكم؟

قالوا: سيدنا و افضلنا رأيا، و ايمننا نفسا و أمرا.

قال: فان كلام رجالكم و نسائكم على حرام حتى تؤمنوا باللّه و رسوله.

قال: فو اللّه، ما أمسى فى دار قبيلة بنى عبد الاشهل رجل و لا إمرأة إلا مسلما، او مسلمة «۲»، فأسلموا كلهم فى يوم واحد، (إلا عمرو بن ثابت، فانه تأخر اسلامه الى أحد، فأسلم، ثم استشهد قبل أن يسجد للّه سجدة واحدة، كما قيل).

و أقام مصعب بن عمير يدعو الناس الى الاسلام، حتى أسلم الرجال و النساء، من الانصار باستثناء جماعة من الاوس، اتبعوا فى ذلك أحد زعمائهم، الذى تأخر اسلامه الى ما بعد هجرة الرسول الاعظم «صلى اللّه

---

(۱) السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۵۱ و ۱۵۲ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹ و فيه أن الواقدى ذكر ان ابن أم مكتوم إنما قدم المدينة بعد بدر بقليل، و فى كلام ابن قتيبة أنه قدم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين. ثم جمع الحلبى بين الاقوال باحتمال: أن يكون قد علم أهل المدينة ثم عاد إلى مكة، ثم عاد فهاجر بعد بدر .. و هو احتمال وجيه لا باس به.

(۲) راجع ما تقدم: فى سيرة ابن هشام ج ۲ ص ۷۹- ۸۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ح ص ۱۴ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۹۰ و

السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۱

عليه و آله و سلم» «۱».

و لنا هنا وقفات، فلنقف أولا مع:

دعوة سعد بن معاذ قومه:

إن الدعوة الى اللّه ليست مختصة بالانبياء و الاوصياء بل هى شاملة لكل مكلف بحسب ما يملك من طاقات و قدرات. و هى من الامور التى يلزم بها العقل الفطرى السليم، و يوجبها على كل إنسان، و لا تحتاج الى جعل شرعى؛ فإن العقل يدرك أن فى ارتكاب المنكرات، و ترك الواجبات، و الإنحراف فى الفكر و العقيدة و السلكوك ضررا جسيما على المجتمعات و على الأجيال و لذلك فهو يحكم بلزوم الدعوة الى الإلتزام بالخط الفكرى الصحيح، و ترك المنكر، و فعل المعروف.

و هذا هو- بالذات- ما يفسر لنا اندفاع سعد بن معاذ فى الدعوة الى اللّه تعالى، حتى انه على استعداد لقطع كل علاقة مع قومه إذا كانوا ضالين منحرفين.

و ان عظمة هذا الموقف لتتضح أكثر إذا عرفنا مدى ارتباط سعادة و مصير الانسان العربى فى تلك الفترة بقبيلته و مدى ارتباطه بها فهو حين يضحى بعلاقاته القبلية، فإنه يكون قد ضحى بأمر عظيم و أساسى فى حياته و فى مصيره، و مستقبله، فى سبيل دينه.

و قد جاء القرآن مؤيدا لحكم العقل و الفطرة هذا؛ ففرض على كل من كان له بصيرة فى امر الدين ان يدعو الى اللّه قال تعالى: قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي «۲».

---

(۱) السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۸۴ و راجع تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۹۰ و السيرة لابن هشام ج ۲ ص ۷۹- ۸۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ح ص ۱۴.

(۲) يوسف/ ۱۰۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۲

كما أننا لا بد أن نشير أيضا: إلى أن من عرف الحق، و ذاق حلاوة الايمان، فإنه لا يملك نفسه من الاندفاع فى محاولة لجلب الآخرين نحو هذا الحق، و جعلهم يؤمنون به، و يستفيدون منه، و يلتذون به و يشعرون بحلاوته.

و لذلك نجد الامام على بن الحسين «عليه السلام»، الذى كان يخشى على شيعته، الذين هم الصفوة فى الامة الاسلامية، و الذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد، و البلايا فى الدولة الاموية، و بعدها فى الدولة العباسية كان يظهر تذمره من عدم مراعاة الشيعة للظروف و المناسبات، و هو يرى حدة اندفاعهم نحو إظهار أمرهم، بسبب شعورهم بحلاوة الإيمان، و ضرورة ابلاغ كلمة الحق، قال الإمام السجاد «عليه السلام»: «وددت انى افتديت خصلتين فى الشيعة ببعض لحم ساعدىّ:

النزق و قلة الكتمان» «۱»

أضف الى ذلك: أن التراحم فيما بين المؤمنين، و الشدة على الكافرين يصبح امرا طبيعيا، كما قال تعالى: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ.

البيعة:

و نجد: أن نص البيعة قد تضمن الخطوط العريضة، و أهم المبادىء التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى، و هى تتضمن جانبا عقائديا، و

آخر عمليا. و قد حملهم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مسؤوليات معينة فى علاقاتهم مع بعضهم بعضا. و جعل التزامهم هذا قائما على اعطاء تعهد من قبلهم، يرون مخالفته تتنافى مع شرف الكلمة و قدسيتها؛ و ذلك تحت

---

(۱) سفينة البحار ج ۱ ص ۷۳۳ و البحار ج ۷۵ ص ۶۹ و ۷۲ عن الخصال ج ۱ ص ۲۴ و الكافى ج ۲ ص ۲۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۳

عنوان: «البيعة» التى تعنى اعطاء كلمة الشرف بالالتزام بتلك المبادىء.

و لكنه لم يقرر عقابا عنيفا لمن ينقض هذا العهد، و يتجاوز و يغش فيه؛ فإن الوقت حينئذ لم يكن مناسبا لقرار كهذا. بل اوكل ذلك الى الوجدان و الضمير الشخصى لكل منهم، مع ربطه بالمبدأ العقيدى. و مع إعطاء الفرصة له للعودة لاصلاح الخطأ إن كان؛ حيث أبقى الامل حيا لدى ذلك الذى يمكن أن يغش، و أوكل امره الى اللّه، إن شاء عذب، و إن شاء غفر.

صلاة الجمعة:

و قد تقدم فى الحديث: أن مصعب بن عمير قد جمع بالمسلمين فى المدينة قبل الهجرة «۱». و ربما يشكل على ذلك: بأن سورة الجمعة قد نزلت بعد هجرته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى المدينة؛ فكيف صلى مصعب الجمعة قبل تشريعها.

و الجواب: أننا لو سلمنا أن المراد بجمع، صلى الجمعة. إذ من المحتمل: أن يكون المراد صلى جماعة- لو سلمنا ذلك- فإن قوله تعالى فى سورة الجمعة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ «۲». ليس المقصود به تشريع إقامة الجمعة، و إنما هو يوجب السعى الى الجمعة التى تقام، فلعل وجوب إقامتها كان قبل ذلك قد جاء على لسانه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة، و لكن لم يكن يمكن إقامتها، أو كان يقيمها سرا و لم يصل ذلك إلينا.

و يؤيد ذلك قوله تعالى: وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها

---

(۱) و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۹ و التعليق المغنى (مطبوع بهامش سنن الدار قطنى) ج ۲ ص ۵ عن الطبرانى فى الكبير و الأوسط.

(۲) الجمعة/ ۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۴

وَ تَرَكُوكَ قائِماً، قُلْ: ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَةِ «۱»؛ فإن ذلك يشير الى ان الجمعة كانت قد شرّعت قبل ذلك. و أن هذا كان سلوكهم معه «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و يؤيد ذلك: ما أخرجه الدارقطنى، عن ابن عباس، قال: أذن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الجمعة قبل أن يهاجر، و لم يستطع ان يجمع بمكة؛ فكتب الى مصعب بن عمير: أما بعد، فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور، فاجمعوا نساءكم و ابناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا الى اللّه بركعتين. قال: فهو أول من جمع، حتى قدم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» المدينة، فجمع بعد الزوال من الظهر، و أظهر ذلك «۲».

و ثمة روايات تفيد: أن أول من جمع بهم هو أسعد بن زرارة «۳» و سيأتى بعض الكلام أيضا حول صلاة الجمعة فى آخر هذا الجزء إن شاء اللّه تعالى.

بيعة العقبة الثانية:

و عاد مصب بن عمير من المدينة الى مكة، فعرض على النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نتائج عمله؛ فسر بذلك نبى الاسلام سرورا

(۱) الجمعة/ ۱۱.

(۲) الدر المنثور ج ۶ ص ۲۱۸ عن الدارقطنى. و السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۱۲.

(۳) الدر المنثور ج ۶ ص ۲۱۸ عن أبى داود، و ابن ماجة و ابن حبان، و البيهقى، و عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن المنذر و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۲۶. و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵۹ و ص ۹ و سنن الدارقطنى ج ۲ ص ۵/ ۶ و فى التعليق المغنى على الدارقطنى (مطبوع بهامش السنن) ص ۵ قال: الحديث اخرجه ابو داود، و ابن ماجة و ابن حبان و الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم و البيهقى فى سننه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۵

عظيما «۱».

و فى موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة أتى من أهل المدينة جماعة كبيرة بقصد الحج، ربما تقدر عدتهم بخمس مئة «۲»، فيهم المشركون، و فيهم المسلمون المستخفون من حجاج المشركين من قومهم، تقية منهم.

و التقى بعض مسلميهم بالرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و وعدهم اللقاء فى العقبة فى أواسط أيام التشريق ليلا، إذا هدأت الرجل.

و أمرهم ان لا ينبهوا نائما، و لا ينتظروا غايبا.

و يلاحظ هنا: ما لهذا التوقيت من أهمية، فلو انكشف أمرهم، فسيكون ذلك بعد تمام حجهم، و مفارقتهم للبلد، و لا يبقى من ثم مجال للضغط عليهم بشكل فعال

و يلاحظ كذلك: أمره «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لهم بأن لا- ينبهوا نائما، و لا- ينتظروا غائبا. و ذلك كى لا ينكشف امرهم إذا لاحظ غيرهم عدم طبيعية تصرفاتهم.

و فى تلك الليلة بالذات ناموا مع قومهم فى رحالهم، حتى إذا مضى ثلث الليل بدؤا يتسللون إلى مكان الموعد، واحدا بعد الآخر، و لا يشعر بهم أحد حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبة، و هم سبعون او ثلاثة و سبعون رجلا، و امرأتان.

و التقوا بالرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هناك فى الدار التى كان «صلى اللّه عليه و آله و سلم» نازلا- فيها، و هى دار عبد المطلب، و كان

(۱) و فى البحار ج ۱۹ ص ۱۲: أن مصعبا قد كتب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بذلك و كذا فى اعلام الورى ص ۵۹.

(۲) طبقات ابن سعد ج ۱ قسم ۱ ص ۱۴۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۶

معه حمزة و على، و العباس «۱».

و بايعوه على أن يمنعوه و أهله مما يمنعون منه أنفسهم، و أهليهم و أولادهم، و أن يؤووهم، و ينصروهم، و على السمع و الطاعة فى النشاط و الكسل، و النفقة فى العسر و اليسر، و على الامر بالمعروف، و النهى عن المنكر و ان يقولوا فى اللّه، و لا يخافوا لومة لائم، و تدين لهم العجم، و يكونون ملوكا.

و عند آخرين- و النص لمالك-، عن عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» على السمع و الطاعة، فى العسر و اليسر، و المنشط و المكره، و أن لا ننازع الأمر أهله و أن نقول (او نقوم) بالحق حيثما كنا، لا نخاف فى اللّه لومة لائم «۲»» قال السيوطى: «يريد الملك و الإمارة «۳»».

و قد أدرك العباس بن نضلة خطورة الموقف، و لا سيما من قوله «صلى اللّه عليه و آله و سلم»: «و تدين لكم العجم، و تكونون ملوكا»، و أنهم مقدمون على مواجهة و مقاومة، ليس فقط مشركى مكة او الجزيرة العربية، و إنما العالم بأسره. فأحب ان يستوثق من الامر، و يفتح عيون المبايعين ليكونوا على بصيرة من أمرهم، حتى لا يقولوا فى يوم ما: لو كنا

---

(۱) اعلام الورى ص ۵۹، و تفسير القمى ج ۱ ص ۲۷۳، و البحار ج ۱۹ ص ۱۲- ۱۳ و ۴۷ عنهما، و عن قصص الانبياء، و راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۶، و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۵۲.

(۲) الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج ۲ ص ۴ و راجع سير اعلام النبلاء ج ۲ ص ۷ و مسند احمد ج ۵ ص ۳۱۴ و ۳۱۶ و سنن النسائى ج ۷ ص ۱۳۸- ۱۳۹ و صحيح البخارى ج ۴ ص ۱۵۶ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۶۴ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۹۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۴۵۲ ط دار الكتب العلمية و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۲۰۴ و صحيح مسلم ج ۶ ص ۱۶ و ۱۷.

(۳) تنوير الحوالك: ج ۲ ص ۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۷

نعلم ان الامر ينتهى الى هذا لم نقدم.

فقال لهم: يا معشر الاوس و الخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الاحمر و الابيض، و على حرب ملوك الدنيا؛ فان علمتم انه إذا أصابتكم المصيبة فى انفسكم خذلتموه و تركتموه، فلا تغروه فان رسول اللّه، و ان كان قومه خالفوه، فهو فى عز و منعة.

فقال عبد اللّه بن حزام، والد جابر، و أسعد بن زرارة، و أبو الهيثم بن التيهان: مالك و للكلام؟! يا رسول اللّه، بل دمنا بدمك، و أنفسنا بنفسك، فاشترط لنفسك، و لربك ما شئت «۱».

و يذكر أيضا: أن أسعد بن زرارة قد قال فى بيعة العقبة: يا رسول اللّه، إن لكل دعوة سبيلا، إن لين، و إن شدة، و قد دعوت اليوم الى دعوة متجهمة للناس، متوعرة عليهم:

دعوتنا الى ترك ديننا و إتباعك على دينك، و تلك رتبة صعبة، فأجبناك الى ذلك.

و دعوتنا الى قطع ما بيننا و بينه الناس من الجوار و الارحام، القريب و البعيد، و تلك رتبة صعبة؛ فأجبناك الى ذلك.

و دعوتنا، و نحن جماعة فى دار عز و منعة، لا يطمع فيها أحد: ان يرأس علينا رجل من غيرنا، افرده قومه، و أسلمه أعمامه، و تلك رتبة صعبة، فأجبناك الى ذلك الخ «۲».

---

(۱) راجع ما تقدم فى البحار ج ۱۹ ص ۱۲/ ۱۳ عن اعلام الورى، و راجع: دلائل النبوة للبيهقى ج ۲ ص ۴۵۰ ط دار الكتب العلمية و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۸ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۸۸ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۶۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۲۰۱ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۷.

(۲) حياة الصحابة: ج ۱ ص ۸۸ و دلائل النبوة لأبى نعيم: ص ۱۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۸

و يذكر المؤرخون هنا أيضا: أن العباس بن عبد المطلب قد حضر بيعة العقبة و أنه أراد ان يستوثق لابن أخيه فبدأ هو الكلام، فقال: يا معشر الخزرج، إن محمدا منا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا، فهو فى عز من قومه، و منعة فى بلده، و قد أبى إلا الانحياز اليكم، و اللحوق بكم، فان كنتم ترون انكم وافون بما دعوتموه إليه، و مانعوه ممن خالفه، فأنتم و ما تحملتم من ذلك، و إن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه فإنه فى عز و منعة من قومه و بلده.

و فى روايـة، أنه قال لهم: قـد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فان كنتم أهل قوة و جلد، و بصـر فى الحرب، و اسـتقلال بعدواة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم. و ائتمروا بينكم الخ ..

و بعد أن اسـتمع الى اجابتهم، طلب «صـلى اللّه عليه و آله و سلم» منهم: أن يخرجوا له اثنى عشر نقبيا، أى كفيلا يكفل قومه، فأخرجوا له تسعة من الخزرج، و ثلاثة من الأوس؛ فكانوا نقباء و كفلاء قومهم.

و عرفت قريش بالاجتماع؛ فهاجت، و أقبلوا بالسلاح.

و سمع الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» النداء؛ فأمر الانصار بالتفرق، فقالوا: يا رسول اللّه، إن أمرتنا ان نميل عليهم بأسيافنا. فعلنا. فقال: لم أؤمر بذلك، و لم يأذن اللّه لى فى محاربتهم، فقالوا: يا رسول اللّه، فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر اللّه ...

فجاءت قريش على بكرة ابيها، قد حملوا السـلاح. و خرج حمزة، و معه السـيف، هو و على بن ابى طالب «عليه السلام». فلما نظروا الى حمزة قالوا: ما هذا الذى اجتمعتم له؟.

فعمل حمزة بالتقية من أجل الحفاظ على النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سلم» و المسلمين و الاسلام، فقال: ما اجتمعنا، و ما هاهنا أحد، و اللّه لا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۱۹

يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفى.

فرجعوا، و غـدوا الى عبـد اللّه بن أبى، فقـالوا له: قـد بلغنا أن قومك بايعوا محمـدا على حربنا. و اللّه، ما من حى أبغض من أن ينشـب الحرب بيننـا و بينه منكم. فحلف لهم عبـد اللّه: أنهم لم يفعلوا، و لا علم له بـذلك، و انهم لم يطلعوه على أمرهم؛ و تفرقت الانصار، و رجع رسول اللّه الى مكة.

و لكن قريشا قد تأكدت بعد ذلك من صـحة الخبر؛ فخرجت فى طلب الأنصار؛ فأدركوا سعد بن عبادة، و المنذر بن عمير. فأما المنذر فـأعجزهم. و أما سـعد فأخـذوه، و عـذبوه. فبلغ خبره جبير بن مطعم، و الحارث بن حرب بن أميـة، فأتياه و خلصاه؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما، و يمنع الناس من التعدى عليها «۱».

و لنا قبل المضى فى الحديث هاهنا وقفات. فنشير اولا الى: دور العباس فى بيعة العقبة:

تذكر بعض الروايات: أن العباس كان فى بيعة العقبة مع النبى، و لم يكن أحد غيره معه. و يقولون: إنه و إن كان حينئذ مشركا، ألا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، و يتوثق له. و قد قدمنا ما ينسب اليه من قول فى هذه المناسبة.

---

(۱) راجع فى ما تقـدم أى كتاب تاريخى أو حديثى شـئت مثل: البحار ج ۱۹ ص ۱۲/ ۱۳ و اعلام الورى ص ۵۷ و تفسير القمى ج ۱ ص ۲۷۲/ ۲۷۳ و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۱۸/ ۳۱۹ و دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلميـة ج ۲ ص ۴۵۰ و البداية و النهاية ج ۳ ص ۱۵۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۹۳/ ۲۱۰ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۱۷ و ما قبلها و ما بعدها و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۸۸ و قبلها و بعدها. و غير ذلك كثير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۰

و لكننا نشك فى صحة ذلك.

فأولا: إن فى الكلام المنسوب الى العباس تخذيلا واضـحا عن النبى «صـلى اللّه عليه و آله و سـلم»، و ليس توثيقا لأمره كما يقولون، و لا سيما قوله: «و استقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة الخ» ..

إلا أن يقال: إن هذا الكلام من العباس، إنما هو لبيان الحقيقة، ليكون الأنصار على بصـيرة من أمرهم، حتى لا يكون منهم أى تعلل فى

المستقبل.

و ثانيا: إن فى كلامه ما يخالف الحقيقة، و لا سيما قوله: «قد أبى محمد الناس كلهم غيركم»؛ فإن معناه: أن الناس كلهم غير الانصار قد وافقوا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و قبلوا مناصرته، و لكنه هو رفضهم. مع أن الامر على عكس ذلك تماما، باستثناء قبيلة شيبان بن ثعلبة التى رضيت بحمايته مما يلى مياه العرب، دون ما يلى مياه كسرى «۱» و قبيلة شيبان ليست هى «الناس كلهم».

و احتمال إرادة خصوص عشيرته لا- يتلاءم مع التعبير ب «الناس كلهم». و احتمال أن تكون العبارة: «أبى محمدا الناس» ليس له ما يؤيده، لأن النص الموجود بين أيدينا خلافه.

و ثالثا: إن موضوع الهجرة الى المدينة لم يكن قد طرح بعد، و لم يكن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أرى دار هجرتهم و لا أخبرهم برؤياه تلك، فمن أين علم العباس أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» سوف يهاجر الى المدينة؟ فهل نزل عليه الوحى فى ذلك؟! لست أدرى!! و لكننا نقرا فى كلامه قوله: «و قد أبى إلا الانحياز لكم، و اللحوق بكم.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۵ و ۱۶ و راجع السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۱۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۱

الى أن قال: و إن كنتم ترون انكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه الخ.».

إلا- ان يكونوا قد طلبوا منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يخرج اليهم، فظهر منه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» الميل الى إجابة طلبهم، و ان كان قد جاء ذلك بصيغة: لم أؤمر بذلك، أى بالهجرة، و لكنه احتمال بعيد و لا شاهد له.

رابعا: إن ما ينسب الى العباس لا يصدر إلا عن مسلم مؤمن تام الإيمان. و لم يكن العباس قد أسلم بعد بل بقى على شركه الى وقعة بدر. و خرج لحرب النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فيها مكرها، و أسلم ثمة، كما سيأتى. بل سوف يأتى انه لم يسلم الى فتح مكة.

إلا ان يكون قد قال ذلك محاماة عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بدافع الحمية و العصبية، و لكننا لم نر لهذه الحمية كبير أثر فى مواقف العباس قبل و بعد ذلك. و هذا أمر يثير العجب حقا.

و الذى نرجحه: هو أن الذى كان حاضرا و تكلم بكلام يهدف منه الى شدّ العقدة له «صلى اللّه عليه و آله و سلم» هو العباس بن نضلة الانصارى «۱» و ليس العباس بن عبد المطلب. و لذا يلاحظ مدى التشابه بين كلاميهما المنقول و المنسوب إليهما.

فلعل الأمر قد اشتبه على الراوى بين العباسين؛ لتشابه الإسمين، أو لعل العباسيين أرادوا اثبات فضيلة جليلة لجدهم، بهدف الحصول على مكاسب من نوع معين، و لعل، و لعل.

---

(۱) الإصابة: ج ۲ ص ۲۷۱، و البحار: ج ۱۹، و السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۱۷، و السيرة النبوية لدحلان: ج ۱ ص ۱۵۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۲

أبو بكر فى العقبة:

و تذكر بعض الروايات الشاذة: أن أبا بكر قد حضر العقبة، و قد جعله العباس على فم الشعب.

و نحن لا- نطيل فى بيان بطلان هذا، بعد ان كانت سائر الروايات تنص على أنه لم يكن إلا حمزة، و على «رحمه اللّه»، و العباس. مع الشك فى هذا الاخير ايضا، و ان حمزة و عليا قد خرجا الى فم الشعب حينما علمت قريش بالامر، و هاجت بالسلاح و ذلك فى أواخر لحظات الاجتماع، حسبما تقدم.

حمزة و على «عليه السلام» فى العقبة:

ان كون الاجتماع فى دار عبد المطلب ليقرب صحة ما ورد من ان حمزة و عليا قد حضرا بيعة العقبة، خصوصا و أنه كان ثمة حاجة إليهما، ليقفا ذلك الموقف البطولى الرائع فى وجه قريش و خيلائها و جبروتها؛ ليمنعاها من دخول الشعب. و يعطيا الفرصة للمجتمعين للتفرق «۱». حتى إذا دخلت قريش الشعب لم تجد أحدا؛ فترفع الأمر الى ابن أبى؛ فينكر ذلك. و لو لا موقفهما ذاك لكانت قد جرت الامور على غير ذلك النهج، و لوقع المسلمون فى مأزق حرج و خطير جدا.

و الغريب فى الامر: أننا نجد عددا من الروايات لا تذكر حضور أمير المؤمنين «عليه السلام»، و أسد اللّه و أسد رسوله. مع أنها هى نفسها تذكر قضية تجمهر و هياج قريش، و غضبها من الإجتماع!! و ان كانت تسكت عن هجومها على الشعب، و دفع حمزة و على لها، بل تكتفى بذكر لقائها

---

(۱) و يحتمل البعض: أن بعض سفهاء قريش و ليس كل قريش- قد حاولوا دخول الشعب فصدّهم على و حمزة و لكننا نقول لا مانع من تجمهر قريش .. و لكن عليا و حمزة أعاقا وصولها إلى مكان الاجتماع إلى حين تفرّق المجتمعين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۳

مع إبن أبى، ثم تتبعها للمسلمين، و ظفرها بابن عبادة الى آخر ما تقدم.

و قد فات هؤلاء: أن قريشا التى عرفت بالإجتماع بعد انفضاضه فغضبت، و هاجت، ثم اتصلت بابن أبى، فأنكر ذلك، ثم بعد انصراف الحاج لحقت بالمسلمين، و آذت سعد بن عبادة الخ، لا يمكن أن تسكت عن الهجوم على محل الإجتماع، و أخذ الأنصار و النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالجرم المشهود، و تكون حينئذ معذورة أمام من تريد الاعتذار منهم. فلماذا سكتت هنا. و غضبت و تصرفت بعنف هناك.

و على كل حال، فقد عودنا هؤلاء أن نرى منهم كثيرا من أمثال هذه الخيانات للحق و للدين؛ لأهداف دنيوية رخيصة، و صدق المثل الذى يقول:

«لأمر ما جدع قصير أنفه».

و لعلك تقول: كيف يمكن لرجلين: ان يقفا فى وجه قريش و يرداها على أعقابها؟! و هى فى إبان غضبها، و أعلى درجات تحمسها.

و الجواب: أن الرجل الواحد أيضا كان يكفى لرد كيد قريش، و ذلك لأن هذا الرجل و الرجلين يقف او يقفان على فم الشعب، حيث لا- يمكن أن يعبر إلا- أفراد او جماعات صغيرة يمكن ردها على أعقابها برد الفئة الأولى منها. و قد كان يقال: إن عمرو بن عبدود (الذى قتله امير المؤمنين «عليه السلام» يعد بألف فارس، و ذلك لانه وقف على فم الوادى، و منع الف فارس من ورودها، و لم يمكن دخول الألف إلا متفرقين بسبب ضيق المكان.

سرّية الإجتماع، و التقيّة.

إن المحافظة على سرية الإجتماع، التى بلغت الحد الذى لم يستطع حتى من كانوا ينامون مع المسلمين: أن يشعروا بشىء، و لا عرفوا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۴

بغيبة رفقائهم، و كذلك الحال فى موعد الاجتماع و مكانه، و الطريقة التى تم بها، رغم ضخامته، و اتساع نطاقه- ان كل ذلك- ليعتبر مثلا رائعا، و دليلا قويا على مدى وعى اولئك المسلمين و يقظتهم، و حسن تدبيرهم.

كما أنه برهان آخر على أن اللجوء الى عنصر السرية لا يعتبر تخاذلا، إذا كان المسلمون لا يملكون مقومات الدفاع عن أنفسهم فى مقابل قوى الظلم و الطغيان. و هو دليل آخر على أن التقية التى يقول بها الشيعة و أهل البيت، و نزل بها القرآن و تحكم بها الفطرة و

العقل السليم هى الاسلوب الصحيح فى التعامل مع الواقع بمرونة، و وعى، حينما يكون الباطل هو القوى ماديا و لا يملك أهل الحق ما يدفع عنهم او يمنع.

شروط البيعة:

و نجد هنا: أن النبى الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم، قد أخبرهم بما سوف يعترض طريقهم من مشاكل و صعوبات، فى سبيل نشر الدعوة، و الدفاع عنها. ليكونوا على علم مسبق بذلك، و على بصيرة من أمرهم، و من دون أى إبهام أو غموض. حتى لا يترك لهم فى المستقبل مجالا للإعتذار بأنهم ما كانوا يعرفون: أن الأمر سوف ينتهى بهم إلى ما انتهى إليه من مصاعب و متاعب. بل هو لا يريد أن يشعروا فى أنفسهم بالغبن، أو حتى أن يمر ذلك فى وهمهم و خيالهم على الإطلاق.

و هو بذلك يدلل لكل أحد على أنه لا يريد أن يخدع أحدا بالوعود الخلابة، و لا أن يجعلهم يعيشون الآمال و الأحلام الفارغة لأن الوسيلة عنده جزء من الهدف، رغم أنه فى أمسّ الحاجة إلى نصرتهم، بل هو لم يجد طيلة فترة دعوته غيرهم.

لماذا النقباء:

و إن من طبيعة العربى الالتزام بالعهد، و الوفاء بالذمار و تعتبر كل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۵

قبيلة: أنها مسؤولة عن الوفاء بما يلتزم به أحد أفرادها، أو حلفائها عليها.

و عندما بايع الأنصار النبى على الإيمان و النصرة حسبما تقدم- أراد أن يلزمهم ذلك بشكل محدد، بحيث يستطيع أن يجد فى المستقبل من يطالبه بالوفاء بالالتزامات و العهود، و كان أولئك النقباء هم الذين يتحملون مسؤولية الوفاء بتلك الالتزامات. و هم الذين يمكن مطالبتهم بذلك، لأنهم هم الكفلاء لقومهم، برضى منهم و من قومهم على حد سواء.

أما إذا ترك الأمور فى مجاريها العامة، فلربما يمكن لكل فرد أن يتملص و يتخلص من التزاماته، و يلقى التبعة على غيره، و يعتبر أن ذلك غير مطلوب منه، و لا يمكن بحسب تصوره أن يكون هو كفرد مسؤولا عنه.

و أما بعد أن التزم ذلك أفراد معينون، كل واحد منهم من قبيلة. فإن المسؤولية قد أصبحت محدودة، و يمكن مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم، كلما دعت الحاجة إلى ذلك. لا سيما فى مواقف الحرب و الدفاع.

و بذلك تبتعد القضية عن الأهواء الشخصية، و الأهم من ذلك عن الفوضى فى المواقف العامة، و تدخل مراحل التنظيم و البناء الاجتماعى على مستوى الفرد و الجماعة.

المشركون فى مواجهة الأمر:

يلاحظ: أن المشركين قد اهتموا لأمر هذه البيعة جدا، حتى إنهم تهددوا أهل المدينة بالحرب، مستغلين بذلك ضعف المجتمع المدنى، و تفككه بسبب الحروب الداخلية بين الأوس و الخزرج.

نعم، إنهم يهددونهم بالحرب، رغم أن حربا كهذه لسوف تجر عليهم أخطارا جسيمة من وجهة نظر إقتصادية، لأن قوافلهم إلى الشام، محل تجارتهم المفضل كان طريقها على المدينة. مما يعنى: أن المشركين كانوا يرون فى هذه البيعة خطورة قصوى، تجعلهم يضطرون

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۶

إلى التضحية بعلاقاتهم الحسنة مع كل من يتقبل هذه الدعوة و يناصرها، حتى و لو كانوا أهل المدينة، الذين كانوا يكرهون جدا أن

تنشب الحرب فيما بينهم و بينهم، كما تقدم قولهم ذلك لابن أبى. كما أن ذلك يدلنا على مدى ما كان يتعرض له المسلمون فى مكة من ظلم و اضطهاد.

منازعة الأمر أهله:

قد تقدم أن من جملة ما اشترطه الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم على أهل المدينة فى ضمن نص البيعة، هو أن لا ينازعوا الأمر أهله.

و إن اشتراط ذلك فى نص بيعة حساسة جدا فى تاريخ الإسلام، و يتقرر مصير الإسلام على نجاحها و عدمه. و تعريض هذه البيعة لخطر الرفض و الانفصام، فيما لو رفضوا الالتزام بذلك- كما كان الحال بالنسبة لبنى عامر، حسبما تقدم- ان ذلك لمما يدل على أن هذا الأمر كان له أهمية قصوى بالنسبة للرسول صلى اللّه عليه و آله الذى كان رأيه يمثل رأى الإسلام الواقعى. و يوضح أنه لن يتنازل عنه و لو تعرّض لأعظم الأخطار.

مما يعنى: أن هذا الأمر ليس له، و إنما هو للّه يضعه حيث يشاء. و أن هذا هو الأمر الذى إذا لم يبلّغه فما بلّغ رسالة ربه سبحانه و تعالى.

و يمكن أن نفهم من ذلك أيضا: أن الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم كان من أول الأمر يمهّد السبيل لجهة معينة و إلا، فكيف ينهى الناس عن منازعة الأمر أولئك الأهل المخصوصين و المؤهلين للملك و الخلافة، ثم ينسى أن يعيّن شخص ذلك الخليفة منهم؟!.

و ليعطف ذلك على ما تقدم من تعيينه ذلك الشخص حين إنذار عشيرته الأقربين. ثم على ما يأتى بعد من مواقف و تصريحات و كنايات له (ص)، و لا سيما فى قضية الغدير.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۷

النبى لم يؤمر بالحرب بعد:

كما أننا نجده «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يأذن للمجتمعين فى العقبة بأن يميلوا على قريش بأسيافهم؛ لأن معنى ذلك هو القضاء على هذا الدين، و على حماته الأبرار، و لا سيما مع قلّتهم، و كونهم فى الموسم، الذى تجتمع فيه الناس من كل حدب و صوب، و كلهم على نهج و طريقة، و مذاق قريش، و يدورون فى فلكها دينيا و عقائديا و فكريا، و حتى مصلحيا أيضا. و لن يكون هناك أية فرصة لانتصار الأنصار على عدوهم فى بلاده.

و قريش التى ترى فى المدينة أهمية خاصة لأنها على طريق قوافلها إلى الشام و لأجل ذلك أطلقت سعد بن عبادة. لن تسكت على موقف الأنصار هذا. و يكون لها كل الحق أمام أهل الموسم، و حتى أمام المدنيين المشركين فى أن تضربهم الضربة القاصمة و القاضية، لأنهم فى موقف المعتدى، و على قريش أن ترد هذا الاعتداء بالكيفية و بالحجم الذى تراه مناسبا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۲۹

الباب الخامس: من مكة الى المدينة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳۱

الفصل الأول: ابتداء الهجرة الى المدينة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳۳

حب الوطن من الإيمان:

لقد ورد عنهم عليهم السلام أن «حب الوطن من الإيمان» «۱» و إننا بغض النظر عن سند هذا الحديث. لربما يصعب علينا- لأول وهلة- تصور معنى سليم و مقبول لهذه الكلمة؛ إذ لماذا يكون حب الوطن من الإيمان؟! و هل يمكن أن يكون لهذا التراب بما هو تراب، ولد الإنسان عليه، و عاش فى أجوائه، مهما كان وضعه الجغرافى سيئا، قيمة و احترام إلى حد أن يعتبر حبه من الإيمان؟ و بسوى هذا الحب، فإن الإيمان يكون ناقصا، و ليس فيه تلك الفاعلية المتوخاة؟.

و إننا فى مقام الإجابة على هذا السؤال، نقول:

إن هذا الحب الذى يهتم به الإسلام لا يمكن أن يكون حبا عشوائيا، لا هدف له، و لا فائدة منه. و لا فى خط مخالف للإسلام. و إنما هو حب منسجم مع أهداف الإسلام العليا، و من منطلق إيمانى واقعى إلهى، فإنه «من الإيمان».

كما أن الوطن الذى يعتبر الإسلام حبه من الإيمان، ليس هو محل ولادة الإنسان، و إنما هو الوطن الإسلامى الكبير، الذى يعتبر الحفاظ عليه

---

(۱) سفينة البحار ج ۲ ص ۶۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳۴

حفاظا على الدين و الإنسانية، لأن به يعز الدين، و تعلو كلمة اللّه، و هو قوة للإسلام، لأنه محل استقرار و هدوء، و موضع بناء القوة فكريا و روحيا و ماديا، ثم الحركة على صعيد التنفيذ للانتقال إلى الوضع الأفضل و الأمثل. أما حيث الغربة و عدم الاستقرار، فهناك الضياع، و هدر الطاقات، و حيث لا يجد الإنسان الفرصة للتأمل و التفكير فى واقعه، و لا فى مستقبله، و لو أنه استطاع ذلك، فلسوف لا يستطيع تنفيذ قراراته، لعدم المركزية التى تمنحه الحركة المنظمة، و الثابتة. ثم التركيز و الإستمرار.

نعم، إن الوطن ليس إلا وسيلة للدفاع عن الدين و الحق، و للوصول إلى الأهداف الخيرة و النبيلة، فالدين و الإنسان هو الأصل، و الوطن و غيره لا بد و أن يكون فى خدمة هذا الدين، و من أجل ذلك الإنسان.

فمن يحافظ على وطنه، و يحبه بدافع الحفاظ على الإسلام؛ و حبه، فإن حفاظه و حبه هذا يكون من الإيمان.

و أما إذا كان الوطن وطن الشرك و الكفر و الانحراف، و الانحطاط بإنسانية الإنسان؛ فإن الحفاظ على وطن كهذا و حبه يكون حفاظا على الشرك و تقوية له، كما أن حبه هذا يكون من الكفر و الشرك، لا من الإيمان و الإسلام.

و من أجل ذلك فقد حكم الإسلام و القرآن على من كان فى بلاد الشرك، و كان بقاؤه فيها موجبا لضعف دينه و إيمانه: أن يهاجر منها إلى بلاد الإيمان و الإسلام، إلى حيث يستطيع أن يحتفظ بدينه قويا فاعلا، و بإنسانية خلاقة نبيلة قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا: أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها؟ فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً «۱».

---

(۱) النساء/ ۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳۵

بل إن محل ولادة الإنسان إذا كان يحارب الدين الحق، و يسعى فى اطفاء نور اللّه، فإنه يجب تدميره على كل أحد حتى على نفس هذا الذى ولد و عاش فيه «۱».

و من هنا نعرف أن هجرة النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و أصحابه من مكة إلى المدينة كانت هجرة طبيعية و منسجمة مع مقتضيات الفطرة و العقل السليم و الفكر الصحيح، الذى يلاحظ سمو الهدف و نبل الغاية، و يقيّم كل شىء انطلاقا من ذلك الهدف، و على طريق الوصول و الحصول على تلك الغاية.

و ليكن هذا تمهيدا للحديث عن ظروف الهجرة و عواملها و أحداثها، فى حدود ما يتناسب مع هذا الكتاب، فنقول:

دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة:

إننا بالنسبة لدوافع الهجرة من مكة إلى المدينة يمكننا الإشارة إلى ما يلى:

أولا: إن مكة لم تعد أرضا صالحة للدعوة، فقد حصل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه، و لم يبق بعد أى أمل فى دخول فئات جديدة فى الدين الجديد، فى المستقبل القريب على الأقل.

و قد كان ثمة مبرر لتحمل الأذى و المصاعب، حينما كان يؤمل أن تدخل فى الإسلام جماعات تقويه، و تشد من أزره.

---

(۱) و يرى العلامة المحقق الشيخ على الأحمدى: أن معنى حب الوطن من الايمان: أن من يحب وطنه فانه يسعى إلى تنقيته من الانحرافات، و حل مشاكله، و هداية مجتمعه الى طريق الحق و الايمان و الاسلام، لأن الايمان هو الذى يدفعه إلى ذلك، كما هو معلوم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳۶

أما بعد أن أعطت مكة كل ما لديها فأخرجت جماعات من شبان المؤمنين، و من المستضعفين، و لم يبق فيها إلا ما يوجب الصد عن سبيل اللّه، و يضع الحواجز و العراقيل الكثيرة أمام تقدم هذا الدين، و يمنع من انتشاره و اتساعه؛ فإن البقاء فى مكة ليس فقط لا مبرر له، بل هو خيانة للدعوة الإسلامية، و مساعدة على حربها، و القضاء عليها، و لا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل اللّه، و إطفاء نوره، و يأبى اللّه إلا أن يتم نوره و لو كره المشركون.

نعم، لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر، تضمن الدعوة فيه لنفسها حرية الحركة، فى القول و العمل، بهدوء بال، و اطمئنان خاطر، بعيدا عن ضغوط المشركين، و فى منأى عن مناطق سيطرتهم و نفوذهم.

و قد رأينا: أنهم كانوا يلاحقون تحركات النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و يرصدونها بدقة، و يتهددون، بل و يعذبون كل من يدخل فى هذا الدين الجديد، و يخيفون كل من يحتمل دخولهم فيه.

ثانيا: إن الإسلام و ممثله و داعيته الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم، لأنه دينه دين البشرية جمعاء: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ.

و ما حصل عليه حتى الآن لا يمكّنه من تطبيق كافة تشريعات الإسلام، و تحقيق كامل أهدافه. و لا سيما بالنسبة إلى ذلك الجانب، الذى يعالج مشاكل الناس الإجتماعية و غيرها، مما يحتاج إلى القوة و المنعة فى مجال فرض القانون و النظام.

و من الناحية الأخرى: إنه إذا كان بنو عبد المطلب و الهاشميون قد استطاعوا أن يؤمنوا الحماية لشخص الرسول من اعتداآت الآخرين على شخصه الكريم، فإنهم لم و لن يستطيعوا أن يؤمنوا له القدرة على حماية أصحابه. الذين دخلوا فى هذا الدين، و قبلوا رسالة السماء. فضلا عن أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳۷

يتمكنوا من تأمين الحد الأدنى من الحماية له، فيما لو أراد أن يتوسع فى نشر رسالة الإسلام، و فرض هيمنة هذا الدين و سلطانه، إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

و أما بعد وفاة أبى طالب رحمه اللّه فإن الأمور قد تطورت بشكل مخيف، حتى بالنسبة إلى شخص النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، كما رأينا و سنرى.

ثالثا: و لقد صمد أولئك الذين أسلموا سنوات طويلة فى مواجهة التعذيب و الظلم و الاضطهاد، حتى لقد فر قسم منهم بدينه إلى بلاد الغربة، و بقى الباقون يواجهون محاولات فتنتهم عن دينهم، بمختلف وسائل القهر تارة، و بأساليب متنوعة من الإغراء أخرى.

و إذا استثنينا أشخاصا معدودين، كحمزة أسد اللّه و أسد رسوله، و بعض من كانت لهم عشائر تمنعهم «۱»، فإن بقية المسلمين كانوا غالبا من ضعفاء الناس، الذين لا يستطيعون حيلة، و لا يجدون سبيلا إلا الصبر، و تحمل الأذى.

و إذا فرض عليهم أن يستمروا فى مواجهة هذه الآلام و المشاق، دونما أمل أو رجاء؛ فمهما كانت قناعتهم بهذا الدين قوية و راسخة؛ فإن من الطبيعى- و الحالة هذه- أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، ثم الهروب و الملل من حياة كهذه. و قد تستميلهم بعض الإغراآت العاجلة، فيهلكون و يهلكون؛ فإنه ليس بمقدورهم أن يقضوا حياتهم بالآلام و المتاعب. بل إن بعضهم- كما سيأتى- يهمّ بالعودة إلى الشرك، و يتطلب السبل لمصالحة مشركى مكة، حينما أشيع فى غزوة أحد: أن النبى «صلى اللّه

---

(۱) و حتى هؤلاء فانهم لم يسلموا من الاضطهاد النفسى و المقت الاجتماعى المر. و لربما يكون ذلك بالنسبة لبعضهم أشد من التعذيب الجسدى، تبعا لنسبة الوعى و الشعور المرهف الذى كان يمتاز به بعضهم على غيره.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳۸

عليه و آله و سلم» قد قتل. و قد نزل فى ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة:

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ، وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً، وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ «۱».

رابعا: لقد رأت قريش أخيرا: أنها قد اهتدت للطريقة التى تستطيع بواسطتها أن تقتل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، دون أن تكون مسؤولة أمام الهاشميين بشكل محدد. أو بالأحرى دون أن يستطيع الهاشميون أن يطالبوا بدم النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم». و ذلك بأن يقتله عشرة، كل واحد منهم من قبيلة، فيضيع دمه فى القبائل، و لا يستطيع الهاشميون مقاومتها جميعا؛ لأنهم إما أن يقاتلوا القبائل كلها، و تكون الدائرة عليهم، و أما أن يقبلوا بالدية، و هو الأرجح. و إذا قتل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، فإن القضاء على غيره من اتباعه يكون أسهل و أيسر، و لا يشكّل لقريش مشكلة ذات شأن. بل و حتى لو تركوهم على ما هم عليه، فإن أمرهم لسوف يصير إلى التلاشى و الاضمحلال.

هكذا كانت تفكر قريش و تخطط. و هو تفكير محكوم بالعصبية القبلية. و لكنه ذكى جدا. و بالإمكان تحقيق الأهداف الشريرة تجاه الرسول و الرسالة من خلاله.

و لكن عناية اللّه سبحانه و إن كانت تشمل النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و ترعاه، إلا أن من الواضح: أن إقدام قريش على تنفيذ مخططاتها- فشلت أو نجحت- لسوف يعرض علاقاتها مع الهاشميين لنكسة خطيرة، و لسوف تزيد مضاعفاتها بشكل مخيف ببقاء النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فى مكة. كما أن عادة اللّه قد جرت على أن لا يحول بين أحد و بين تنفيذ إرادته، بشكل قهرى و قسرى، إلا بنحو من العنايات و الألطاف التى

---

(۱) سورة آل عمران ۱۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۳۹

تشمل ذلك النبى الذى يكون حفظه ضروريا لحفظ الدين و الإنسان.

فأرادة الانسان حرة طليقة، و لكن اللّه يسدد ويلهم و يؤيد من تستهدفه تلك الارادة بالشر و الاذى.

و بعد كل ما تقدم يتضح: أنه كان لا بد للنبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و لمن معه من المسلمين من الخروج من مكة إلى مكان أمن و سلام لا يشعرون فيه بأى ضغط، يملكون فيه حرية الحركة، و حرية الكلمة، و حرية التخطيط لبناء مجتمع إسلامى يكون فيه النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قادرا على القيام بنشر دعوته، و إبلاغ رسالته، على النحو الأفضل و الأكمل.

سرّ اختيار المدينة:

و أما عن سر اختيار النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى- للمدينة بالذات دارا لهجرته، و منطلقا لدعوته، دون غيرها كالحبشة مثلا؛ فذلك يرجع إلى عدة عوامل، نذكر منها ما يلى:

۱- إن مكة كانت- كما قدمنا- تتمتع بمكانة خاصة فى نفوس الناس. و بدون السيطرة عليها، و القضاء على نفوذها الوثنى، و استبداله بالنفوذ الإسلامى؛ فإن الدعوة تعتبر فاشلة، و كل الجهود تبقى بدون جدوى؛ فإن الدعوة كانت بحاجة إلى مكة، بنفس القدر الذى كانت مكة بحاجة فيه إلى الدعوة.

فلا بد من اختيار مكان قريب منها، يمكن أن يمارس منه عليها رقابة، و نوعا من الضغط السياسى و الاقتصادى، و حتى العسكرى إن لزم الأمر فى الوقت المناسب، حينما لا بد له من أن يفرض سلطته عليها.

و المدينة، هى ذلك الموقع الذى تتوفر فيه مقومات هذا الضغط،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۰

فهى تستطيع مضايقة مكة اقتصاديا؛ لوقوعها على طريق القوافل التجارية المكية، و قريش تعيش على التجارة بالدرجة الأولى.

و قد تقدم قول المشركين لعبد اللّه بن أبى، حين بيعة العقبة: «ما من حى أبغض من أن تنشب الحرب بيننا و بينه منكم».

و تقدم أيضا: أنهم لما أخذوا سعد بن عبادة بعد بيعة العقبة و عذبوه، جاء الحارث بن حرب و جبير بن مطعم و خلصاه، لأنه كان يجير لهما تجارتهما.

و إذا كانت قريش قد لقيت من أبى ذر ما لقيت، حين أخذ عليها طريق تجارتها، فإن ما سوف تلقاه من أهل المدينة سيكون أشد، و أعظم خطرا، و أبعد أثرا، و لا سيما إذا عقد الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» تحالفات مع سائر القبائل المقيمة فى المنطقة، كما حصل بالفعل، و كانت المعاهدة بصورة تجعلهم مضطرين لقطع علاقاتهم بالمشركين «۱».

۲- لقد عرفنا مما تقدم: أن الهجرة إلى المدينة هى الحل المفروض، الذى لا خيار معه؛ و ذلك لأن الهجرة إلى الطائف لم تكن بالتى تجدى نفعا، بعد أن رأينا: أن أهلها رفضوا الاستجابة إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حينما هاجر إليهم، لأنهم يرون: أن مكة هى التى تستطيع أن تضايقهم اقتصاديا، و هم إليها أحوج منها إليهم.

و لأجل ذلك فإنهم لا يستطيعون فى المستقبل المنظور على الأقل إلا أن يدوروا سياسيا فى فلكها، و أن يخضعوا لسيطرتها. و أما سائر قبائل العرب؛ فلا يجدون فى أنفسهم القدرة على ذلك. و قد جرّب أن يعرف

---

(۱) راجع: و ثيقة المدينة الآتية فى الجزء التالى من هذا الكتاب؛ أو آخر فصل: أعمال تأسيسية فى مطلع الهجرة. فقد جاء فيها ما يلى: «و أنه لا يجير مشرك مالا لقريش، و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن». و راجع: نشأة الدولة الإسلامية:

ص ۲۸۹- ۲۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۱

مدى استعدادهم لقبول دعوته، و الدفاع عنها؛ فوجد ما لا ينقع غلة، و لا يبل صدى، إن لم نقل أنه وجد ما يزيد الطين بلة، و الامر خطورة.

و أما اليمن، و فارس، و الروم، و بلاد الشام و غيرها؛ فقد كانت خاضعة لسلطة الدولتين العظميين، اللتين لن يكون نصيب الرسول و الرسالة منهما سوى المتاعب و الاخطار الجسيمة. و قد تكلمنا عن شيء من ذلك عند الحديث عن عوامل انتصار الاسلام و انتشاره فى أواخر الباب الأول من هذا الكتاب. و لسوف نرى أن كسرى قد حاول أن يقوم بعملية خطيرة تجاه الرسول و رسالته حينما أرسل إليه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يدعوه إلى الإسلام.

و أما الحبشة فهى بحكم موقعها الجغرافى مفصولة عن مكة، كما أنها بحكم واقعها الإجتماعى، و السياسى، و البشرى، و العنصرى، و بحكم كونها بلدا أفريقيا، فإنها ليست بلدا قادرا على أن يقود عملية التغيير العالمية الشاملة، لا إقتصاديا، و لا سياسيا، و لا عسكريا، و لا حتى فكريا، و إجتماعيا.

أضف إلى ذلك أن مهاجمة مكة بجيش من الحبشة لسوف يدفع العرب كافة إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده، بخلاف ما لو كانت عملية التغيير منطلقة من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء، و المستضعفون، و يواجه هؤلاء الملأ و المستكبرين من قومهم بالذات.

و هكذا يتضح: أنه ليس ثمة إلا المدينة، و المدينة فقط موقعا مناسبا للهجرة فكانت الهجرة إليها.

۳- و من الجهة الأخرى، فإن المدينة كانت أغنى من مكة زراعيا.

أى أنها لو فرض عليها: أن تتعرض لضغط تجارى من نوع ما- مع أنه ليس باستطاعة مكة أن تفعل شيئا من ذلك- فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط، و تحتفظ لنفسها بنوع من الحياة، و لو بصعوبة مّا، من دون أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۲

تستسلم لإرادة الآخرين، و تنساق وراء رغباتهم، كما كان الحال بالنسبة لغيرها.

هذا عدا عن أن الدعوة التى تحتاج إلى نشاط واسع، و جهد شامل، لأنها تريد أن تقود عملية التغيير الشامل على مستوى عالمى- هذه الدعوة- تحتاج إلى استقرار اقتصادى داخلى، يستطيع أن يوفر الفرصة لحملة هذه الرسالة للحركة فى سبيل نشر دينهم، و بث رسالتهم.

۴- و إذا كان الحج من أهم تشريعات الاسلام؛ فما دامت مكة فى أيدى الوثنيين؛ فإنه سوف يفقد أثره و فعاليته فى مجال التربية السياسية، و الإجتماعية، و فى غير غير ذلك من مجالات.

و أيضا، فما دامت مكة فى أيدى الوثنيين، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع فى القبائل العربية، و قدسية من نوع مّا فى نفوسهم.

فلا بدّ إذن من اخراجها من أيديهم؛ لينتهى مالهم من رصيد معنوى فى نفوس الناس، و لتنفتح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد، و ليتمكن المسلم من أن يؤدى إحدى أعظم شعائره- الحج- بحرية تامة، دونما رادع أو زاجر.

و يدل على ذلك، ما يرويه الطبرانى و غيره: أنه لما عرض النبى الإسلام على ذى الجوشن الضبابى، أبى أن يدخل فيه إلا أن يرى النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد غلب على الكعبة. و فى رواية أخرى، أنه قال له: «رأيت قومك قد كذبوك، و أخرجوك، و قاتلوك. فانظر ماذا تصنع؛ فإن ظهرت عليهم آمنت بك، و اتبعتك، و إن ظهروا عليك لم أتبعك «۱»».

---

(۱) مجمع الزوائد ج ۶ ص ۶۸، و قال: «رواه عبد اللّه بن أحمد، و أبوه، و لم يسق المتن، و الطبرانى و رجالهما رجال الصحيح، و روى أبو داود بعضه» انتهى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۳

و بعد هذا، فإن أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة، و هى التى تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافة سكانية جيدة، تستطيع أن تقوم بالمهمة التى توكل إليها تجاه مكة على أكمل وجه، و لا توجد هذه الميزة فى أى من المناطق القريبة إلى مكة.

و نلاحظ: أن إيجاب الهجرة على من يسلم، قد جعل المدينة- بعد هجرة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إليها- فى حالة نمّو سكانى مستمر، يؤهلها لتحمل مسؤولية بناء دولة، و حماية منجزاتها على المدى المنظور.

۵- إن أهل المدينة كانوا فى الاصل من مهاجرى اليمن، التى كانت تمتلك شيئا من الحضارة البدائية فى قديم الزمان، فهم ليسوا أعرابا؛ لتكون قلوبهم ممعنة فى القسوة. و لا كان ثمة زعامات و مصالح خطيرة لهم فى المنطقة، كما كان الحال بالنسبة لقريش، و لا كانوا يعيشون فى تلك الأجواء النفسية المعينة، كما كانت تعيش قريش؛ نتيجة لموقعها النسبى فى العدنانية، و لموقعها فى زعامة مكة، و حجابة البيت.

ثم هناك التنافس الظاهر بين العدنانية و القحطانية. حيث لا يسع القحطانيين، حتى و لو لم تكن ثمة دوافع دينية و عقيدية: أن يسلموا النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى أعدائه.

و يشهد لهذا: أننا نجد بقايا هذا التنافى حتى إلى ما بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فنجد أن عمر بن الخطاب قد فضل العدنانية على القحطانية فى العطاء، الأمر الذى مهد السبيل أمام الأمويين لإستغلال هذه الروح و إشعال الفتن بين اليمانية و القيسية. إبّان حكمهم البغيض. بينما نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن يرى لبنى إسماعيل على بنى إسحاق فضلا. (و لهذا البحث مجال آخر).

۶- ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مرارة الانحراف كأشد ما يكون،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۴

و قد أنهكتهم الحروب و اكلتهم، و يعيشون فى رعب دائم و خوف مستمر، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا فى الليل و لا بالنهار «۱». و تقدم أن الخزرج ذهبوا إلى مكة يطلبون الحلف من القرشيين فلم تلب قريش طلبهم. و كانوا يتمنون من كل قلوبهم: أن يجدوا مخرجا من المأزق الذى يرون أنفسهم فيه، حتى إن اسعد بن زرارة لا يخفى لهفته على هذا الأمر؛ حيث قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» حينما دعاه إلى الاسلام: «إنا من أهل يثرب من الخزرج، و بيننا و بين اخوتنا من الاوس حبال مقطوعة، فإن وصلها اللّه بك، و لا أحد أعز منك الخ» «۲».

ثم و بعد أن دخل الإسلام إلى المدينة، فقد كان لا بد أيضا من الحفاظ على المسلمين فيها، و شد أزرهم، حتى يمكن لهم الاستمرار فى نصرة هذا الدين، و اعلاء كلمة اللّه.

۷- لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبى فى المنطقة قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين. و لكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعة، و إلى ظروف مشجعة؛ فلماذا يهملهم الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و لا يهيىء لهم الفرصة لذلك؟!.

۸- هذا كله، عدا عن أن أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلك من النبى الأكرم (ص) و بايعوه بيعة العقبة، و وعدوه النصر، و النبى (ص) إنما يتصرف وفق الإرادة الإلهية التى لا تغيب عنها تلك المصالح و سواها.

فاللّه هو الذى يرعاه و يسدده، صلى اللّه عليه و على آله الطاهرين.

هذا ما رأينا الاشارة إليه فى هذا الصدد.

---

(۱) البحار: ج ۱۹ ص ۸ و ۹ و ۱۰، و أعلام الورى: ص ۵۵.

(۲) البحار: ج ۱۹، و أعلام الورى: ص ۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۵

المؤاخاة بين المهاجرين:

و كتمهيد لعملية الهجرة، حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب، التى تحتاج إلى التعاون و التعاضد بأعلى مراتبه، كانت عملية المؤاخاة التى أريد بها السمو بعلاقات هذا الانسان عن المستوى المصلحى، و جعلها علاقة إلهية تصل إلى درجة الأخوة؛ ليكون أثرها فى التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية، و انسجاما، و بعيدا عن النوازع النفسية التى ربما توحى للمعين و المعان بأمور من شأنها أن تعقّد العلاقات بينهما نفسيا على الاقل.

و قد رأينا: أن البعض يتوهم ترتب التوارث على هذه المؤاخاة دون الرحم، و ذلك يدل على عمق تأثير هذا الحدث فى المسلمين؛ فى روحياتهم و فى علاقاتهم على حد سواء.

و على كل حال، فلقد آخى الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قبل الهجرة فيما بين المهاجرين، على الحق و المواساة؛ فآخى بين أبى بكر و عمر، و بين حمزة و زيد بن حارثة، و بين عثمان و عبد الرحمان بن عوف، و بين الزبير و ابن مسعود و بين عبادة بن الحارث و بلال. و بين مصعب بن عمير و سعد بن أبى وقاص، و أبى عبيدة و سالم مولى أبى حذيفة، و بين سعيد بن زيد و طلحة، و بين على «عليه السلام» و نفسه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، و قال: أما ترضى أنّ أكون أخاك؟.

قال: بلى يا رسول اللّه رضيت.

قال: فأنت أخى فى الدنيا و الآخرة «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۰ و السيرة النبوية لدحلان ج ۱ ص ۱۵۵ عن الاستيعاب. و تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۵۳ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۱۴ و تلخيصه للذهبى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۶

و سيأتى إن شاء اللّه فى الجزء الرابع من هذا الكتاب: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد آخى بين المهاجرين و الأنصار بعد الهجرة. و لسوف نذكر طائفة من مصادر حديث المؤاخاة هناك إن شاء اللّه و نذكر انكار ابن تيمية و غيره لحديث مؤاخاة مهاجرى لمهاجرى، و جوابه، ثم نعلق على حديث المؤاخاة بما نراه مناسبا؛ فإلى هناك.

ابتدأ هجرة المسلمين إلى المدينة:

و يقول المؤرخون إن بيعة العقبة الثانية قد كانت قبل هجرة الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى المدينة بثلاثة أشهر و يقولون أيضا: إنه بعد أن عقد النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بيعة العقبة الاولى- على الظاهر- مع أهل المدينة و لم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة بسبب إيذاء المشركين، و لم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالهجرة إلى المدينة. و بقى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بمكة ينتظر أن يؤذن له. فخرجوا أرسالا، حتى أذن اللّه سبحانه لنبيه الاكرم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» بالهجرة، كما سيأتى.

المثل الاعلى:

و جدير بالتسجيل هنا: أن نرى المسلم الحقيقى يضحى بوطنه الذى نشأ و عاش فيه، و بكل ما يملك من متاع الحياة الدنيا، و بعلاقاته الاجتماعية، و روابطه النسبية و يقدم على معاداة الناس كلهم، حتى آبائه، و اخوانه و ابنائه. و يخرج من بلده و مسقط رأسه ليواجه

مستقبلا يعرف أنه مليىء بالأحداث و الأخطار، كل ذلك فى سبيل هدفه و دينه و عقيدته. و هو أروع مثل نستفيده من عملية الهجرة. سواء فى ذلك الهجرة إلى المدينة، أو الهجرة إلى الحبشة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۷

هجرة عمر بن الخطاب:

و مما يلفت النظر هنا ما يقال عن كيفية هجرة عمر بن الخطاب، حيث يروون عن على «عليه السلام» أنه قال:

ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة تقلد بسيفه، و تنكب قوسه، و انتضى فى يديه أسهما، و اختصر عنزته، و مضى قبل الكعبة، و الملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة؛ فقال: شاهت الوجوه، لا يرغم اللّه إلا هذه المعاطس، فمن أراد أن تثكله أمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقنى وراء هذا الوادى.

قال على رضى اللّه عنه: فما تبعه أحد، ثم مضى لوجهه «۱».

و نحن نقطع بعدم صحة هذا الكلام. لأن عمر لم يكن يملك مثل هذه الشجاعة، و ذلك:

أولا- لما تقدم فى حديث اسلامه عن البخارى و غيره، من أنه حين اسلم اختبأ فى داره خائفا، حتى جاءه العاص بن وائل، فأجاره، فخرج حينئذ.

و فى بدر تكلم واساء الكلام، حيث كان يجّبن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» و المسلمين.

ثانيا: إن مواقفه الحربية كانت عموما غير مشجعة لنا على تصديق مثل هذا الكلام فلقد فر فى أحد، و فر فى حنين، رغم أنه يرى الخطر يتهدد

---

(۱) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ۴ ص ۳۸۷ عن ابن عساكر، و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۲۱/ ۲۲، و أشار إلى ذلك فى نور الابصار ص ۱۵. و كنز العمال ج ۱۴ ص ۲۲۱/ ۲۲۲ عن ابن عساكر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۸

الرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» فلا يلتفت إليه، و لا يفكر إلا فى الحفاظ على نفسه.

و أما فراره فى خيبر فهو أعجب و أعجب حيث إنه كان معه من يدافع و يحامى عنه.

أما فى واقعة الخندق ففر فيها أيضا كما أنه لم يجرؤ على الخروج إلى عمرو بن عبدود.

و حينما أخذ النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» سيفا فى أحد، و قال:

من يأخذ هذا السيف بحقه طلبه أبو بكر، و عمر فلم يعطهما إياه. و اعطاه أبا دجانة. إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا. و لسوف نشير اليه فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى. حين الكلام على الغزوات المشار إليها.

و الغريب فى الأمر: أننا لم نر و لم نسمع: أن عمر، و أبا بكر، و عثمان قد قتل واحد منهم أحدا، أو بارز انسانا، و ما ذكر من ذلك قد ثبت عدم صحته.

كما أنه لم يجرح أى من هؤلاء و لا- دميت له يد و لا- رجل فى سبيل اللّه. مع أن أعاظم صحابته «صلى اللّه عليه و آله و سلم» قد أصيبوا فى اللّه وضحوا فى سبيله، الامر الذى يشير إلى أن هؤلاء كانوا شجعانا فى الرخاء، غير شجعان عند اللقاء.

ثالثا: لقد أشرنا فيما سبق إلى أنه لم يجرؤ على أن يأخذ رسالة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» للمكيين فى عام الحديبية، بحجة: أن بنى عدى لا ينصرونه إن أوذى!! فمن كانت هذه فعاله فى تلك المواقع الصعبة هل يحتاج إلى بنى عدى، أو إلى غيرهم؟!.

رابعا: قال أبو سفيان فى فتح مكة للعباس، حينما كانا يستعرضان الألوية، فمر عمر، و له زجل: «يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟!

قال: عمر بن الخطاب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۴۹

قال: لقد أمر أمر بنى عدى بعد- و اللّه- قلة و ذلة.

فقال العباس: يا أبا سفيان إن اللّه يرفع من يشاء بما يشاء، و إن عمر ممن رفعه الاسلام «۱»».

و خامسا: إنهم متفقون على أن الرسول الاعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم» كان أشجع البشر دون استثناء، بل سيأتى أن بعضهم يحاول ادّعاء أشجعية أبى بكر على سائر الصحابة- و ان كان سيأتى أن العكس هو الصحيح- و نحن نرى فى حديث الهجرة أن النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» يختفى فى الغار، حذرا من المشركين، كما أن أبا بكر يخاف و يبكى، رغم كونه مع النبى الاعظم، الذى يتولى اللّه رعايته و حمايته، و ظهرت له آنئذ الكثير من المعجزات الدالة على ذلك. و قد ذكر اللّه خوف و حزن أبى بكر فى القرآن. فكيف يخاف أبو بكر و يحزن مع أنه إلى جانب رسول اللّه الذى يتولى اللّه حمايته و رعايته، مع ادّعاء محبى أبى بكر أنه أشجع الصحابة بعد الرسول الأعظم «صلى اللّه عليه و آله و سلم»- نعم كيف يخاف أبو بكر و لا يخاف عمر؟!

و لماذا يعمل الرسول بالحزم، و يراعى جانب الحذر من قريش، و لا يفعل ذلك عمر بن الخطاب؟!

و لماذا لم يحم عمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم»، حتى يخرجه من مكة إلى المدينة؟!.

و لماذا يرضى عمر للنبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أن يتحمل كل هذه الصعاب و المشاق، حتى يتمكن من التخلص من الورطة التى هو فيها؟!

---

(۱) مغازى الواقدى ج ۲ ص ۸۲۱ و عن كنز العمال ج ۵ ص ۲۹۵ عن ابن عساكر من طريق الواقدى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵۰

بل إذا كان لعمر هذه الشجاعة و الشدة؛ فلماذا يضطر النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إلى الهجرة،؟ فليحمه هذا البطل الشجاع، و ليردّ عنه بعض ما كانت قريش تؤذيه به؟!.

ثم إننا لا ندرى لماذا لم يحدثنا التاريخ عن موقف مماثل لحمزة بن عبد المطلب، أسد اللّه و أسد رسوله، الذى شجّ رأس أبى جهل شجّة منكرة، و عز المسلمون باسلامه؟!.

و لماذا يترك النبى و الهاشميين محصورين فى الشعب، يكادون يهلكون جوعا، و لا يجرؤ أحد على أن يوصل لهم شيئا من طعام؟!.

لأن عمر عند هؤلاء قد اسلم قبل الحصر فى الشعب، و ان كنا اثبتنا فى ما تقدم بشكل قاطع: أنه قد اسلم قبل الهجرة بقليل.

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التى لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع و المفيد.

ما هى الحقيقة إذن؟!

و لكن الحقيقة هى: أن هذا التهديد و الوعيد إنما كان من أمير المؤمنين على «عليه السلام»، حينما هاجر، و لحقه سبعة من المشركين فى ضجنان و سيأتى تفصيل القضية حين الكلام على هجرة أمير المؤمنين على «عليه السلام» بعد هجرة النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم».

و لكن أعداء على «عليه السلام» لم يستطيعوا أن يتحملوا أن يروا هذه الكرامة له، و لا سيما بعد ما أثبت صحتها بمبيته على فراش النبى «صلى اللّه عليه و آله و سلم» ليلة الهجرة. و كما كان يبيت على فراش رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» مدة ثلاث سنين، يقيه بنفسه حينما كانوا محاصرين فى شعب أبى طالب «رحمه اللّه».

فلمّا لم يكن إلى إنكارهم مبيته على الفراش سبيل أغاروا على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵۱

فضيلته الاخرى- كعادتهم- فاستولوا عليها، و نسبوها إلى غيره،- و عظموا من شأن أبى بكر فى الغار- كما سيأتى حين الكلام على الهجرة إن شاء اللّه تعالى. بل انهم لم يرضوا إلا أن تكون فضيلة عمر على لسان على نفسه، كما عودونا فى مناسبات كهذه، فإن ذلك أوقع فى النفس، و أبعد عن الشبهة، و أدعى إلى القبول.

و لكن اللّه تعالى يقول: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ «۱». و هكذا كان.

ماذا عن الهجرة إلى المدينة؟

لقد أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و سلم» أصحابه بالهجرة إلى المدينة، تمهيدا لخروجه هو «صلى اللّه عليه و آله و سلم» إليها أيضا، و قال لهم: إن اللّه عز و جل قد جعل لكم إخوانا و دارا تأمنون بها، فهاجر إليها المسلمون، بعضهم سرا، و بعضهم علانية، مضحين بوطنهم، و بعلاقاتهم، و كثير منهم بثرواتهم، و مكانتهم الاجتماعية و كل شيء، فى سبيل دينهم، و عقيدتهم.

و هذا معناه: أن الدين و العقيدة فوق و أغلى من كل شيء؛ فالوطن، و المال، و الجاه، و كل شيء لا قيمة له، إذا كان الدين مهددا بالخطر؛ لأن الحفاظ على الدين الصحيح، معناه الحفاظ على الوطن و المال و كل شيء، و بدونه يكون كل شيء فى معرض الزوال، إن لم يكن عبثا، أو فقل: خطرا يتهدد هذا الانسان فى كثير من الظروف و الأحوال.

قريش و الهجرة:

و قد قدمنا بعض الكلام حول الهجرة، و موقف قريش منها حين

---

(۱) الأنبياء/ ۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵۲

الكلام على هجرة الحبشة فلا نعيد و إذا كانت قريش قد قاومت الهجرة إلى الحبشة بذلك الشكل القوى، حتى لقد حاولت استرجاع المسلمين من أرض الحبشة. فماذا عساها يكون موقفها من الهجرة إلى المدينة، و التى ترى فيها أعظم الخطر على مصالحها، و على وجودها و مستقبلها؟!.

لقد حاولت أن تمنع المسلمين من الهجرة بمختلف الوسائل، فكانت تحبس من تظفر به منهم، و تفتنه عن دينه، و تمارس ضده مختلف أساليب القهر و القسوة، فلم تنجح و لم تفلح و هى من الجهة الأخرى ترى نفسها عاجزة عن التصفية الجسدية لأكثر المسلمين؛ لأن المهاجرين كانوا- عموما- من القبائل المكية، و ليس قتل أى منهم إلا سببا فى اثارة حرب أهلية بين المشركين أنفسهم. و هذا و لا شك ليس فى مصلحة قريش فى أى حال.

و يشهد لما ذكرناه ما حصل لأبى سلمة حينما خرج بزوجته و ولده، فقام إليه رجال من بنى المغيرة فأخذوا زوجته منه؛ لأنها منهم، فثار بنو عبد الاسد، قبيلة الزوج؛ فانتزعوا سلمة من أمه «۱».

و أدركت قريش: أن هذه الهجرة الواسعة سوف تعقبها هجرة الرسول الاعظم نفسه؛ ليمارس بحرية تامة عملية الريادة، و القيادة، و الهداية بشكل أوسع و أعمق. و لسوف يحميه المدنيون بكل ما لديهم.

فلم يكن لديها همّ إلا المنع من تحقق ذلك بأى وسيلة تقدر عليها، أو حيلة تهتدى إليها.

---

(۱) البداية ج ۳ ص ۱۶۹ و السيرة النبوية لابن هشام ج ۲ ص ۱۱۲ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۲ ص ۲۱۵/ ۲۱۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵۳

الفهارس

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵۵

۱- الدليل الاجمالى للكتاب

الفصل الثالث: الاسراء و المعراج ۵- ۵۲

الباب الثانى: حتى وفاة أبى طالب ۵۳- ۲۶۱

الفصل الأول: حتى الهجرة إلى الحبشة ۵۵- ۱۱۵

الفصل الثانى: هجرة الحبشة ۱۱۷- ۱۴۷

الفصل الثالث: حتى الشعب ۱۴۹- ۱۹۱

الفصل الرابع: فى شعب أبى طالب ۱۴۳- ۱۲۴

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش ۱۲۵- ۲۵۹

الباب الثالث: من وفاة أبى طالب حتى الهجرة إلى المدينة ۲۶۱- ۳۲۷

الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف ۲۶۳- ۲۷۴

الفصل الثانى: حتى بيعة العقبة ۲۷۵- ۳۰۴

الفصل الثالث: بيعة العقبة ۳۰۵- ۳۲۵

الباب الرابع: من مكة إلى المدينة .. ۳۲۹

الفصل الأول: ابتداء الهجرة الى المدينة ۳۳۳

الفهارس ۳۵۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵۷

۲- الدليل التفصيلى للكتاب

الفصل الثالث: الاسراء و المعراج ۵- ۵۲

الاسراء و المعراج ۷

متى كان الإسراء و المعراج ۸

الأدلة على المختار ۹

تسمية أبى بكر الصديق ۱۴

الإسراء و المعراج فى اليقظة أو فى المنام ۱۵

الإسراء و المعراج فى القرآن ۱۸

سؤال هام و جوابه ۱۹

الداعية الحكيم ۲۰

لا تدركه الأبصار ۲۱

الإسراء من المسجد ۲۵

موسى و فرض الصلوات الخمس ۲۶

استبعاد الإسراء و المعراج ۳۰

من أهداف الإسراء و المعراج ۳۱

الأذان ۳۴

اليهود و المسجد فى القرآن ۳۵

مفاد الآيات إجمالا ۳۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵۸

ضرب القاعدة و إعطاء الضابطة ۳۶

أقوال الرواة و المفسرين ۴۰

رأى العلامة الطباطبائى ۴۱

رأى آخر ۴۴

و ثمة رأى آخر أيضا ۴۶

و الروايات ماذا تقول ۴۷

الرأى الأمثل ۴۷

القميون يقاتلون الإسرائيليين ۴۸

الغرب و اسرائيل ۴۹

الحروب الطويلة و الصعبة ۵۰

الفلسطينيون و الأرض ۵۱

الباب الثانى: حتى وفاة أبى طالب ۵۳- ۲۶۱

الفصل الأول: حتى الهجرة إلى الحبشة ۵۵- ۱۱۵

أهداف الإسلام ۵۷

الحاجة إلى الوزير و الوصى ۵۸

و أنذر عشيرتك الأقربين ۵۹

التعصب الأعمى ۶۲

ابن تيمية و حديث الدار ۶۳

الرد على ابن تيمية ۶۴

نقاط هامة فى حديث الانذار. أ: روايات لا يمكن أن تصح ۶۹

ب: المراد بكونه خليفة فى أهله ۷۱

ج: لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة ۷۲

د: على (ع) فى يوم الإنذار ۷۴

ه: موقف أبى لهب ۷۵

و: الإنذار أولا ۷۶

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۵۹

ز: ماذا قال النبى (ص) فى يوم الإنذار ۷۷

ح: التبشير و الإنذار ۷۸

ط: أخى و وصيى ۸۰

فاصدع بما تؤمر ۸۰

أ: قريش لم تصل إلى نتيجة ۸۴

ب: سر استكبار قريش ۸۵

ماذا بعد فشل المفاوضات ۸۷

المعذبون فى مكة ۸۹

مع المعذبين أيضا ۸۹

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر ۹۰

هل عذب المشركون أبا بكر؟ ۹۶

هل كان أبو بكر رئيسا ۹۸

ملاحظة أخيرة ۹۹

أول شهيد فى الإسلام من آل ياسر ۱۰۰

عمار بن ياسر ۱۰۱

التقية فى الكتاب و السنة ۱۰۲

ملاحظة ۱۰۳

و أما من السنة فنذكر ۱۰۳

و أما التقية فى التاريخ ۱۰۵

التقية ضرورة فطرية عقلية دينية إصلاحية ۱۱۱

الفصل الثانى: هجرة الحبشة ۱۱۷- ۱۴۷

لا بد من حل ۱۱۹

سر اختيار الحبشة ۱۲۰

الهجرة إلى الحبشة ۱۲۲

أمير الهجرة جعفر ۱۲۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۶۰

من هو أول مهاجر إلى الحبشة ۱۲۴

هجرة أبى موسى إلى الحبشة لا تصح ۱۲۵

رقة عمر للمهاجرين ۱۲۶

هجرة أبى بكر لا تصح ۱۲۶

فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره ۱۳۰

محاولة قريش اليائسة ۱۳۱

قريش و خططها المستقبلية ۱۳۴

الثورة على النجاشى ۱۳۶

عودة بعض المهاجرين ۱۳۷

قصة الغرانيق ۱۳۷

تساؤلات حائرة ۱۴۵

حقيقة الأمر ۱۴۶

الفصل الثالث: حتى الشعب ۱۴۹- ۱۹۱

تناقضات فى تاريخ إسلام حمزة ۱۵۱

إسلام حمزة (رض) ۱۵۱

إسلام حمزة كان عن وعى لا حمية ۱۵۳

سر جبن أبى جهل فى مواجهة حمزة ۱۵۴

ملاحظة هامة ۱۵۵

عبس و تولى ۱۵۵

المذنب رجل آخر ۱۶۱

سؤال و جوابه ۱۶۲

الرواية الصحيحة ۱۶۲

اتهام عثمان ۱۶۳

تاريخ هذه القضية ۱۶۴

أعداء الإسلام و هذه القضية ۱۶۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۶۱

أكاذيب أخرى مشابهة ۱۶۵

قضية إسلام عمر بن الخطاب ۱۶۷

و ثمة أوسمة أخرى ۱۷۰

۱- متى كان إسلام عمر؟ ۱۷۱

و نحن نشير هنا إلى: ۱۷۱

متى أسلم عمر إذن ۱۷۲

۲- من سمى عمر بالفاروق ۱۷۷

۳- هل كان عمر قارئا ۱۷۷

ملاحظة ۱۸۰

ملاحظة أخرى ۱۸۰

۴- هل عز الإسلام بعمر حقا ۱۸۱

۵- غسل عمر لمس الصحيفة ۱۸۷

۶- نزول آية فى إسلام عمر ۱۸۸

ملاحظات أخيرة ۱۸۹

خاتمة المطاف ۱۹۱

الفصل الرابع: فى شعب أبى طالب ۱۹۳- ۲۲۴

المقاطعة ۱۹۵

أموال خديجة (رض) و سيف على (ع) ۱۹۸

حكيم بن حزام و عواطفه تجاه المسلمين ۲۰۰

انشقاق القمر ۲۰۲

شبهة و حلها ۲۰۳

انشقاق القمر الحدث الكبير ۲۰۶

إمكان الإنشقاق و الالتئام علميا ۲۰۷

دلالة الآية القرآنية على ذلك ۲۰۹

الأساطير ۲۱۱

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۶۲

نقض الصحيفة ۲۱۱

حنكة أبى طالب و إيمانه ۲۱۳

القبلية و آثارها ۲۱۴

ما بعد نقض الصحيفة ۲۱۵

وفد من الحبشة ۲۱۵

من مواقف أبى طالب ۲۱۶

مع تضحيات أبى طالب رضوان اللّه عليه ۲۱۸

عام الحزن ۲۲۱

الحب فى اللّه و البغض فى اللّه ۲۲۲

الفصل الخامس: أبو طالب مؤمن قريش ۲۲۵- ۲۵۹

إيمان أبى طالب ۲۲۷

بعض الأدلة على إيمان أبى طالب ۲۲۹

الأدلة الواهية ۲۴۰

۱- حديث الضحضاح ۲۴۰

۲- ارث عقيل لأبى طالب ۲۴۲

۳- و هم ينهون عنه و ينأون عنه ۲۴۳

آية النهى عن الاستغفار للمشرك ۲۴۶

الوجبة الأخيرة ۲۵۲

خطابيات و أرجاز المدينى ۲۵۵

سرية إيمان أبى طالب ۲۵۵

ضرورة سرية إيمان شيخ الأبطح ۲۵۶

لماذا الافتراء على أبى طالب ۲۵۷

أبو لهب و نصرة النبى (ص) ۲۵۸

سر افتعال الرواية ۲۵۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۶۳

الباب الثالث: من وفاة أبى طالب حتى الهجرة إلى الحبشة ۲۶۱- ۳۲۷

الفصل الأول: الهجرة إلى الطائف ۲۶۳- ۲۷۴

لا بد من تحرك جديد ۲۶۵

الهجرة إلى الطائف فى كلمات المؤرخين ۲۶۶

هجرات أخرى له (ص) ۲۶۷

۱- ما ذكر عن عداس ۲۶۸

۲- دخوله (ص) مكة بجوار ۲۶۹

۳- إسلام نفر من الجن ۲۷۰

۴- الطائف و علاقاتها بمن حولها ۲۷۱

۵- الإسلام دين الفطرة ۲۷۲

۶- هل كانت هذه سفرة فاشلة ۲۷۳

الفصل الثانى: حتى بيعة العقبة ۲۷۵- ۳۰۴

المجاعة ۲۷۷

عرض الإسلام على القبائل ۲۷۸

بنو عامر بن صعصعة و نصرة النبى (ص) ۲۸۰

۱- الأمر لله ۲۸۱

۲- سمو الهدف و النظرة الضيقة ۲۸۲

۳- الدين و السياسة ۲۸۳

۴- نتائج عرضه (ص) دعوته على القبائل ۲۸۳

زواج النبى (ص) بسودة و عائشة ۲۸۴

۱- سر عائشة ۲۸۵

من طرائف الروايات الموضوعة ۲۸۷

۲- جمال عائشة و حظوتها ۲۸۹

۳- حسد و غيرة عائشة ۲۹۱

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۶۴

و ماذا بعد ۲۹۹

دخول الإسلام إلى المدينة ۳۳۰

۱- إخبارات أهل الكتاب ۳۰۲

۲- المشاكل بين الأوس و الخزرج ۳۰۳

۳- تعاليم الشريعة السمحاء ۳۰۳

۴- المدنيون و المكيون ۳۰۵

الفصل الثالث: بيعة العقبة ۳۰۷- ۳۲۷

بيعة العقبة الأولى ۳۰۹

دعوة سعد بن معاذ قومه ۳۱۱

البيعة ۳۱۲

صلاة الجمعة ۳۱۳

بيعة العقبة الثانية ۳۱۴

دور العباس فى بيعة العقبة ۳۱۹

أبو بكر فى العقبة ۳۲۲

حمزة و على (ع) فى العقبة ۳۲۲

سرية الاجتماع و التقية ۳۲۳

شروط البيعة ۳۲۴

لماذا النقباء ۳۲۴

المشركون فى مواجهة الأمر ۳۲۵

منازعة الأمر أهله ۳۲۶

النبى لم يؤمر بالحرب بعد ۳۲۷

الباب الرابع: من مكة إلى المدينة ۳۲۹

الفصل الأول: ابتداء الهجرة إلى المدينة ۳۳۱

حب الوطن من الإيمان ۳۳۳

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۳،ص:۳۶۵

دوافع الهجرة من مكة إلى المدينة ۳۳۵

سر اختيار المدينة ۳۳۹

المؤاخاة بين المهاجرين ۳۴۵

ابتداء هجرة المسلمين إلى المدينة ۳۴۶

المثل الأعلى ۳۴۶

هجرة عمر بن الخطاب ۳۴۷

ما هى الحقيقة إذن ۳۵۰

ماذا عن الهجرة إلى المدينة ۳۵۱

قريش و الهجرة ۳۵۱
الفهارس ۳۵۳
الدليل الاجمالى للكتاب ۳۵۵
الدليل التفصيلى للكتاب ۳۵۷

و الحمد للّه و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۴،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹